سعاد مكروس

مطران الجنوب
بولس الخوري

رسالة مقدمة إلى الجامعة اللبنانية - كلية الآداب
والعلوم الإنسانية. إشراف الدكتور عبد الله الملاّح

١

فجر النهضة

الطبعة الأولى
2005

تصميم الغلاف: إميل منعم

الإهداء

إلـى
من يحبه قلبي
أمـــي وأبـــي
إخوتي وأخـواتي
الروح التي ألهمتني للغوص في أعماق الحقيقة...
البطـريرك اغناطيوس الرابـع هـزيم
المطران إلياس كفوري
قدس الأب فيليب حبيب العقله
الأستـاذ إبراهيـم الخـوري
كل من شجعني للمضي في هذا العمل

سعاد

شكر

إلـى الذين وقفوا إلى جانبي طوال فترة البحث والدراسة، وأخص بالذكر:

سيادة المطران الياس موسى كفوري

الدكتور عبد الله الملاح

الأستاذ ابراهيم الخوري

الأستاذ وسام الجرداق

الأستاذ موريس الدبغي

الأستاذ ذيب نقولا

الأستاذ طانيوس نهرا

الأب فيليب حبيب العقله

سعيد جورج مكروس

س.ج.م.

المحتويات

(1) حافظت على العناوين كما هي واردة في الكتب.

المقدمة

منذ وعيت وأنا أسمع عن المطران بولس الخوري، أخباراً كثيرة، حفظتها ورددتها، واستمعت لها دون أن أفقه معناها وحقيقتها، ولم تكن معرفتي الشخصيّة ببطل هذه الأخبار أوّل الأمر لتزيدني إلماماً به، وسبراً لأغوار نفسه.

ومرّت الأيام، ومع مرورها ازددت تعلقاً به، وفهماً له، فيوم وقع بين يدي أحد مؤلّفاته، بدأت أكتشف فيه صفاتٍ أخرى لم يحدّثني عنها أحدٌ، وكنت أجهلها تمام الجهل، اكتشفت فيه الكاتب المصلح، الخطيب المفوّه، رجل الاجتماع والدين والسياسة. هذه الصفات كانت في ما سبق تتنافى، في اعتقادي، مع صفات المطران، لأنّي لم أكن أصدّق أنّ مطراناً يتعاطى السياسة ويترشح للنيابة، يتعاطى الصحافة ليبرز أهم وجوه القوميّة العربيّة، يعتلي المنابر خطيباً ويدخل الجوامع واعظاً.... وعشت مع صاحب الكتابات بفكري، سنوات حلوة، راضيةً بما حصّلته من أخباره الأوليّة. وبعد سنتين من الدراسة الجامعيّة أخذت أفكّر في أنْ أجعله موضوع رسالتي، فتتضح لي كل جوانبه الخفيّة وأصيب عصفورين بحجر واحد.

أمر آخر شجّعني على المضي في اختياره كموضوع لدراستي عند قراءتي لمقالٍ في جريدة السفير للسيد إلياس مرعي يدعو المسؤولين عن الجامعات وخاصة المشرفين على كليات الآداب والعلوم الإنسانية إلى توجيه طلاّب الدراسات العليا لوضع دراسات تتناول مختلف جوانب شخصية المطران بولس الخوري في مسيرته المشرّفة

على مدى قرن كامل[1]. فكان حافزاً شخصياً شجعني على وضع هذه الدراسة.

وأذكر أنّي يوم طرحت اسم المطران بولس الخوري على أستاذي المشرف أعجبته الفكرة وشجّعني، لكنّه حذّرني من مسألة المصادر والمراجع التي يمكن أن تكون قليلة بشأنه لأنه ما زال من المواضيع المعاصرة.

وفي سبيل توخيّ الحقائق التاريخية، وحفاظاً على المنهجيّة العلمية ركزت في رسالتي على استقاء المعلومات من مصادرها ومراجعها على قدر توفرها. وهنا واجهتني صعوبة جمع المصادر والمراجع والوثائق التي تخصّ موضوعيّ هذا، خاصة انّ الكتب والمؤلّفات بشأنه قليلة ومن الصعب الحصول عليها بسبب تبعثرها بين الأهل والأصدقاء ودار الأبرشية التي تداولتها يد الحرب الأهليّة وعبثت بمحتوياتها، الأمر الذي أدّى إلى فقدان جزء كبير من المعلومات.

اتصلت بأدباء عديدين ومؤرّخين وباحثين أسألهم عن المطران بولس الخوري، واستوضحهم عن المراجع التي يمكن اعتمادها. فتعرّفت إلى ابن شقيقه الأستاذ إبراهيم الخوري - مسؤول قسم العلاقات العامة في الجامعة الأميركية - الذي زوّدني المصادر والمراجع كافةً العائدة لعمه والموجودة لديه. إلا أنّ الصعاب لا تنتهي لأنّ الموضوع يتطلّب دقّة وطول أناة ومتابعة جدّية بغية الوصول إلى الهدف العلمي المرتجى.

كما قابلت مستشار المطران السيّد عبد الله القبرصي وصديقه

(1) السفير، تاريخ 2 آب 1955.

ومرافقه المفكّر منح الصلح، والأرشمندريت جوزيف جبيلي الذي رافقه حتى لحظاته الأخيرة. بالإضافة طبعاً إلى اطلاعي على مجموعة من الكتب والأطروحات التي تمكنت من مراجعتها في كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة في الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني.

وبعد هذه الأبحاث والسعي إلى التعرّف على أشخاص مصادر ثقة لقربهم من المطران الخوري صممت على اتخاذه موضوعاً لدراستي يقيناً مني بأن ما جمعته عنه لا يتوفر لكثيرين من الباحثين مراجعتها لصعوبة المصادر والمراجع. وهكذا ترسّخت دوافعي لإنجاز هذا البحث وتوضحت صورة المطران وأهميته خوفاً من أن يجعلنا الزمان ننسى نخبة من رجالات الوطن الذين تندثر بغيابهم جملة من المناقب الحميدة، وبذكرهم نغني تراثنا ونقدّم لأجيالنا مثلاً أعلى في الجمع بين ممارسة التديّن والنضال الوطني الصحيح.

ورغم العقبات التي واجهتها لإتمام الموضوع تمكنت في آخر الأمر من بلوغ حقائق تاريخية جليّة، فأثمر الشوك ورداً والعوسج عنباً. وكانت هذه الدراسة بمثابة اختبارات لذاتي، فروضت نفسي معها على الجلد والصبر وطول الأناة، وكبحت جماحها وميلها إلى الراحة.

ولا ادّعي في أيّ حال انيّ فهمت الرجل على حقيقته، فالكنيسة الأرثوذكسية التي هو ابنها علمته أن يقول الحقيقة بجرأة ووضوح مهما تكن النتائج لذلك كانت النظرة إليه جدليّة. فبعضهم نعته بالمنقذ والملّم بكل الأمور، والبعض الآخر اعتبر انه يكنّ العداء لطائفته وأبناء ملّته. وأتمنى أن أكون قد تمكنت من تحقيق ولو شيء بسيط في إطار كشف النقاب عن شخصية المطران بولس الخوري الغامضة وتسليط الضوء على عقائده السياسية ومواقفه الدينية

والاجتماعية. ناهيك بشخصيته البارزة التي تركت بعداً وطنياً مؤثّراً ليس داخل حدود أبرشيته وحسب بل على مساحة الوطن ككلّ.

وجاءت رسالتي في مقدمة وستة فصول وخاتمة عامة؛ إضافة إلى عدد من الملاحق ولائحة المصادر والمراجع والوثائق والفهارس.

الفصل الأول تمهيد للدراسة يعرض لسيرة المطران بولس الخوري الشخصية من حيث نشأته في بلدته بتعبورة الكورانية، ودراسته الابتدائية والثانوية والإكليريكية في دير البلمند، وانتقاله إلى اليونان لمتابعة دراسة اللاهوت ومن ثم سيامته الكهنوتية انتهاءً بانتخابه مطراناً عام 1948.

ويتناول هذا الفصل أيضاً الاستقبالات المهمة التي أقيمت له في مناطق الأبرشية كافة، والزيارات التي قام بها خارج الكرسي الإنطاكي، إلى جانب تكريمه من قبل المجالس الثقافيّة والاجتماعيّة والكهنوتيّة. ويتوقف هذا الفصل أيضاً عند المطران الصحافي الذي راسل صحفاً عدة في غير بلد، وأنشأ مجلتين.

أمّا الفصل الثاني فيتطرق إلى ميوله العروبيّة التي كانت وراء معاناته زمن الانتداب الفرنسيّ، إضافة إلى نزعته الفكريّة، وأهم المواقف التي اتخذها من الصراعات بين التيارات كافة. فكان رجل الدين الذي فهم الجوهر، المؤمن بالقوميّة العربيّة.

وفي الفصل الثالث تظهر مواقفه السياسية البارزة التي من أجلها هتفت له الجماهير في دمشق سنة 1920 وفي بيروت سنة 1943، داعياً العرب إلى الاتحاد وعدم السماح للغرب بالسيطرة عليهم والتدخل في ما بينهم، وغيرها من المواقف المهمة. كما أتوقف عند ظروف ترشّحه للنيابة ونضاله الديمقراطي، وفشله في الانتخابات.

ويعالج الفصل الرابع أحداث العام 1975 في الشريط الحدوديّ، والدور الذي لعبه بالإضافة إلى أهمّ مواقفه، وانتقاله إلى بيروت لأنّه قال وبجرأة "لا للتعامل مع إسرائيل، لا للوطن المجزأ".

أمّا الفصل الخامس فيتناول أهمّ كتاباته التي قام بجمعها وطبعها في أوقات مختلفة، وهي عبارة عن جزء من مذكّراته الشخصية، مقالات (في جزءين)، محاضرات (في جزءين)، كلمات (في جزءين)، وعظات، والفروقات بين الكنائس المسيحية ومنظومات شعرية، وقصتان هما "ضحية المبادئ الحرة" و "فلسفة الحياة"، وكتاب أقوال وأمثال مأثورة.

أمّا ما قام به من إنجازات إنمائية على مستوى أبرشيته فسنراه في الفصل الخامس. حيث رمم الكنائس، وفتح المدارس، وغيّر بعض العادات داخل الكنيسة في أبرشيته، وقام بسيامة عدد من الكهنة. إلى جانب وضع إصلاحات ليتورجيّة داخل نظام الكنيسة.

وعرضنا آخر أيام حياته في الفصل السادس حيث تطرقنا إلى ساعاته الأخيرة ووفاته وإلى أهم ما قيل عنه أثناء تأبينه وفي احتفالات الذكرى السنوية لوفاته، هذا بالإضافة إلى عرض مفصّل لوصيته - الشخصية والعامة - التي تبرزه الرجل المتفاني المخلص لكنيسته ولأمته العربية.

أخيراً لا يسعني سوى الاعتراف بأن عملي المتواضع هذا ما هو إلاّ برهان على ضرورة الاتصال برجالات الوطن البارزين الذين أعطوا العبر الوطنيّة والإنسانيّة.

ويشرّفني أن أتوج رسالتي هذه بما يختلج به قلبي ويرتاح إليه ضميري من تقدير وعرفان بالجميل لمن أخذ بيدي إلى الشاطئ الأمين بعد أن هداني إلى الطريق القويم. وأخص بالذكر الدكتور

عبد الله الملاح، الذي شجّعني على خوض غمار البحث وإعداد رسالة الدبلوم، غارفة من بحر علمه وتوجيهاته. ولا يسعني سوى الاعتراف بان تأثري به قد ظهر واضحاً لدى كتابتي للفصل الأول، اذ استعملت اسلوب كتاباته في كتابه تحت عنوان «لحد خاطر: الانتخابات النيابية في تاريخ لبنان».

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى عميد كلية الآداب في الجامعة اللبنانية، الدكتور رياض قاسم وإلى أساتذة قسم التاريخ في الفرع الثاني والى الدكتورة هلا سليمان التي افادتني بنصائحها وتوجهاتها.

ولا يسعني سوى الاعتراف بأن هذا العمل المتواضع ما كان ليتمّ لولا تضافر مجموعة من الجهود لإنجازه، وأخصّ بالشكر سيادة المطران إلياس كفوري والأستاذ إبراهيم الخوري، والسيد عبد الله القبرصي والمفكّر منح الصلح، كذلك أقدّم خالص شكري إلى أخي سعيد وقدس الأب فيليب حبيب العقله والشاعر المرجعيوني وسام الجرداق، والمربي الأستاذ ذيب نقولا والأستاذ طانيوس نهرا الذي كان سنداً لي، كما أقدم امتناني إلى الدكتور فؤاد أبو سابا، وأخصّ بالشكر جميع موظفي مكتبة الجامعة اللبنانية، قسم الآداب، الفرع الثاني، لحسن استقبالهم لي ومساعدتي قدر إمكانهم.

واخيراً أتوجه بالشكر إلى كل من أمدّني بالعلم والمعرفة حتى استطعت أن أصل إلى هذه المرحلة في دراستي الجامعيّة. آملة الا يخيب أملي وأملكم وأن يكون الجهد المبذول على قدر آمالي وتوقعاتكم.

الفصل الأول

المطران بولس الخوري

تمهيد

في زمن التحوّلات السريعة، وعدم الاستقرار على موقف واضح في مختلف الأصعدة الدينية والاجتماعية والسياسية، يبقى الثابتون في معتقداتهم علامات تنير درب البشرية، وتبقى حياتهم محطات تستوقف الباحث في ركب الحضارة الإنسانية.

لم يكن المطران بولس الخوري إلا واحداً من هؤلاء الرجال الكبار الذين اثبتوا عبر قرن مصداقيتهم وإيمانهم وانتماءهم، وقداسة الرسالة الإنسانية والكهنوتية التي كان لهم شرف تحملها. فمن هو المطران بولس الخوري. وماذا ترك لنا من مآثر وآثار كتابية ومعنوية وتاريخية؟

1- نشأته

هو حليم ابن الشيخ الكسندر [1] الخوري، أبصر النور في 25

(1) الشيخ الكسندر هو ابن الخوري أندراوس ابن الشيخ حنا ابن الخوري جرجس المقدسي، سيم كاهناً عام 1910 في قرية كفر عقاب، قضاء المتن على يد المطران بولس أبو عضل، وتسمى بالخوري جرجس؛ جرجي باز: المطران بولس الخوري متروبوليت صور وصيدا وراشيا وحاصبيا ومرجعيون، ذكرى السيامة، مطبعة دار الفنون، بيروت، 1948، ص 4؛ صالح زهر الدين: موسوعة رجالات من بلاد العرب، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2001، ص 116؛ والمطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول، صيدا، 1973، ص 51.

أيلول 1896 [1]، في قرية بتعبورة الكورانية، ونشأ في كنف عائلة تقية تألفت من أب وأم [2] وأربعة أشقاء هم [3]:

- الدكتور نسيم (1882-1979).
- المحامي إبراهيم (1890-1937).
- المحامي فهيم (1901-1957).
- مريم زوجة مخائيل بربر (1898-1965).

عاش حليم طفولة هادئة، ساكنة ووادعة، في بيئة متماسكة بعاداتها وتقاليدها، وفي عائلة محافظة، عامرة بالإيمان الديني، تسود فيها مبادئ الصدق والأمانة والاستقامة والجرأة والصراحة، فنرى في بيته الشيخ المسلم والكاهن المسيحي جنبا إلى جنب [4].

يتحدر المترجم له من عائلة «الخوري» التي نزحت من البترون، مسقط رأس الجد الأكبر الخوري جرجس المقدسي، إلى بتعبورة، وسكن فيها عام 1800 [5]. يعتقد الباحثون وأرباب العلم أن بتعبورة تعني في السريانية Bet-Ebura، مكان الغلة أو مخزن القمح والأهراء، وكذلك في العبرية Abur أي الموسم والغلة، وفي الآشورية Ebura أي الغلة والذرة، أما التفسير المحلي للاسم

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 48.

(2) هي سكر إبنة الشيخ أسعد العازار من أميون. خريجة المدرسة الألمانية (مدرسة بروسيا) في بيروت ومنشئة أول مدرسة للبنات في بشمزين - الكورة مع شقيقتها ثيودورة سنة 1876. جرجي باز، المرجع السابق، ص 4.

(3) مقابلة مع الأستاذ إبراهيم الخوري، ابن شقيق المطران بولس الخوري، رئيس قسم العلاقات العامة في الجامعة الأميركية، تاريخ 15 أيلول 2003.

(4) المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول.... ص 16؛ جرجي باز: المطران بولس الخوري .... ص 4.

(5) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 48.

فيرجع إلى بيت عابورة أي المكان الذي يعبر منه، وسبب التسمية أن القرية كانت ممراً لأبناء الجبال النازلين إلى الساحل [1]. قدّر إبراهيم الأسود في سنة 1905 عدد سكانها بمئة وعشرين من الروم الأرثوذكس وكان شيخ صلحها يدعى الشيخ إلكسندر الخوري، ومختارها الشيخ بربر يعقوب [2]. لم يكن فيها مجلس بلدية، وكانت حاصلاتها من تربية دود القز 1500 أقة، ومن زراعة الزيتون 500 قنطار، بالإضافة إلى اعتمادها تربية الحيوانات الداجنة، ومعظم أهاليها مفتربون [3].

تقع هذه القرية في قضاء الكورة، في محافظة الشمال، وتبعد عن مركز القضاء 20 كلم، وعن العاصمة بيروت 74 كلم، وعن مركز المحافظة 28 كلم، وتمتد على ارتفاع 300 م عن سطح البحر، نصل إليها عن طريق كفريا، بدنايل، بتعبورة [4].

عاش صاحب الترجمة عهوداً مختلفة امتدت من الحكم التركي حتى الاحتلال الإسرائيلي للجنوب سنة 1976. فكان شاهداً على المآسي التي خلفتها الحرب العالمية الأولى [5]، وعلى الظلم

(1) أنيس فريحة: معجم المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، الجزء الثالث، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1973، ص 12.

(2) الشيخ إلكسندر هو والد المطران الخوري، وهذا اسمه قبل أن يصبح كاهناً، أما المختار يعقوب بربر فهو زوج عمة المطران الخوري، وقد كان يعتبر من الأصدقاء المقربين لوالده. المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول،... ص 15.

(3) إبراهيم بك الأسود: دليل لبنان، المطبعة العثمانية، بعبدا، 1906، ص 669.

(4) عفيف مرهج: إعرف لبنان موسوعة المدن والقرى اللبنانية، الجزء الثاني، مطابع مؤسسة الأرز للطباعة، بيروت، تشرين الثاني 1971، ص 76 و 77.

(5) المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول،... ص 41.

الذي أنزله جمال باشا السفاح باللبنانيين [1]، وعايش ثورة الشريف حسين عام 1916 [2] كما عانى الكثير من الاحتلال الإسرائيلي للبنان مما حرمه السكن في مرجعيون مركز أبرشيته [3].

2 - دراسته وسيامته الكهنوتية والأسقفية [4]

تعلم حليم في مدرسته الأولى [5] في بتعبورة، كيف يلفظ

(1) الذي أنشأ الديوان العرفي في عاليه، للنظر في جميع القضايا التي تتعلق بأمن الأتراك في البلاد. وقد قام هذا المجلس بسجن كثيرين من السوريين واللبنانيين وبنفي آخرين، وإعدام عدد كبير من الذين اتهموا بالمؤامرة على سلامة الدولة. وهكذا أخذ يصدر الأحكام بالإعدام تنفيذاً لأوامر جمال باشا، فأعدم في 20 آب 1915 أحد عشر شهيداً، وفي سنة 1916 أربعة عشر شهيداً في بيروت، وفي اليوم ذاته أعدم سبعة عشر في دمشق. لذا سمي جمال باشا السفاح. فيليب حتي: تاريخ لبنان منذ اقدم العصور التاريخية إلى العصر الحاضر، منشورات دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1972، ص 589. المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول...، ص 41.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 41-43.

(3) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران بولس الخوري، صيدا، 1973، ص 12.

(4) إن درجات الكهنوت ثلاث: الشماس الإنجيلي، الكاهن والأسقف. أما الأسقفية قد تفرعت منها رتبة رئيس أساقفة، ورتبة متروبوليت، ورتبة اكسرخوس أو كاثوليكس ورتبة بطريرك. الأسقف رافائيل هواويني: الأفخولوجيّ الكبير، طبعة ثانية، أمريها المتروبوليت أنطونيوس بشير، مطبعة قلفاط، بيروت، لبنان، 1990، ص 201-203.

(5) لم يكن في القرية بناء للمدرسة، لذا كان التلاميذ يقصدون منزل أستاذهم للتعلم، وكان كل تلميذ يحضر معه كرسيه الخاص ليجلس عليه، والبناية الموجودة اليوم يعود الفضل الأكبر في إنشائها إلى المطران بولس أبو عضل، والى جد المطران بولس ووالده. المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول...، ص 17.

الحروف الأبجدية لفظاً صحيحاً، وتلقى دروسه الابتدائية في القريتين المجاورتين لها (كفرحاتا وكفتون) بين 1900 و1902 [1]. وفي العام 1906 أدخله والداه مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي [2]، فأقام فيها تلميذا داخليا لمدة ثلاث سنوات متتالية، درس خلالها مبادئ اللغتين الفرنسية والسريانية بالإضافة إلى العربية [3]. ثم التحق بمدرسة البلمند الإكليريكية [4]، حيث تابع دروسه فيها لمدة

(1) جرجي باز: المطران بولس الخوري...، ص 4.

(2) وهي مدرسة إكليريكية مارونية، ذهب إليها بسبب الصداقة التي كانت تربط خاله الشيخ جرجي العازار بسعد الله بك الحويك شقيق البطريرك إلياس الحويك. المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول...، ص 32.

(3) جرجي باز: المطران بولس الخوري...، ص 5؛ وصالح زهر الدين: موسوعة رجالات من بلاد العرب...، ص 116.

(4) تأسست في النصف الأول من القرن التاسع عشر سنة 1833، في عهد رئاسة الأرشمندريت أثاسيوس قيصر الدمشقي، بسبب رغبته في نهضة الكنيسة الأرثوذكسية، ولكن المدرسة لم تدم أكثر من سبع سنوات. أعيد افتتاحها في 3 كانون الثاني 1900 على عهد البطريرك ملاتيوس الدوماني الذي أولاها اهتمامه وعنايته وأوكل أمر الإشراف عليها للمطران غريغوريوس حداد، متروبوليت طرابلس، وعين الأستاذ غطاس قندلفت مديراً لها وعلم فيها أساتذة كبار عرفوا في النشاط العلمي والأدبي، ولكنها ما لبثت أن أقفلت أبوابها ثانية بسبب الحرب العالمية الأولى سنة 1914، واستمّرت على نشاط ضئيل في الفترة ما بين الحربين. ولما اعتلى السدة البطريركية البطريرك الكسندروس الثالث، إهتم أيضاً بالمدرسة الإكليريكية وجدّدها سنة 1936. ولما عهد البطريرك ثيودوسيوس السادس بإدارة هذه المدرسة إلى سيادة المطران اغناطيوس هزيم «غبطة البطريرك فيما بعد» في 30 آيار 1962 ارتفع المستوى العلمي في البلمند إلى المرحلة الثانوية وصار خريجوها يحرزون شهادة البكالوريا اللبنانية القسم الثاني، وتضاعف عدد طلابها. سناء عبود: دير البلمند ومدرسته الإكليريكية (1833-1940)، بيروت، 1983، ص 1.

أربع سنوات، امتدت بين سنة 1909 و1913 تعلم خلالها مبادئ اللغات اليونانية والروسية والتركية ونال شهادتها الثانوية سنة 1913، وعلى الأثر عين معلماً في دير البلمند[1] ومعاوناً للناظر[2]. ثم دعي مع رفاق صفه للذهاب إلى الخارج لإكمال دراسته. ولكنه رفض الذهاب، لأنه رأى أن الذين ذهبوا إلى الخارج لإكمال دراستهم قبل بلوغهم سن الرشد عادوا وقد نسوا لغتهم العربية وأصبحوا يحبون البلاد التي درسوا فيها أكثر من بلادهم[3]. وبذلك بدأت رحلة حياة حافلة على مختلف الأصعدة سنقوم بعرضها من خلال مراحل تفصيلية تسلّط الضوء على أبرز الأحداث التي شكلّت هذه السلسلة المترابطة وأهمها:

---

(1) وهو دير سيدة النياح المعروف باسم البلمند الواقع على تلة تعلو عن سطح البحر حوالي 275 متراً، مكسوة بأحراج السنديان والزيتون واللوز والتين والصنوبر، وهو قلعة قديمة البناء، يعود تاريخ بنائه إلى 30 أيار 1115، إلى عهد الصليبيين. تقول المصادر أن رهبان القديس برناردوس السسترسيون بنوه للعبادة والصلاة. وقد عرف الدير بأسماء متعددة مثل «البلمند» و «بلمون» و «فلمون»، واليوم يدعى البلمند. وقد مر الدير بظروف قاسية، بسبب تقلبات الأحوال ولا سيما الحروب الصليبية، مما أدى إلى إقفاله لسنوات، إلاّ انه في مستهل القرن السابع عشر، وبإشارة من المطران يواكيم، مطران مدينة طرابلس والكورة آنذاك، أعيد فتح الدير وإصلاحه، وكان ذلك في عهد البطريرك الإنطاكي يواكيم الملقّب بابن زيادة الذي جلس على سدة البطريركية من السنة 1593 حتى السنة 1604. ومنذ تأسس المدرسة الإكليريكية أصبح الدير مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بها؛ يزدهر بازدهارها ويهجر بزوالها. إلياس أفندي أسطفان: دير البلمند، مجلة الكلمة، 1907، ص 460.

(2) من هذه المدرسة أخذ إيمانه بالقومية لأن جوها كان عربياً والعلوم فيها تدرس باللغة العربية. المطران بولس الخوري: مذكرات...، ص 30.

(3) «النهار»، تاريخ 28 حزيران 1990.

❖ **المرحلة الأولى:** تبدأ حين قام البطريرك[1] غريغوريوس حداد[2] بإقامة حفل السيامة في البلمند حيث

---

(1) رتبة تفرعت الدرجة الأسقفية، ومنح هذه الرتبة بـ «ترتيب تنصيب بطريرك». الأسقف رافائيل هواويني: الأفخولوجي الكبير...، ص 203.

(2) يدعى غنطوس بن جرجس بن حداد، ولد في قرية عبيه في1 تموز 1859، درس في مدرستها الأولى فبرع بالعلوم اللغوية والرياضية. ذهب إلى بيروت عام 1872 ليعيش بمعية مطرانها غفرائيل، فتثقف على يده، ثم ما لبث أن أرسله معلمه إلى المدرسة الإكليريكية، وفي 24 كانون الأول 1875، اتخذه كاتباً له، وفي 19 كانون الأول 1877، سامه معلمه مبتدئاً في دير سيدة النورية، وسمي غريغوريوس، ثم سامه شماساً إنجيلياً في 29 آب 1879. إلى جانب سيامته كلفه المطران غفرائيل بمهمات عدة منها إنشاء جريدة الهدية، وكذلك أسند إليه رئاسة جميعة «القديس بولس»، درس على نفسه اليونانية والروسية، ودرس على يد العلامة يوسف الأسير الفقه الإسلامي. بعد وفاة مطران طرابلس بصفرونيوس النجار، أنتدب غريغوريوس ليكون خلفاً له فسامه المطران غفرائيل كاهناً، في 6 أيار 1890، ثم نال نعمة رئاسة الكهنوت من يد البطريرك جراسيموس بمشاركة عدد من المطارنة وذلك في 10 أيار من السنة نفسها، فاشتهر بنشاطه واستقامته وعفافه. انتخب أسقفاً لأسقفية طرابلس، فأصلح الدير والمدرسة التي فتح أبوابها في أوائل تشرين الأول 1893، وفي 26 آب 1906 انتخب بطريركاً على إنطاكية، كان شخصية بارزة في العالم الأرثوذكسي، عرف بالفضيلة والقداسة والغيرة، وسعة الآفاق والابتعاد عن الفروق القومية المصطنعة، والمحافظة على التقاليد الموروثة التي تعود بالكنيسة إلى طريق الازدهار وتحفظها من الأخطار المحيطة بها. من أعماله: إنشاء مجلة النعمة، أسس مدرسة إنطاكية في شمالي سوريا، مساندته لجميع المشاريع الخيرية والعلمية والأدبية، بذل المال بسخاء لكل معوز، دون تفرقة في عطاءاته بين الطوائف، وكان له بعض المؤلفات الدينية والتاريخية ، إلى جانب نيله أوسمة كثيرة من الدولة العثمانية والروسية،... توفي في 13 كانون الأول، فنقل جثمانه بموكب نادر المثال إلى بيروت حيث عرض للتبرك، ثم نقل إلى دمشق ودفن في مدافن البطاركة أمام الكاتدرائية المريمية. خريستوستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة إنطاكية، تعريب الأستاذ أستفانوس=

سيم حليم لرتبة «أناغنسطو» (1) في 17 تشرين الأول 1912 في كنيسة السيدة في دير البلمند وسمي بولس (2). وتنتهي هذه المرحلة بسيامته شماساً.

❖ **المرحلة الثانية:** هي مرحلة الشماسية. قام البطريرك غريغوريوس حداد بتكليف المطران جراسموس مسرة (3) بسيامة

=حداد، منشورات النور، لبنان، عام 1984، ص 848؛ سناء حنا عبود: دير البلمند ومدرسته الأكليريكية (1833-1940)، بيروت، 1983، ص 13؛ أسد رستم: كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى 1453-1928، الجزء الثالث، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، 1988، ص 323.

(1) مبتدئ في الرهبنة (لابس جبة)، ولكن حليم ظل في ثيابه العلمانية، تلبية لرغبته، ولم يرتدها إلا عام 1914 بعد اقتناعه بأن في الإكليريكية مجالاً واسعاً لخدمة الوطن، بسبب النفوذ الكبير الذي يتمتع به رجل الدين، وبالتالي يستطيع أن يستخدم هذا النفوذ لمساعدة الآخرين. الأسقف رافائيل هواويني: الأفخولوجيّ الكبير،... ص 203؛ المطران بولس الخوري: مذكرات،...ص 23؛ زينب حمود: الوجه الآخر...لهم، دار الرشيد للعلوم، بيروت، 1993، ص 294.

(2) جرجي باز: المطران بولس الخوري،... ص 5.

(3) هو جورج أسبيردون مسرة، ولد في 18 أيار 1859، في اللاذقية، سوريا، ترعرع في كنف عائلة تقية، في سن الثالثة أدخله والداه إحدى المدارس البيتية لتعلم القراءة، ثم ما لبث أن دخل مدرسة اللاذقية الطائفية، فتعلم اللغة العربية واليونانية والتركية. دخل الدير بتشجيع من المتروبوليت ملاتيوس في 1 آب 1873، وفي 25 كانون الأول من السنة نفسها، سيم راهباً متوحداً واتخذ له اسماً جديداً هو جراسموس. أرسله المطران ملاتيوس إلى استنبول سنة 1875، لتلقي العلوم فدخل مدرسة خالكي اللاهوتية، وبأمر من المطران ملاتيوس عاد جراسموس إلى اللاذقية صيف 1879، فسامه شماساً إنجيلياً في 16 آب، ثم عاد إلى خالكي لإتمام دراسته، فتخرج منها سنة 1882، حاملاً شهاداتها العالية بتفوق، كان الشماس جراسموس أول إكليريكي عربي نال هذه الشهادة، عاد بعدها إلى اللاذقية ليعمل إلى جانب معلمه، الذي سلمه إدارة القسم الإداري في البطريركية وكان ذلك في 15 آب 1884، وفي سنة 1885 تولى جراسموس مهام رئاسة كنيسة الوطنيين الأرثوذكس في الإسكندرية. سامه البطريرك=

بولس شماساً (1)، وكان ذلك في كنيسة السيدة في دير البلمند. بعد السيامة عينه البطريرك في 16 شباط 1918 معاوناً لرئيس الدير الذي كان الأرشمندريت جرمانوس عبدالله من أنفة – الكورة (2).

سافر الشماس بولس في أواخر سنة 1919 إلى أثينا لطلب العلم، فدخل مدرسة «Rizarian» (3) الإكليريكية حيث درس اللغات

=أرشمندريتاً فكاهناً سنة 1888، انتخبه المجمع المقدس للمرة الأولى سنة 1889 مطراناً على أبرشية حلب لكنه رفض، أما المرة الثانية فكانت سنة 1902، على أبرشية بيروت، أبعدته السلطات التركية لأسباب سياسية عن بيروت إلى دير البلمند، مما سمح لبولس العيش بقربه لمدة سنتين مستمعاً لأحاديثه البليغة عن نشاطاته الإكليريكية، وعن مؤلفاته اللاهوتية، وتقديم الأب بولس يد المساعدة له في كتابه وهو بعنوان «النفحة البلمندية في العقائد الأرثوذكسية»، توفي في شباط 1936 مخلفاً وراءه سجلاً حافلاً بالجهاد والنضال. المطران بولس الخوري: مذكرات،... ص 45 و 44؛ غفرئيل صليبي: جراسموس مسرة في دفاعه عن العقيدة الأرثوذكسية، بيروت، 4 شباط 1963، ص 11.

(1) وهي الدرجة الاولى من درجات الإكليروس الكهنوتي، أن قوانين الكنيسة تأمر بأن يكون عمر المنتخب لهذه الدرجة لا يقل عن خمس وعشرين سنة، وإذا كان الشماس معيناً لخدمة الشعب فمن الواجب أن يكون متزوجاً قبل السيامة وإذا كان راهباً في الدير فلا يكون إلا بتولاً أو أرملاً بلا امرأة، الأسقف رافائيل هواويني: الأفخولوجي الكبير،... ص 201 و202.

(2) من أعماله في هذه الوظيفة إحصاء أملاك الدير، وخاصة الزيتون القائم في قرية بطرام فبلغ عدده خمسة آلاف شجرة. المطران بولس الخوري: مذكرات،... ص 7.

(3) وهي مدرسة دينية، بناها الأخوان Mantos & Geawargeos Rizari، وقد دعيت باسمهما Rizarian، وأوقفا لها ثروتهما الطائلة، التي تضمن بقاءها إلى الأبد، تقع هذه المدرسة على ضفاف نهر «السيوس»، بالقرب من القصر الملكي، المطران بولس الخوري: مذكرات،... ص 62.

اليونانية واللاتينية والعبرانية مدة ثلاث سنوات. ثم انتقل سنة 1922 إلى كلية اللاهوت في جامعة أثينا[1] حيث تابع دروسه فيها لأربع سنوات متتالية، وأنهى علومه الجامعية في أواخر حزيران 1926 [2].

وفي أثناء وجوده في أثينا ألف «الجمعية السورية اليونانية» سنة 1922، وجعله البطريرك غريغوريوس حداد أرشيدياكون[3] الكرسي الإنطاكي اسميا وممثلا له [4].

❖ **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة الكهنوت. تبدأ منذ سيامته كاهناً[5] في 18 حزيران 1926 على يد الأسقف إيليا الصليبي

---

(1) إن سبب ذهاب الأرثوذكسيين لطلب العلم في أثينا هو تعلم اللغة التي كتب بها الإنجيل، اللغة اليونانية، ومن يريد التعمق في فهم آياته عليه أن يرجع إلى الأصل اليوناني، ويورد المطران بولس الخوري في مذكراته أن الدكتور أسد رستم عندما ألف «تاريخ كنيسة إنطاكية» اخذ منه كتاب تاريخ الكنيسة الإنطاكية، كذلك أن العالم الكبير سليمان البستاني مترجم إلياذة هوميروس لم يطمئن ضميره إلى صحة الترجمة حتى درس اللغة اليونانية القديمة. هذا بالإضافة إلى رغبة البطريرك اليوناني ملاتيوس متكساكي بخدمة الأرثوذكس بغض النظر عن الأوطان والجنسيات، فكان يسهل لهم دخولهم إلى جامعات أثينا. والجدير ذكره أن البطريرك قد سيم مبتدئاً في دمشق وكان عمره يناهز العشرين، ثم ما لبث أن دخل المدرسة اللاهوتية في القدس، ثم سيم برتبة رئيس أساقفة قبرص، ومنها سافر إلى أميركا الشمالية، ثم انتخب بطريركا على القسطنطينية. المطران بولس الخوري: مذكرات... ص 16.

(2) جرجي باز: المطران بولس الخوري...، ص7.

(3) معناه رئيس الشمامسة، وهو الذي يقوم بتلاوة الإنجيل المقدس حينما يكون الأسقف خادماً القداس الإلهي. الأسقف رافائيل هواويني: كتاب الأفخولوجي الكبير...، ص 268.

(4) جرجي باز: المطران بولس الخوري...، ص 7.

(5) وهو الدرجة الثانية من درجات الإكليروس الكهنوتي، ويجب أن يكون عمر المنتخب لهذه الدرجة، لا أقل من ثلاثين سنة (قانون 14 للمجمع المسكوني)، وتصير سيامته في قداس يوحنا الذهبي الفم أو في قداس باسيليوس الكبير. الأسقف رافائيل هواويني : كتاب الأفخولوجيّ الكبير،... ص 202.

مكلفا من البطريرك غريغوريوس حداد. بعد ذلك دخل الأب بولس في خدمة البطريركية الإنطاكية. ولازم البطريرك غريغوريوس حداد لمدة سنتين، انتدبه فيها لمهمات عديدة منها مهمة المعتمد البطريركي في حلب سنة 1927[1]، وكاتب المجمع المقدس المنعقد في سوق الغرب سنة 1928[2].

ومما يذكر أيضاً أن البطريرك غريغوريوس حداد عندما لجأ إلى دير صيدنايا الواقع شمالي دمشق، بسبب مرضه سنة 1927، اصطحب معه الأب بولس وبقي ملازما له مدة عشرة أشهر ونصف الشهر في هذا الدير[3]. وهنا كتب تاريخ الدير ورتب المكتبة ووضع لها فهرسا علميا ونظم النشيد الذي ما زالت بنات الميتم يرتلنه حتى اليوم، وهذا نصه[4].

حيّ ديراً للبتول   في جبال القلمون
وعلى صخر جميل   قد بناه الأقدمون
أيها الدير القديم   يا سفينة النجاة
لنفوس لا تهتم   بسوى حبّ الإله
فوقك العذراء تصغي   لنداء الضارعين

---

(1) من أعماله، كتب بخط يديه عدة قرارات إصلاحية منها: إنشاء صندوق مالي عام يتقاضى منه رجال الإكليروس رواتبهم، من غبطة البطريرك إلى آخر إكليريكي؛ صالح زهر الدين: موسوعة رجالات من بلاد العرب، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت شارع مار إلياس، 2001، ص 119؛ زينب حمود: الوجه الآخر... لهم، دراسات وحوارات في السيرة، دار الرشيد للعلوم، بيروت، 1993، ص 291.

(2) صالح زهر الدين، المرجع نفسه، ص 119.

(3) صالح زهر الدين، المرجع نفسه، ص 119.

(4) المطران بولس الخوري: منظومات ، صيدا، 1972، ص 35.

ولك الزائر يبغي	ذلك المينا الأمين
كنت حصناً للرجال	في العصور الغابرات
فاصطفاك المتعالي	معبداً للراهبات

ثم عينه في 5 شباط 1928 رئيساً على دير مار إلياس شويا، في ضهور الشوير، ومن أعماله في هذا الدير إدخاله العديد من المبتدئين في الرهبنة، منهم: السيد إلياس معوض مطران حلب، آنذاك، البطريرك فيما بعد [1].

(1) هو إلياس بن دياب معوض، ولد في قرية أرصون في المتن الأعلى سنة 1914، تلقى علومه الابتدائية والثانوية في دير مار جرجس، دير الحرف، (جبل لبنان) وفي مدارس الطائفة الأرثوذكسية في حمص ودمشق. سيم أناغنسطو سنة 1927 على عهد البطريرك غريغوريوس الرابع حداد، وفي سنة 1934 أرسله البطريرك الكسندروس طحان إلى استنبول لطلب العلم فدخل معهد خالكي اللاهوتي، وتخرج منه سنة 1939حائزاً شهادة اللاهوت، عين سنة 1940 مديراً على مدرسة البلمند الإكليريكية. سيم كاهناً ثم رقي إلى الرتبة الأرشمندرتية سنة 1941، انتخب مطراناً على حلب وتوابعها سنة 1950. انتخب بطريركاً في 25 أيلول 1970 على إنطاكية وسائر المشرق باسم إلياس الرابع. له نشاطات عدة منها: سفره إلى البرازيل سنة 1947 لرعاية الجالية العربية في ري دي جانيرو، مثّل الكنيسة الإنطاكية الأرثوذكسية في المؤتمرات الأرثوذكسية العامة في عدد من الدول، زار المملكة العربية السعودية والتقى الملك خالد الذي بحث وإياه في القضايا العربية، مقدماً له اقتراحاً بعقد مؤتمر - إسلامي للبحث في مسألة القدس. هذا إلى جانب اهتمامه بوحدة العالم الأرثوذكسي، زار الكنائس الأرثوذكسية المستقلة، كما تفقد أبرشيات المهجر الإنطاكي، فزار الأميركتين الشمالية والجنوبية سنة 1977، وكانت غايته التفقد الرعائي وتشديد الروابط بين تلك الأبرشيات والكنيسة الأم. وكان للبطريرك مؤلفات عدة منها: كتاب «مختارات من أدب آباء الكنيسة»، كتاب «المعمودية» هذا بالإضافة إلى عدد من المقالات الأدبية واللاهوتية... توفي في حزيران 1979. سناء عبود: دير البلمند ومدرسته الإكليريكية (1833-2940)، لبنان، ص 194-196.

❖ **المرحلة الرابعة:** تبدأ بترقيته إلى رتبة أرشمندريت [1] وكان ذلك في دير البلمند بموافقة المجمع المقدس الذي انعقد في الدير في 18 آذار 1929، وعين وكيلاً عاماً لأبرشية جبل لبنان لمعاونة المطران بولس أبو عضل [2].

بعد وفاة المطران أبو عضل، عهد المجمع المقدس إلى

(1) وهي رتبة تفرعت من الدرجة الكهنوتية، وصاحبها لا يكون إلا بتولاً، وتمنح هذه الرتبة بواسطة صلاة خصوصية من رئيس الكهنة في الكنيسة خارج الهيكل وعادة في وقت الايصدون الصغير (وهي عبارة عن دورة واحدة صغرى بالإنجيل قبل الدخول إلى الهيكل، ويحمل الكهنة خلالها الشموع) في بدء القداس الإلهي؛ الأسقف رافائيل هواويني: كتاب الأفخولوجي الكبير...، ص 203.

(2) هو عزيز حبيب أبو عضل، ولد في دمشق عام 1865 من أبوين أرثوذكسيين حبيب وأفذوكية أبو عضل، دخل المدرسة البطريركية، فتعلم إلى جانب اللغة العربية واليونانية والتركية، الموسيقى الكنسية. ذهب في آب 1881 إلى القسطنطينية بعد التشجيع الذي حظي به من البطريرك أبروثيوس، فالتحق لسنة واحدة بمدرسة الفنار، ثم انتظم في سلك طلبة كلية خالكي اللاهوتية سنة 1882. فأقام فيه أربع سنوات، أنهى دروسه في السنة 1889 حائزاً شهادة في اللاهوت، مجيداً العربية واليونانية والتركية. سيم شماساً إنجيلياً في العام نفسه في كنيسة خالكي وسمي بولس. عاد الشماس بولس إلى الوطن فعمل إلى جانب البطريرك جراسيموس الذي عهد إليه رئاسة القلم، واستمر في منصبه في عهد البطريرك اسبيردون، الذي سامه قساً فأرشمندريتاً سنة 1894، تسلم سنة 1895 رئاسة المدرسة البطريركية، هذا إلى جانب عمله في المحكمة الروحية البطريركية. بسبب إخلاصه وتفانيه في العمل فاز بولس بثقة المطارنة أعضاء المجمع المقدس، فأصبح كاتم أسرار هذا المجمع، وفي 3 شباط 1902 انتخبه مطراناً لجبيل والبترون وتوابعهما، وكان أول مطران على أبرشية جبل لبنان بعد انفصالها عن بيروت. توفي سنة 1929. أسد رستم، كنيسة مدينة الله العظمى...، ص 301 و302؛ المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول...، ص 30.

الأرشمندريت بولس الخوري، مهمة المعتمد لأبرشية جبل لبنان، فحافظ على وحدة الأبرشية خلال الأزمة [1]، وقام بأعمالها لمدة خمس سنوات كاملة (1929-1934) [2]. ثم عينه المتروبوليت ايليا الصليبي[3] في صيف 1938 رئيساً لكنيسة مار جرجس

---

(1) يتألف المجمع المقدس في الكنيسة الأرثوذكسية من المطارنة أعضاء وهذا المجمع يمثل السلطة العليا. وبالتالي لا يجوز انتخاب بطريرك جديد إلا عن طريقه. من هنا كانت الأزمة سنة 1932 عندما تم انتخاب بطريركين هما الكسندروس طحان وأرسانيوس حداد، إذ اجتمع في دير مار جرجس الحميراء تسعة مطارنة وانتخبوا أرسانيوس حداد بطريركاً. وبالمقابل اجتمع في دار البطريركية بدمشق ثلاثة مطارنة وانتخبوا الكسندروس طحان. وقد حكم البطاركة الأرثوذكس بأن الانتخاب في دير مار جرجس الحميراء من قبل تسعة مطارنة هو غير قانوني، وان الانتخاب في دار البطريركية من قبل ثلاثة مطارنة هو القانوني. والأزمة لم تنفرج إلا بوفاة البطريرك أرسانيوس في 12 كانون الأول 1933. المطران بولس الخوري: قضية انتخاب مطران حمص، ص 50.

(2) الأب نايف إبراهيم أسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا وتوابعهما للروم الأرثوذكس، المطبعة البولسية، جونية، لبنان، 1999، ص 75.

(3) ولد في 1 حزيران 1881، في بلدة سوق الغرب، والده داوود بن يوسف بن مخائيل بن حنا الصليبي، والدته فريدة جنجو، من المصيطبة. تلقى علومه الابتدائية في مدرسة القديس جاورجيوس الأرثوذكسية ثم في المدرسة الأميركانية في سوق الغرب. دخل المدرسة الإكليريكية في بيروت بتشجيع من السيد غفرائيل شاتيلا مطران بيروت ولبنان سنة 1892. سيم «اناغنسطو» سنة 1898، واستمر يعاون معلمه غفرائيل حتى وفاة هذا الأخير سنة 1901. سامه المطران جراسيموس مسرة شماساً إنجيلياً سنة 1907، وفي سنة 1909 نال رتبة أرشيدياكون الكرسي على يد المطران جراسيموس، الذي جعله ممثلاً له ووسيطاً للمخابرات الرسمية مع الحكومة التركية. تولى سنة 1911 صلاحية رئاسة المجلس الملي وإدارة الأمور الطائفية في كل ما يتطلبه المقام الأسقفي مدة غياب المطران جراسيموس في أوروبا. رافق المطران جراسيموس سنة 1912 إلى الأستانة وزار برفقته السلطان محمد رشاد الخامس، الذي منحه وسام المجيدي الثالث. رقي أرشمندريتاً سنة 1918. انتخب أسقفاً أصيلاً لأبرشية بيروت سنة 1926. بعد أن قضى عاماً=

الكاتدرائية في بيروت[1]، وفي 21 كانون الأول 1941 منحه لقب بروتوسنجلوس[2]، يضاف إلى ذلك أن المتروبوليت ايليا الصليبي عينه ايضاً رئيساً لجمعية الرسولين بطرس وبولس في بيروت (1942-1944) [3]. كما عينه مرشداً لحركة الشبيبة الأرثوذكسية[4]، ومدرساً للعلوم الدينية في مدرسة الثلاثة الأقمار[5]، وفي مدرسة

=على خدمتها، وتسلم عصا الرعاية في احتفال كبير أقيم له في دمشق. رقي إلى رتبة رئيس أساقفة، سنة 1929، أصبح متروبوليتاً أصيلاً سنة 1926، احتفل بيوبيله الفضي بعد مرور 27 سنة على توليه رعاية أبرشية بيروت عام 1963. انتقل إلى رحمة الله صباح 11 تشرين الأول 1977. عمل طيلة حياته على زرع أطيب العلاقات مع الكنائس المستقلة في رحلاته إلى روسيا وأميركا وفرنسا وبريطانيا واليونان وتركيا، وأرسى أسس مستشفى جاورجيوس إلى طليعة المستشفيات، وقد نال أكثر من عشرين وساماً من أرفع الأوسمة التي لا يحملها سوى البطاركة ورؤساء الدول أهديت إليه تقديراً لأعماله في حقل البر والإحسان. انطوان خويري: ... وأخيراً أحرقوه، حوادث لبنان 1977-1978، الجزء السادس، منشورات دار الأبجدية، جونية، لبنان، 1978، ص 151 و 152؛ الأنوار، تاريخ 7 تموز 1972.

(1) صالح زهر الدين: موسوعة رجالات...، ص121.

(2) أوّل المتقدم بين الأرشمندرتية أو مدير شؤون الأبرشية. الأب رفائيل هواويني: كتاب الافخولوجي الكبير...، ص 203.

(3) تأسست في بيروت عام 1942، صالح زهر الدين: موسوعة رجالات من بلاد العرب...، ص 121.

(4) تأسست في بيروت سنة 1942، بعد موافقة المتروبوليت إيليا الصليبي، غايتها "تعاون الشباب الأرثوذكسي لإيجاد نهضة دينية وأدبية في الطائفة". المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 16.

(5) وقد أسسها الروم الأرثوذكس سنة 1856. جيروم شاهين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، الطبعة الأولى، مجلس كنائس الشرق الأوسط برنامج الدراسات والأبحاث، بيروت، لبنان، 2001، ص 800.

البنات الرسمية، في بيروت. ويلاحظ الأرشمندريت بولس أن كل الكتب الدينية الموضوعة باللغة العربية تدور حول موضوع واحد «بماذا نؤمن؟» أما موضوع «ماذا يجب علينا أن نعمل»، فليس عند الأرثوذكس - حتى ذلك الحين - أي كتاب عربي [1]. كذلك عهد إليه بإلقاء العظات والمحاضرات في الكنائس وفي الحفلات وفي الإذاعة، بين سنة 1938 و 1948 [2].

❖**المرحلة الخامسة والأخيرة**: وهي مرحلة الأسقفية أو سيامته مطراناً [3] على أبرشية صور وصيدا وتوابعهما، منتخباً من قبل المجمع الإنطاكي في 26 شباط 1948. جرت سيامته في تاريخه بكاتدرائية مار جرجس بيروت، برئاسة البطريرك الكسندروس طحان واشتراك مطارنة الكرسي الإنطاكي وحضور حشد من أبناء أبرشية صور وصيدا وأبرشيات جبل لبنان وطرابلس والكورة وغيرها. وبتاريخ 9 تشرين الأول تسلم المطران بولس الخوري أبرشيته رسمياً فجرت له في مراكزها الخمسة في صور وصيدا ومرجعيون وحاصبيا وراشيا الوادي، استقبالات قل نظيرها [4]. وقد خلف المطران بولس الخوري الكوراني، المطارنة ثيودوسيوس

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 105.

(2) صالح زهر الدين: موسوعة رجالات...، ص121.

(3) وهي رتبة تفرعت من الدرجة الأسقفية، وتمنح لمن يتسلم الأبرشية ويصبح عضواً في المجمع الإنطاكي المقدس، الذي يعطي القرارات والنصوص المتعلقة بنظام الكرسي الإنطاكي المقدس ومنحها يصير بمجرد التسمية أي بدون خدمة أو صلاة كنائسية خصوصية؛ الأسقف رافائيل هواويني: الأفخولوجيّ الكبير...، ص 204 و203.

(4) جرجي باز : المطران بولس الخوري...، ص 8؛ صالح زهر الدين: موسوعة رجالات ...، ص 121.

أبي رجيلي [1]، وايليا الناصري [2] وميصائيل اسبريان،

(1) ولد في بيروت سنة 1885، من والدين تقيين سليم أبو رجيلي ولبيبة بدران، تلقى علومه الابتدائية في مدرستي الثلاثة أقمار والفرير. حين بلغ سن الشباب، شعر بميل شديد إلى الحياة الرهبانية فانتقل إلى دمشق، وعاش في الدار البطريركية في كنف البطريرك ملاتيوس الثاني، تابع دروسه في مدرسة الآسية الأرثوذكسية. سيم مبتدئاً سنة 1905 بتكليف من البطريرك ملاتيوس الذي أرسله إلى مدرسة البلمند الإكليريكية، فأنهى دروسه فيها على عهد البطريرك غريغوريوس حداد، الذي سامه شماساً إنجيلياً. أرسله البطريرك سنة 1908 إلى ديار بكر لمساعدة مطرانها سلفستروس درعوني فتعلّم اللغة التركية. وبعد انتخاب المطران ملاتيوس قطيني سنة 1912 لأبرشية ديار بكر، أرسله البطريرك إلى مدرسة الجنس في القسطنطينية فنال شهادتها ثم انتقل إلى كلية خالكي اللاهوتية. فقضى في هذه المدرسة أربع سنوات، أجاد في أثنائها اليونانية والعلوم اللاهوتية. وفي سنة 1915 سيم كاهناً فأرشمندريتاً، ثم عاد إلى دمشق واضعاً مواهبه النادرة ومقدرته في تصرف البطريرك غريغوريوس الرابع حداد بصفة كاتم سر خصوصي لغبطته، وممثلاً لدى السلطات، وقد عرف ب «المترجم». حين اندلعت نيران الحرب الكبرى، أسند إليه البطريرك وظيفة ضابط ارتباط بين البطريركية والحكومة التركية لخدمة أبناء الملّة. أنتخب سنة 1923 مطراناً على أبرشية صور وصيدا وتوابعهما، ونقل بقرار مجمعي سنة 1948 إلى أبرشية طرابلس، ثم انتخب بطريركاً على إنطاكية وسائر المشرق باسم ثيوذوسيوس السادس في 14 تشرين الثاني 1958. توفي سنة 1983، سناء عبود: دير البلمند ومدرسته الإكليريكية ... ص 198؛ أسد رستم،كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى، الجزء الثالث...، ص 373 و 375.

(2) هو الياس ديب من الناصرة، ولد في البويضة، قرب جديدة مرجعيون، سيم مطراناً على صور وصيدا وتوابعهما سنة 1909، حضر سنة 1910 المجمع الإنطاكي المقدس، وهي المرة الأولى التي يجتمع فيها إثنا عشر مطراناً والبطريرك في دمشق، وبالرغم من أن المطران إيليا من أبناء الأبرشية التي تسلم زمامها، وعليه واجبات وحقوق تجاه رعيته ومنصبه، فهو لم يتمكن من القيام بخدمتها لأسباب غامضة، لذا انتقل إلى زحلة، وابتعد عن رعيته، الأمر =

اللاذقي[1]، وجراسيموس طراد، البيروتي[2]، وجراسيموس فرح،

=الذي دعا أبناء الرعية إلى تأليف وفد لزيارته، وعاد به إلى مقر الأبرشية ثم عاد وغادر مركزه متوجهاً إلى أميركا الجنوبية سنة 1911، بحجة فقر الأبرشية ليجمع المال، استقال سنة 1924، واستقر بقية عمره في جمهورية تشيكي في أميركا الجنوبية؛ الأب نايف أسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا وتوابعهما...، ص 68؛ أسد رستم: كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى، الجزء الثالث...، ص 345.

(1) ولد في مدينة اللاذقية في 1 تشرين الثاني 1828، والده الخوري صاموئيل اسبريان ايكونومس كرسي اللاذقية، تلقى علومه اللاهوتية والمدنية واللغتين اليونانية والتركية وآداب اللغة العربية في مدارس دمشق، ثم أرسله البطريرك ايروثاوس إلى البلمند ليدرس العلوم اللاهوتية واللغتين التركية واليونانية. سيم شماساً إنجيليا سنة 1858، ثم سافر إلى الأستانة تلبية لدعوة البطريرك فبقي في معيته سنتين. عاد إلى دمشق سنة 1860، فصار يرتقي درجة فدرجة في خدمة الكهنوت. في سنة 1962 أرسله البطريرك إلى صور لأجل بناء كنيستها فبقي هنالك حتى أكمل بناءها. انتدبه البطريرك أثناء غيابه في الأستانة سنة 1865 وكيلاً عنه في الكرسي الإنطاكي مدة سنتين، فعمل على استرجاع كنيسة القديس يوحنا الدمشقي من يد الطائفة الكاثوليكية على عهد رشدي باشا. سامه البطريرك مطراناً على صور وصيدا وتوابعهما، بتاريخ 1 تشرين الثاني 1867، فاتخذ حاصبيا مركزاً له في مواجهة المرسلين البروتستانت كذلك انطلق متجولاً في أنحاء الأبرشية، مصلحاً شؤونها باذلاً جهداً لرد هجمات الطوائف الغربية. أنعمت عليه الدولة العثمانية نيشان في رتبة عالية سنة 1886، كذلك أهدته اليونان وسام المخلص الثاني، توفي في 7 تموز 1906 في بلدة حاصبيا بسبب أمراض عاناها. الأب نايف إبراهيم أسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا وتوابعهما...، ص 64؛ أسد رستم، المرجع السابق، ص 227 و335.

(2) سيم مطراناً على صور وصيدا وتوابعهما سنة 1865، اتخذ من مرجعيون مركزاً أسقفياً ليكون قريباً من المناطق التي شهدت أحداثاً دامية، عمل على تشجيع الهاربين للعودة إلى منازلهم، توفي في مركز الأبرشية في مرجعيون سنة 1867 الأب نايف أسطفان، المرجع السابق، ص 64؛ أسد رستم، المرجع السابق، ص 22.

الدمشقي[1]، فكان يمشي على خطى الأجيال الخمسة السالفة، عاملاً على تشذيب الأخطاء وتصحيحها بهدف مواكبة الكنيسة لمستلزمات الحياة العصرية.

تميزت هذه الأبرشية عن سائر الأبرشيات بتعدد أماكن إقامة المطران فيها لاتساع مساحتها الجغرافية وتعدد مراكزها الإدارية. فقد شملت أربع محافظات هي الجنوب، النبطية، البقاع وجبل لبنان. وتوزعت الرعايا في قضاءي صور وصيدا في محافظة الجنوب، وفي قضاءي مرجعيون وحاصبيا في محافظة النبطية، وفي قضاء راشيا الوادي في محافظة البقاع، وفي قضاء الشوف في محافظة جبل لبنان[2].

3 - الاحتفالات بالسيامة

انتهت يوم الأحد 3 تشرين الأول 1948، حوالي الساعة الحادية عشرة، حفلة القداس والسيامة بعدها وضع غبطة البطريرك التاج على رأس المطران الجديد، وسلمه عصا الرعاية ووجه إليه خطاباً بليغاً ضمنه الإرشادات والنصائح والتمنيات بتوفيقه في أبرشيته الجديدة. وعندها ألقى المطران الجديد خطاباً رناناً أشاد فيه بأهمية رئاسة الكهنوت وقدّم شكره لغبطة البطريرك وللسادة المطارنة ولجميع الحضور[3].

(1) عمل أستاذاً في مدرسة سيدة البلمند، قبل أن يصبح مطراناً على أبرشية صور وصيدا وتوابعهما، وأثناء توليه أبرشية صور شهدت مناطق حاصبيا وراشيا نزوح عدد كبير من الروم الأرثوذكس عن منازلهم. ميشال ثابت الخوري: تاريخ أبرشيات صور 1800 – 1914، الطبعة الأولى، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003، ص 178.

(2) الأب نايف اسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا وتوابعهما...، ص 89.

(3) المطران بولس الخوري: الاحتفالات والتهاني بالسيامة 1948، جديدة مرجعيون، 1953، ص 5.

وبعد الانتهاء من الاحتفال الرسمي، خرج المطران الجديد ومعه البطريرك والمطارنة، فاستقبلهم الجمهور المحتشد داخل الكنيسة وخارجها بالتصفيق والهتاف، وأديت لهم التحية الرسمية ثم أقلّتهم سيارتهم إلى دار المطرانية، حيث ألقيت عليهم الخطب الكثيرة ونظمت القصائد نذكر منها[1]:

❖ خطاب الدكتور رشيد معتوق الذي عبّر فيه عما يختلج في قلبه وفي قلوب الكثيرين من أهالي المنطقة، الذين انتظروه طويلاً لما سمعوا عن أعماله ومواقفه السامية، في زمن كان الشرق فيه يئن تحت وطأة التأخر العلمي والخلقي، ومن أهم هذا الشرق الأمة العربية، التي تحتاج إلى أمثال المطران الجديد لتسييرها نحو التحرر من الانحطاط والجهل.

وطالب المطران الخوري أن يكون رسول نور وحق، راجياً منه أن يضرب بالعصا التي لا تؤذي، عاملاً على تبديد الظلمة وتلاشي الفساد[2].

❖ وخطاب المحامي يوسف مخايل الخوري من البترون، ذكّره بأنه سيم في زمن هم في أمس الحاجة لرجل، مرشداً وواعظاً مثله، رجل المواقف الحرة، رجل يبث الإيمان والتقوى في قلوب أفراد المجتمع، خاصة أن هذا المجتمع ما يزال متأثراً بالأوقات العصيبة التي مرت عليه بسبب الأزمات الأخيرة. وهو الشخص المناسب ليقوم بهذه المهمة نظراً لما له من المكانة والمحبة في قلوب الكثيرين[3].

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 6.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص21؛ رشيد معتوق: سيادة المطران بولس الخوري مطران صور وصيدا وتوابعهما، مجلة المعارف، مطبعة فارس، بيروت، مجموعة 1948، ص 30.

(3) المطران بولس الخوري: الاحتفالات والتهاني بالسيامة 1948، جديدة مرجعيون، 1953، ص 24.

❖ أمّا خطاب المتقدم في الكهنة مخائيل سعود وبالنيابة عن إكليروس بيروت فقد لفت إلى ما في نفوس الناس من آمال معلقة على شخصية سيدهم المطران في عدالته وصلاحه، الناس الذين يريدونه عوناً للمظلوم على الظالم، يريدونه أن يحنو على الفقير البائس وان يضرب على أيدي الجشعين الطغاة.... مقدماً له النصح بان يكون ميزان عدل يعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وأكد له أن الطائفة الأرثوذكسية تهنئ نفسها على سيامته مطراناً وكأن درة جديدة تضاف إلى سائر الدرر التي ترصع تاج الكنيسة. بالإضافة إلى قصيدة نظمها لهذه المناسبة ومطلعها[1]:

حيوا الرسول وهنئوا المطرانا   وتناقلوا يوم المنى بشرانا
جند الأعالي رددت أنغامها   بين الصنوج تسبح الرحمانا
يوم أقامته الجوار وأرضنا   يوم الجلال يعانق الإيمانا

ومن القصائد التي نظمت للمناسبة أذكر قصيدة الأستاذ جبرايل غرزوزي من بيروت ومطلعها[2]:

اليوم هذا يومكم يا بولس
فيه على كرسي الرئاسة تجلس
كرست مطراناً لأكرم بيعة
فحياتكم لرقيها تتكرس
ولبست شارات الرعاية حيثما
في لبسها ثوب القداسة تلبس
كن للرعية راعياً ومعلماً
وسوى الفضيلة والتقى لا تغرس

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 26 و 27.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 29.

انتهى هذا اليوم العظيم بتناول صاحب الغبطة وأصحاب السيادة والوفود المهنئة غداءهم حوالي الساعة الواحدة على مائدة سيادة المطران ايليا الصليبي الجزيل الشكر في بيروت .

4 - استقبال المطران بولس الخوري على امتداد الأبرشية

لكل أبرشية أهميتها الخاصـة، وأهمية أبرشية صور[1] وصيدا[2] وتوابعهما متعددة، فهي أرض الساحل اللبناني العريق بتاريخه، والمقدم بالذكر في الكتاب المقدس، في العهد الجديد، كون السيد المسيح قد ذكره في تعليمه وعجائبه. وقد نشأت فيه المسيحية الأولى. وأهم ما شيّد من كنائس الشرق، بعد انقضاء قرون الاضطهاد والاستشهاد، كنيسة صور الفخمة التي دشنت بحضور عدد كبير من الأساقفة عام 335.

وما يلفت النظر في أهمية هذه الأبرشية ومكانتها، النزاع الطويل الذي حصل بين متروبوليتها فوتيوس مطران صور، وافسطاتيوس، أسقف بيروت، الذي أراد أن ينتزع حق التقدّم لأبرشيّة صور على كل الساحل الفينيقي، من صور إلى طرطوس. دفع هذا النزاع إلى حكم المجمع المسكوني الرابع في الجلسة الرابعة في 17 تشرين الثاني453، بحق التقدّم لصور، وتبعيّة بيروت لها.

وبناء على ذلك، نشأ في التقليد القديم والى الآن، أن مطران صور وصيدا هو الذي يسلم عصا الرعاية والرئاسة لبطريرك

(1) جاء إن صور (ومعنى اسمها صخر) قائمة على رأس داخل في البحر تحميه صخرة طولها قرابة ميل وعرضها ثلاثة أرباع الميل". وقد قال عنها حزقيال النبيّ "الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة". فيليب حتي: تاريخ لبنان، دار الثقافة، بيروت، 1972، ص 119: الكتاب المقدس: حزقيال 27:3.

(2) ورد ذكرها في الكتاب المقدس «وكنعان ولد صيدون بِكْرَهُ وحثًا». الكتاب المقدس: سفر التكوين 10:15.

إنطاكية المنتخب، وان يكن اصغر المطارنة سنًا ورسامة[1].

وبعد أن نلمّ بكل تاريخ هذه الأبرشيّة القديمة الأصيلة، لا يسعنا إلا أن نقر بأمر هام، ألا وهو بقاء طابع هذه الأصالة المسيحية في تقليد هذه الأبرشية، ومسلماتها بأذهان وأفكار أهاليها إلى الآن في المدن والقرى، سواء في أهمية الكنائس والمزارات والمقامات، أو في الالتزام بالإنجيل من حيث العقيدة والأخلاق والتربية والعادات.

ولطالما ظهرت هذه الأبرشية، منذ القديم، وبالرغم من ضآلة عدد الأرثوذكسيين، بسبب الهجرة والاغتراب والنزوح والتهجّر، مركزاً حضارياً وشرياناً نابضاً في قلب الكنيسة الأرثوذكسية. فكانت وما زالت رمزاً للعلاقات الاجتماعية والتعايش الوطني المثالي في سبيل توافر الراحة والطمأنينة والسعادة[2].

انتقل الموكب، في 9 تشرين الأول 1948، من دار مطرانية بيروت، يضمّ شخصيات من أرقى طبقات الشعب اللبنانيّ، وفي مقدمتهم: مطران عكار السيد ابيفانيوس زائد[3]، والأسقف

(1) الخوري أيوب سميا: صور، مجلة الأرثوذكسية، العدد التاسع، السنة الثالثة، تشرين الثاني 1953، ص 1-6.

(2) الأب نايف إبراهيم أسطفان: تاريخ أبرشية صور،...، ص 35-47.

(3) هو خليل بن موسى يوسف الزائد والدته وردة الخوري سليمان، ولد في دير عطية في سوريا بتاريخ 4 آب 1890، تلقى علومه الابتدائية في المدرسة الروسية، دخل سنة 1904 المدرسة الإكليريكية في دير البلمند، فتلقى دروسه اللاهوتية، وفي سنة 1909 أرسله البطريرك غريغوريوس حداد إلى روسيا ليدرس التصوير الكنسي في دير القديس سرجيوس، قرب موسكو. بعد عودته إلى دمشق سيم شماساً إنجيلياً في 24 أيلول 1911، ثم رقاه البطريرك حداد سنة 1918 إلى رتبة رئيس شمامسة. أسس سنة 1921 جمعية الرابطة الأدبية في دمشق، انتخبه المجمع العلمي العربي سنة 1924 عضواً في لجنة الفن والترجمة، وفي سنة 1925 انتخب مطراناً على أبرشية حمص، وفي سنة 1941 عين مطراناً على =

سرجيوس سمنه[1] ومندوبون عن مطران بيروت الذي تأخر عن الرحلة لوعكة صحية.

وكان غبطة البطريرك قد قدم سيارته للمطران الجديد فركب فيها مع النائب البطريركي وتبعه عدد كبير من السيارات تتقدمها الدراجات النارية بأمر من رئيس الجمهورية الذي دعا سيادة المطران الجديد مع بعض المطارنة إلى الغداء في قصر بيت الدين.

كانت المحطة الأولى في صيدا حيث تجمهر الأهلون على اختلاف الطوائف والمذاهب يستقبلونه بالترحاب. وقبل دخوله المدينة، لاقاه مرحباً مندوب الحكومة سعادة محافظ لبنان الجنوبي الأمير عبد العزيز شهاب، الذي كان أول من دعا صاحب السيادة والوفود إلى تناول المرطبات في السراي، فتكلم سيادته قائلاً: «إن

=أبرشية عكار. أرسله المجمع المقدس سنة 1960 إلى الولايات المتحدة الأميركية لتفقد أبناء الطائفة هناك، كما انتدب لتمثيل الكرسي الإنطاكي في مناسبات رسمية. نال أوسمة عدة، كان لديه إلمام بعدة لغات، إلى جانب تأليفه مجموعة من الكتب، كان يتقن سيادته من الفنون الجميلة النقش، والنحت، والتصوير والموسيقى، توفي في 27 كانون الأول 1982. سناء عبود: دير البلمند ومدرسته الإكليريكية ....، ص 167.

(1) من أخباره التي استطعت الحصول عليها، انه من مواليد دمشق 1893، تلقى علومه اللاهوتية في جامعة البلمند، ثم سافر إلى أثينا عام 1920، فدخل جامعة الريزاريون ونال شهادتها عام 1927، عين من قبل مطران أثينا شماساً إنجيلياً في إحدى الكنائس ليعاون الكاهن في الخدم، بعد عودته إلى لبنان عين مديراً على مدرسة البلمند عام 1938، علّم لمدة ثلاث سنوات اللغة اليونانية والموسيقى في المدرسة، قضى مدة من الزمن في ديار بكر بمعية المطران ملاتيوس قطيني، يتقن اللغة اليونانية والفرنسية والتركية. المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول....، ص 51.

وجودي في السراي معناه تعاون الكنيسة مع الدولة، وإني مستعد للتعاون مع الحكومة إلى ابعد حد»[1]. ومشى الموكب إلى دار المطرانية الأرثوذكسية في صيدا، حيث كانت تفاصيل الاستقبالات تنقل عبر مكبرات الصوت؛ وبعد خطب ألقيت للمناسبة رد سيادته على الخطباء «شاكرا مظاهر الحفاوة، داعيا الشعب إلى التضامن مؤكداً انه سيكون دائماً في الطليعة متى صفت النيات وخلصت للتضامن والتفاهم الإخاء»[2]... .

ثم سار الموكب إلى النبطية، قاعدة الجنوب، حيث تجمع الأهلون في البلدة من القرى المجاورة، المسلمون يحملون السناجق والمسيحيون الصلبان، فتجلى التعايش بأبهى مظهر في لقاء المطران الجديد. وعندما وقف الأستاذ إبراهيم فران[3] ليقدمه إلى الحضور كقائد عربي اعترض عليه قائلاً: «إن لكم زعماء كثيرين، فلن أكون بينكم زعيماً، وأنا سعيد في أن أكون في خط النار وفي جبهة القتال حيث بلدات أبرشيتي، فأنا جندي أدرأ العدوان عن هذا الوطن، وادفع المخاطر عنه وعن حدوده بصدري وما ملكت يداي». فهتف له الجميع طويلاً، فشكرهم واستأنف المسير[4].

بعد النبطية اكمل الموكب سيره نحو الليطاني حيث اجتمع أبناء مرجعيون لاستقبال مطرانهم، ومواكبته إلى مفرق بلدة دير ميماس حيث نصب الأهالي أقواس النصر وأنابوا أحدهم لتهنئته ثم تابع الموكب سيره إلى قرية القليعة تحت أقواس النصر، وتكلم

(1) المطران بولس الخوري: الاحتفالات والتهاني بالسيامة 1948، 1953، جديدة مرجعيون، ص 8.

(2) المطران بولس الخوري: الاحتفالات التهاني بالسيامة...، ص 12 و 13.

(3) خطيب بلدة النبطية آنذاك. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 13.

(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 13.

أحد الأطباء[1] مرحباً بالمطران وبموكبه.

ثم تابع الموكب مسيرته إلى جديدة مرجعيون وما كاد يدخل حدودها حتى كانت الوفود العديدة والأهلون قد تجمعوا كالبنيان المرصوص صفاً صفاً فترجل سيادته والمواكبون، وسار أمامهم مع الكهنة السائرين بالصلبان والمباخر والأعلام، والأهلون يرنمون الأهازيج والحداء اللبناني المنبعث من صميم القلب إلى أن وصل الجميع إلى الكنيسة الإنجيلية حيث كان في استقباله على بابها رجال الطائفة يتقدمهم القسيس حنا حردان: الذي ألقى كلمة بالمناسبة، معبراً فيها عن مشاعر الصدق والمحبة التي تكنها الطائفة الإنجيلية للمطران الجديد، مشيراً أن مروره على بيت الله الخاص بالطائفة لهو أكبر دليل على التساهل الطائفي الذي عرف به سيادته. بالإضافة إلى تعهده أمام الله والناس بأنه سيكون آباً للجميع دون تمييز بين مختلف الطوائف.

وأكدّ القسيس لسيادة المطران انه أتى في وقت كان الجنوب بأمس الحاجة إلى رعاة صالحين يبذلون نفوسهم من أجل الخراف، وإلى قادة يقولون للشعب اتبعونا في طريق الحق والعدل والفضيلة: مختتماً كلمته بتوجيه الدعاء إلى الله عز وجل أن يمد بعمره ويساعده على اتمام جهوده الحسنة [2].

بعد ذلك تابعوا السير إلى الكاتدرائية الغاصة بالجموع مع ساحتها والممرات المؤدية إليها والسطوح والشرفات، التي كانت تنثر منها الورود بغزارة. هناك صلى المطران ومرافقوه صلاة قصيرة،

(1) وهو الدكتور سليم من آل فرنسيس، العائلة الوحيدة المعروفة بمستواها الثقافي والاجتماعي في ذلك الحين. القسيس حنا حردان : الأخبار الشهية، مطابع الزمان، بيروت، 1941، ص 756.

(2) المطران بولس الخوري: الاحتفالات والتهاني بالسيامة...، ص 50، 51.

ثم ألقى خطبة بليغة شكر فيها رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، والموظفين من حكوميين وعسكريين، والشعب وأبناء رعية الجديدة. ثم عرج سيادته على الكنيسة الكاثوليكية، وتابع سيره إلى دار المطرانية الأرثوذكسية وفيها تبارى خطباء كثيرون في إلقاء الخطب والتهاني، ثم جلس الجميع إلى مائدة سخية أعدتها الأبرشية للضيوف. وكان من الحضور كل من:

❖ الشاعر المرجعيوني فؤاد جرداق[1]، الذي ألقى قصيدة جاء فيها:

أنبت المرج سوسناً وأقاحا

وتردى من الجمال وشاحا

وانبرى العندليب يقرض شعرا

في ذرى الأيك لذة ومراحا

عشت للثورة الفتية زندا

تصطلي بي لا شاعرا مداحا

بقدوم الحبر الجليل المعلى

ليداوي الأجسام والأرواحا[2]

(1) أديب وشاعر لبناني ومهندس زراعي، ولد في جديدة مرجعيون سنة 1910، أنشأ عدة صحف بالاشتراك مع كل من سجيع الأسمر وفؤاد الشمالي، من هذه الصحف جريدتا العجائب والمريخ. وتعاون في إخراج جريدة الشعلة لفاضل سعيد عقل، كانت له مواقف نضالية وطنية في أيام الانتداب الفرنسي، حيث عانى الأمرين من سجن وتوقيف من قبل السلطات الفرنسية في سبيل مبادئه السياسية والوطنية. من مؤلفاته أدب العرب، الخيل العراب، زراعة النباتات، الهواجس، البلاغة والبيان، الصرف والنحو والمنعشات. مقابلة مع نجله الأستاذ وسام فؤاد جرداق، مرجعيون، في 2 تشرين الأول 2003.

(2) المطران بولس الخوري: الاحتفالات والتهاني بالسيامة 1948...، ص 60.

❖ والسيد كامل أبي سمرة، من وجهاء بلدة إبل السقي الذي ضمّن خطابه أبياتاً من الشعر جاء فيها أن أبناء أبرشية مرجعيون يأملون خيراً من سيادته، وذلك بسبب رحمته المسيطرة في عقله وأخلاقه العالية التي تدعوه إلى العمل الصالح، مؤكداً له أن أبناء الأبرشية يؤمنون برسالته وبتعاليمه وهم مستعدون لأن يسيروا في أثره. أما القصيدة الشعرية فمطلعها:

صبح الترقي أشرقت أنواره

فشدا على غصن الفلاح هزاره

الفوز أقبل رافلا في برده

جذلان تصدح بالغنا أطيـــاره

والسعد وافى والنحوس تمزقت

والمجد حل وأينعت أثمـاره[1]

أمّا الأستاذ شوقي حداد[2] من جديدة مرجعيون فلفت في خطابه، إلى تحدر سيادته من بيت عريق في المجد والعلم والكهنوت.

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 39 و40.

(2) من مواليد جديدة مرجعيون، توفي عن عمر يناهز التسعين عاماً، ذاع صيته طويلاً في سماء مرجعيون، لعب دوراً عظيماً في تهذيب الناشئة المرجعيونية، زاول التعليم في البدء في الكلية الأرثوذكسية، ثم ترأسها من عام 1938 حتى عام 1946، حيث تم اتحاد الكلية الأرثوذكسية مع المدرسة الإنجيلية. بعد ذلك دّرس في كلية مرجعيون الوطنية كأستاذ للغة العربية. إلى جانب حبه للأدب العربي، كان خطيباً ومحدثاً لبقاً، وقد شهدت قاعة المحاضرات في نادي المرج في بلدته العديد من مواقفه الخطابية الرائعة، والمربي شوقي الحداد هو احد الرجال الأفاضل الذين جعلوا من الجديدة منارة إشعاعية تشخص الأبصار إليها. هنري أبو عراج: العلم في مرجعيون، كتاب قيد الطبع، مرجعيون، لبنان، ص 18.

وانه من الأشبال الذين رفعوا ليس فقط اسم الكورة عالياً بل اسم لبنان، وهذه الأهمية لسيادته برزت من خلال الأعمال التي قام بها في الحقلين الديني والدنيوي والتضحيات الكبيرة في سبيل إعلاء شأن الطائفة الأرثوذكسية التي كرس حياته لخدمتها؛ مؤكداً له أن أبناء هذه الأبرشية سيكونون عوناً كبيراً له، يؤازرونه ويسيرون حسب إرشاداته وتوجيهاته، بكل ما يؤول لخير وطننا الحبيب لبنان[1].

وعندما أرخى الليل سدوله أضيئت المطرانية بالأنوار وأطلقت الأسهم النارية ابتهاجاً، وهكذا انتهى اليوم الأول للاستقبال[2].

ترأس سيادته أول قداس احتفالي في أبرشية مرجعيون الجديدة يوم الأحد الواقع فيه 10 تشرين الأول 1948، لمناسبة تنصيبه راعياً للأبرشية. وكان بين المشاركين المطران ابيفانيوس زائد مطران عكار، وجمهور كبير من الشعب. وفي نهاية القداس تلا المطران زائد صك البراءة البطريركية (البراكسيس)[3]، فرد سيادته مخاطباً إيّاه والجمع بخطاب يشرح فيه صلاحيات رئيس الكهنة كالاهتمام بالكنائس والمدارس والأوقاف. ومن ثم وجه نداء إلى المغتربين الكرام، من اجل بناء كاتدرائية تليق بالطائفة، مشيراً إلى حالة الكنيسة الحاضرة المحزنة. وطلب من المعنيين عدم عرقلة المساعي العائدة للمصلحة العامة. لقي هذا الخطاب إعجاباً من الجميع إلى درجة انهم صفقوا بحرارة دون انقطاع لمدة تتجاوز العشر دقائق، وسالت الدموع من أعينهم تأثراً وأملاً بأن الخير

(1) المطران بولس الخوري: الاحتفالات والتهاني بالسيامة 1948 ...، ص45و46.

(2) وديع نقولا حنا: سيادة المطران بولس الخوري مطران صور وصيدا وتوابعهما، مجلة المعارف، مطبعة فارس سميا، بيروت، 1948، ص 35-44.

(3) وثيقة رقم 1.

آتٍ قريباً[1].

في الأيام التالية تفقد سيادته أبناءه في كافة مناطق الأبرشية التي استقبلته بآيات مباركة مثل "مبارك الآتي باسم الرب" وغيرها من الآيات. ومن هذه المناطق.

❖ راشيا الوادي

استعدت هذه المنطقة للقاء الحبر الجليل نهار السبت الواقع فيه 16 تشرين الأول 1948، وما أن دخل الموكب حدود القضاء، حتى وجد عدداً عديدا من السيارات المستقبلة له، وعلى رأسها النائب شبلي بك العريان. بعد إلقاء التحية، تابع سيادته سيره، فدخل البلدة تحت أقواس النصر، والزغاريد وألقيت الخطب، ثم رد سيادته على الخطباء بخطبة موضوعها "مطران العرب" فكانت خطبة وطنية، جاء فيها على ذكر معتقل راشيا وحوادث الاستقلال... وبعد مكوثه أسبوعاً واحداً في راشيا عاد إلى مرجعيون[2].

❖ حاصبيا

وكان لحاصبيا نصيب بلقاء سيادته الذي لبى دعوة أهاليها نهار السبت الواقع فيه 30 تشرين الأول 1948، فاستقبلته الوفود كالعادة وعلى رأسها قائمقام البلدة وألقيت الخطب وجميعها دارت حول الوطنية. مكث سيادته فيها أسبوعاً وأقام القداس الإلهي يوم الأحد في 7 تشرين الثاني في كنيسة القديس نيكولاوس[3].

---

(1) المطران بولس الخوري: الاحتفالات والتهاني بالسيامة...، ص 9؛ الأب نايف اسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا...، ص 75.

(2) المطران بولس الخوري: الاحتفالات والتهاني بالسيامة ...، ص 13.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 18و 19.

❖ صور

وخلال زيارته لمدينة صور يوم الأربعاء في 5 كانون الثاني 1949، خرجت المدينة كلها لاستقبال المتروبوليت بولس الخوري، وسط الأهازيج العربية والأناشيد الشعرية والترانيم الدينية فدخلها حوالي الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر. ذهب إلى الكاتدرائية حيث أقام صلاة قصيرة، ألقيت بعدها الخطب فرد المطران عليها بعظة دينية وطنية، جاء فيها على ذكر تاريخ صور القديم، وعلى زيارة الرسول بولس لها وإقامته فيها سبعة أيام مع الرسل. ذكر أيضاً قلعتي صيدا البحرية والبرية. لقي سيادة المطران الخوري في صور كل حفاوة مدة أسبوعين ثم غادرها إلى مرجعيون[1].

كانت زيارته لصور، آخر المطاف، وقد لاحظنا الصور نفسها تتكرر في هذه الاحتفالات، كأقواس النصر وأناشيد الفرح، والخطب المرحبة بهذه الشخصية الدينية الجليلة، المعقودة عليها آمال جمة لمواقفها الدينية والاجتماعية والوطنية.

وقد جاءت هذه الاحتفالات بهذه الحمية الشعبية الجماهيرية رمزاً وتعبيراً عن مدى تعلق الناس بالقادة الروحيين. فإلى جانب ما يمثله مطران الجنوب من أهمية في قلب الكنيسة الأرثوذكسية. فقد تميز المطران بولس الخوري بصفات شخصيّة ميزته عن غيره وجعلته الأب الروحي الذي يتابع شؤون رعيته أينما وجدت، فكان رجل المواقف في مختلف الأماكن. وهذا ما دفع القيّمين على الكنيسة إلى انتدابه لتمثيلها في المحافل الدوليّة. لذلك قام المطران بولس الخوري بعدّة زيارات خارج نطاق الكرسي الإنطاكي، نعرضها في الجزء التالي.

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 19و20.

5 - أسفاره والأوسمة التي استحقها

إن النشاط الدائم والحركة والحيوية كانت صفات ملازمة لشخصية المطران بولس الخوري منذ كهنوته الأول عندما كان كاهناً، وهذا ما دفع المطران بولس أبو عضل إلى اختياره في تشرين الأول 1929 ليوكل إليه تمثيله في المؤتمر الأرثوذكسي العام المنعقد في دمشق الذي اصدر القانون الأساسي للبطريركية الإنطاكية المعروف بقانون سنة 1929 [1].

وقد تكررت أسفاره في ما بعد عندما أصبح مطراناً فرافق المطران معوض مطران حلب لزيارة أثينا سنة 1952، بناءً على دعوة من حكومة اليونان [2].

ثم زار روسيا تلبية لدعوة وجهّت إليه من الكنيسة الروسية للمرّة الأولى سنة 1956 لوحده. وللمرة الثانية سنة 1959 بمعيّة البطريرك ثيودوسيوس، وقد شملت الرحلة زيارة بطريركيات: اسطنبول ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وكنيسة اليونان. وللمرة الثالثة سنة 1961 كلف بالذهاب منتدّبا مع وفد الكنيسة الإنطاكية إلى المؤتمر المسيحي للسلام الذي انعقد في براغ في 13 حزيران 1961 [3].

مثّل البطريرك ثيودوسيوس والكرسي الإنطاكي في حفلات يوبيل البطريرك الإسكندري خرستوفورس سنة 1958 [4].

---

(1) جرجي باز: المطران بولس الخوري.... ص 8؛ الأب نايف إبراهيم اسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا.... ص 75.

(2) صالح زهر الدين : موسوعة رجالات من بلاد.... ص122؛ الأب نايف اسطفان، المرجع السابق، ص 75.

(3) صالح زهر الدين: المرجع السابق، ص 22؛ الأب نايف اسطفان، المرجع السابق، ص 77.

(4) الأب نايف اسطفان، المرجع السابق، ص 78.

أوفده البطريرك ثيودوسيوس، مع السيد أغناطيوس حريكة [1] مطران حماه، إلى أثينا لحضور جنازة الملك بولس، التي أجريت بتاريخ 12 آذار 1964 [2].

بعد ذلك سافر مع البطريرك ثيودوسيوس إلى أثينا للاشتراك في حفل إكليل الملك قسطنطين الذي جرى بتاريخ 18 أيلول 1964 [3].

---

(1) ولد في 6 آب 1894، في قرية بترومين الكورة، تلقى علومه الابتدائية في القرية وفي المدرسة الروسية في سكلة طرابلس، أدخله المثلث الرحمات البطريرك غريغوريوس حداد سنة 1906 إلى مدرسة البلمند، وفي سنة 1909 أرسله إلى مدرسة خالكي اللاهوتية في الأستانة، سيم شماساً إنجيلياً صيف س1914، في دير سيدة البلمند، وبسبب الحرب العالمية الأولى لم يستطع العودة إلى الأستانة فبقي في البلمند إلى أن دعاه سنة 1915 مطران حلب رافائيل ليتولى مديرية المدارس الملية هناك، وليكون نائباً أسقفياً. فلبى الطلب، وبقي حتى نهاية 1917، رقي سنة 1918 إلى رتبة أرشمندريت، انتدبه البطريرك ليكون مفتشاً على دير مار جرجس الحميراء، بعد نهاية الحرب عين رئيساً لدير سيدة البلمند، فاعاد افتتاح المدرسة، وبقي في هذه المهمة ثلاث سنوات. ثم عينه البطريرك حداد وكيلاً لأبرشية كيليكيا (مرسين) سنة 1921، لكنه لم يستطع الذهاب، اسند إليه البطريرك حداد سنة 1924 وكالة البطريركية في دمشق، ولم تمض بضعة أشهر حتى تم انتخابه في 6 تموز من السنة نفسها مطراناً على حماة. أسد رستم: كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى، الجزء الثالث.... ص 377.

(2) صالح زهر الدين: موسوعة رجالات.... ص 22.

(3) إعتلى العرش اليوناني سنة 1964، لكنه ما لبث أن دخل في نزاع مع رئيس حكومته جورج باباندريو، فانفتحت أبواب أزمة سياسية حادة، أتاحت الفرصة لمجموعة من الضباط تسلم السلطة عشية انتخابات تشريعية في ربيع 1967، فأعلنوا عن هدفهم بتخليص البلاد من الفساد ومن الخطر الشيوعي المحدق بها. وبعد محاولات بذلها الملك قسطنطين الثاني للقيام بانقلاب معاكس، أضطر الى الخروج من البلاد وطلب اللجوء السياسي، وهو من مواليد عام 1941، وقد خلف اباه بولس الأول. مسعود الخوند: المعجم التاريخي للبلدان والدول، الطبعة الأولى، المؤسسة اللبنانية للطباعة والتجليد، آب 1983، سن الفيل، ص 609؛ جرجي باز، المرجع السابق، ص 8.

تتجلى قيمة هذه الزيارات في أنها عملت على زيادة تعرّف المجتمعات التي زارها المطران على لبنان، ثقافته وانفتاحه، وقد ترتب على ذلك نتائج بالغة الأهمية في كونها خطوات أفسحت المجال أمام اللبنانيين لأن يتعرفوا على هذه المجتمعات وبالتالي سهلت لهم طرق المعيشة وأفهمت الناس أهمية اللبناني وعطاءه النشيط على أكثر من صعيد وفي مضمار الحضارة والرقي.

هذا ما يختص برحلاته وأسفاره أما الأوسمة التي نالها فهي دليل على ما كان للمطران بولس الخوري من بالغ الأهمية على الصعيدين الديني والاجتماعي. تلك الأهمية التي تمثلت بما علّق على صدر سيادته من الأوسمة والنياشين والاستحقاقات التي ترمز إليها. فلا شكّ أن لهذه الأوسمة والنياشين دلالة كبرى على موقع الأشخاص في المجتمع المدني وفي الحقل الديني الخدماتي والنضالي. وهذه الأوسمة هي:

- وسام الكنيسة التشيكوسلوفاكية من رئيس أساقفة براغ سنة 1931[1].
- وسام الرسول مرقص من بطريرك الإسكندرية 1936[2].
- وسامان من أكاديمية فكتور هيغو وجمعية التاريخ الدولية في باريس عاصمة فرنسا سنة 1947[3].
- وسامان رفيعان من ملك اليونان، الأول منح له سنة 1947[4]، وهو الصليب الذهبي من الملك جورج

(1) جرجي باز: المطران بولس الخوري،... ص 9.
(2) المطران الخوري: من ذكريات المطران،... ص 2.
(3) الأب نايف إبراهيم اسطفان: تاريخ صور وصيدا،...ص 77.
(4) جرجي باز ، المرجع السابق، ص 9.

الأول[1]، والثاني سلمه إياه المفوض اليوناني في بيروت في حفلة خاصة يوم الثلاثاء الواقع في 30 كانون الأول 1952[2].

- وسام الاستحقاق اللبنانيّ من رئيس الجمهورية اللبنانيّة سنة 1953[3].
- وسام القديس فلاديمير من بطريرك موسكو عام 1956[4].

وقد كرّم المطران بولس الخوري ثلاث مرات، المرة الأولى كانت في حفلة خاصة أقامها له "الملتقى الأدبي" في منزل الشاعرة إنصاف الأعور معضاد بحضور حشد كبير من رجال الفكر والدين والرأي، في 27 حزيران 1990[5].

أما **التكريم الثاني** فكان في «دار الندوة»، حين منح وسام «درع الوفاء»، خلال احتفال تكريمي أقامه المنتدى القومي العربي، نهار الثلاثاء في 31 تموز 1993[6]، حضره وزير الداخلية السيد بشارة مرهج والرئيس رشيد الصلح، ومتروبوليت بيروت للروم الأرثوذكس إلياس عودة، وقاضي الشرع الجعفري في صيدا العلامة السيد محمد حسن الأمين، والنائبان أحمد سويد ومروان أبو فاضل

(1) ملك اليونان لعام 1863، ولد عام 1845 في كوبنهاغن، قتل عام 1913 في سالونيك، وهو ابن كريستيان التاسع، المطران بولس الخوري: مذكرات،... ص 75.
(2) المطران بولس الخوري: وسام يوناني، مجلة الأرثوذكسية، العدد الثاني، جديدة مرجعيون، 1953، ص 32.
(3) المطران بولس الخوري: من ذكريات،... ص10.
(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 12.
(5) النهار، تاريخ 27 حزيران 1990.
(6) النهار، تاريخ 13 تموز 1993.

والأب سليم غزال والرئيس المنتدب للجامعة الأميركية في بيروت الدكتور سمير مقدسي ومدير عام الداخلية السيد سامي شعيب والمنسق العام «لتجمع اللجان والروابط الشعبية» السيد معن بشور ورئيس مجلس إدارة دار الندوة السيد منح الصلح، ونائب رئيس «التنظيم الشعبي الناصري» الدكتور أسامة سعد[1] والنقيب الأسبق للصحافة السيد زهير عسيران وعدد من الشخصيات السياسية والحزبية وابن شقيق المحتفى به الأستاذ إبراهيم الخوري.

بعد كلمة ترحيب من **الدكتور أسامة محيو** باسم المنتدى، وعنوانها «**علماً من أعلام العروبة في لبنان المطران بولس الخوري**»، كانت كلمات للسيد منح الصلح، والعلامة حسن الأمين والسيد شفيق جحا والدكتور أسامة سعد والوزير بشارة مرهج اذكر منها.

كلمة السيد **منح الصلح** الذي قال مفاخراً بأنه عاش في زمن وعلى أرض عرف فيها كباراً بكل مقياس، كسيادة المطران بولس الخوري، حفلت حياتهم وسيرتهم وألقابهم بكل الدروس والمثل، وخاصة أن هذه العظمة لم تنبع من منصب أو مال، بل من قيامهم بالخيارات الصعبة التي اتخذوها من أجل مجتمعاتهم وشعوبهم وإنسانهم، ومن شجاعة الروح والعقل والقلب، ومن حلم بأن يكون وطنهم قدوة الأوطان[2].

وتحدث **الدكتور سعد** عن شعور الفرح بتكريم علم من أعلام هذه الأمة وهذا الوطن. واعتبر انه بتكريمه تُكرّم فيه كل معاني الشرف والحرية والعزّة والأمة العربية والوطن اللبناني والمواقف الصلبة، فأنه يستحق التكريم، من كانت له المواقف والصولات

(1) رئيس التنظيم حالياً.
(2) النهار، تاريخ 13 تموز 1993.

والجولات في كل المناسبات وخلال قرن طويل، من تاريخ الأمة العربية[1].

ونوه الوزير مرهج بدور المطران بولس الخوري ووصفه بأنه رمز لتكامل جملة معان ودلالات طالما حاولوا تشويه تواصلها وتفاعلها. إنّه الشماليّ الجنوبيّ في آن، اللبنانيّ العربيّ، الدينيّ الدنيويّ، الواعظ المجاهد، المفوّه المكافح، رجل المنبر والعمل، معه اكتشف رعيل من اللبنانيين الأوائل حاجة بلدهم إلى العروبة، تماماً كما اكتشف على يده أجيال من شباب الأمة العربيّة في مشرقها ومغربها، حاجة العروبة إلى لبنان[2] .

بعد انتهاء الخطب، قام السيّد معن بشور بتقديم درع الوفاء للمطران بولس الخوري، الذي ردّ بكلمة شاكراً إيّاه وجميع المساهمين في إحياء هذه الحفلة، وكذلك شكر المطران إلياس عودة متروبوليت بيروت الذي «شرّف هذه الحفلة بحضوره»، معلقاً على ما جاء في بطاقة الدعوة بأنه علم من أعلام العروبة، فاستكثر من جهة هذا اللقب على نفسه ووجد له من جهة ثانية مبرراً شارحاً المعنى المقصود بقوله: «هو قطعة قماش وقطعة ورق نرسم عليها رمز الوطن ولكن عندما نرفعها نضرب لها السلام. فهذه التحية رمز الوطن فأنتم الذين رافقتموني، أنتم رمز الوطن، وأنا أعتز بهذه المنحة واعتبرها أعظم وسام نلته في حياتي وهذا الوسام يستحقني لأنني بدأت بالعروبة وسأموت بالعروبة. أنا أحد مطارنة الكرسي الإنطاكيّ العربيّ الذي جاهد وتحرّر من الأجانب. مطارنة الكرسي الإنطاكي كلّنا عرب وبطريركنا قال لرئيس أساقفة اليونان: أنتم مسيحيون من الدرجة الأولى لأننا أعطيناكم مريم العذراء والسيد

(1) الديار، تاريخ 13 تموز 1993.
(2) النهار، تاريخ 13 تموز 1995.

المسيح»[1]...

والمرة الثالثة حين قدم له الوسام من قبل البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم، وهو «أيقونة السيدة»، وذلك في احتفال تكريمي خاص جرى في 6 تشرين الأول 1993 في دير البلمند[2].

هناك رجال يستحقون الأوسمة لإنجازهم أعمالاً معينة، أما مع المطران الخوري فقد استحقته الأوسمة، فهو لم يكرم بها بل كرّمت به. وهي لم تكن غاية يهدف إليها بل جاءته تقديراً لحياة مليئة بالمواقف النضالية على مختلف الأصعدة الاجتماعية والسياسية والدينية.

6 - تعاونه مع الصحافة

للمطران بولس الخوري نزعة فكرية وكتابية خاصة، فقد كان كاتباً ومفكراً أصيلاً، وكان دائماً يشعر أن صلاحيات رجال الدين التقليديين ضيقة، وهو الشخص الذي يكره هذه الصورة، نراه يسعى إلى العمل في الصحافة لغاية منه وهي إبراز مواقفه القومية العربية، وليخرج من صورة رجل الدين التقليدي، القائم فقط بأعماله الكهنوتية.

بالرغم من نزعته هذه لا نستطيع إلا أن نلفت النظر إلى أن المطران الخوري كان متأثراً بهذه الناحية باخيه الأكبر نسيم، الذي فتح المجال له للعمل فيها.

وقصّته مع الصحافة ابتدأت سنة 1910، حين أصدر شقيقه

(1) السفير، تاريخ 13 تموز 1993.

(2) جان توما: تكريم عميد الأساقفة: المطران بولس الخوري، مجلة النشرة، العدد الخامس، السنة التاسعة والأربعون، ميناء طرابلس، لبنان، 1993، ص 217؛ والنهار، تاريخ 7 تشرين الأول 1993.

نسيم من بوسطن ماس (الولايات المتحدة الأميركية) جريدة باسم «سوريا الجديدة» نشر فيها أوّل مقال له، تحت عنوان «من دفاتري المدرسية»، كان وقتئذ تلميذاً في مدرسة البلمند[1].

وخلال الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) أصدر شقيقه إبراهيم الخوري جريدة باسم «فتاة بوسطن»، وعهد إليه بمراسلتها فقام بالمهمّة، ورسائله كانت تنشر تحت عنوان (جعبة الأخبار)[2].

راسل بدون مقابل وأثناء وجوده في أثينا (1920-1926) عدّة صحف في الوطن العربي والمهجر منها: جريدة «الاتحاد الوطني»، لصاحبها جورج أطلس، ومجلة «الكرمة»[3] في البرازيل، وجريدة

(1) فيها قرأ أول مقال لجبران خليل جبران موضوعه «أمام الظلمة»، فأعجبه تفكير هذا الكاتب، ثم ما لبث أن قرأ له روايته "الأجنحة المتكسرة"، فصادفت أفكاره هوى في نفسه، فكتب إلى شقيقه نسيم يرجوه أن ينقل إعجابه لجبران، الذي كان يسكن بالقرب منه في بوسطن، وبالرغم من اعتراض الشقيق على هذا الإعجاب، متخوفاً أن يتأثر بكتاباته، إلا أن حليماً ظل معجباً بجبران، ومولعاً بمطالعة كتاباته، مصرحاً بأنه لا يوجد فيها خروج على الدين، حسب زعم البعض، بل وجدها عودة إلى الينابيع. المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث، صيدا، 1985، ص 74؛ والمطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول...، ص 36.

(2) إن أعداد هذه الجريدة مفقودة، لكن نستطيع أن نطلع على المواضيع التي تناولها، بالعودة إلى مؤلفاته التي احتفظ ضمنها تقريباً بملخص لكل مقال أرسله للجريدة. المطران بولس الخوري: كلمات،.. ص 74.

(3) تأسست سنة 1904، صاحبها حبيب جرجس من القاهرة، المتوفي سنة 1951، استمرت هذه المجلة 17 سنة وهي من أكثر المجلات الدينية انتشارا، والسيد حبيب جرجس كان الأستاذ الأول لرجال الدين الأرثوذكس، وأستاذ اللاهوت من 1898 إلى 1918، هذا بالإضافة إلى تعيينه ناظراً للإكليريكية من سنة 1918 إلى حين وفاته. الأنبا بيشوي: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2001، ص 779.

«الخليج»[1] في الإسكندرونة، و«المعارف»[2] والهدية[3] في بيروت وسواها من البلدان[4].

واندفاعاً منه لإبراز وطنه (سوريا)[5] بلاداً راقية وفيها علماء وأدباء، أصدر سنة 1922، مجلة باللغة اليونانية باسم «الأمل»، «Elips»[6] نشر فيها عدة مقالات بقلمه وبقلم رفيقه الشماس سرجيوس، بالإضافة إلى بعض العلماء والأدباء أمثال: سليمان البستاني[7]، كما نشر فيها مقالات لبعض أساتذته، وبعض رفاقه التلامذة أمثال: بسيليوس فالاس، وعانوبيل مينليوناوس الذي

---

(1) أسسها الأرشمندريت أغناطيوس حريكة (مطران حماه فيما بعد) في الإسكندرونة مع صديقه الأرشمندريت حنانيا كساب سنة 1921. أسد رستم، كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى، الجزء الثالث...، ص 377.

(2) أسسها وديع نقولا حنا، سنة 1917، في بلدة الشويفات، لبنان.

(3) أسسها البطريرك غريغوريوس حداد سنة 1883. أسد رستم: كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى، الجزء الثالث ... ص 323.

(4) جرجي باز: المطران بولس الخوري...، ص 7.

(5) يعني بها بلاد الشام الطبيعية: لبنان، سوريا، العراق، الأردن، فلسطين وقبرص.

(6) إن أعداد هذه الجريدة مفقودة كلها، ولكن المطران بولس يحتفظ بكتيبه بعدد لا يستهان به من ملخصات للمواد التي كانت الأعداد تتضمنها.

(7) هو سليمان بطرس البستاني (1856-1925)، نسيب المعلم بطرس البستاني، تعلم في المدرسة الوطنية في بيروت. حرر في «الجنة»، وتولى تحرير «الجنينة»، ساعد في تأليف «دائرة المعارف»، وانتظم في جمعية «زهرة الآداب» وترأسها مرتين. عمل في مجال الأدب والصحافة والتجارة والسياسة، فذاعت شهرته وانتخب نائباً في مجلس «المبعوثان». أتحف اللغة العربية بإلياذة هوميروس التي عّربها عن اليونانية شعراً، ونظمها بأحد عشر ألف بيت خلال سبعة عشر عاماً وصدرها بمقدمة فضلها بعضهم عليها. وهو إلى جانب إتقانه اللغة اليونانية القديمة، فهو يعتبر عالم لغات. جيروم شاهين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الأوسط برنامج الدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، لبنان، 2001، ص 7 و8.

عيّنه رئيس تحرير للمجلة. وترجم قصائد عربية إلى اللغة اليونانية. ليفهم اليونان أن للعرب حضارة ومنهم علماء وشعراء[1].

استأجر مكتباً لها في أبرز شوارع أثينا (ستاذيون رقم 38)، ونتيجة ضعف الاشتراكات، لم تتمكن «الأمل» من الاستمرار طويلاً، الأمر الذي اضطرها إلى التوقف بعد أن صدرت منها ثمانية أعداد فقط عن أشهر آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول وتشرين الأول. وممّا يستحق الذكر انّه نشر في مجلته «الأمل» قسماً من رواية وضعها باللغة اليونانية وسماها «ضحية المبادئ الحرة» سنة 1943[2].

وأصدر لسنة واحدة في بيروت مجلة باسم «الأرثوذكسية». وكانت جمعية الرسولين بطرس وبولس تدير ماليتها وهي مجلة دينيّة أدبيّة شهريّة، توزّع على رعايا الأبرشيّة وبعض الأبرشيّات الإنطاكيّة وفي المغتربات بواسطة وكلاء، ثم استأنف إصدارها في مرجعيون سنة 1952، وتسلّم إدارة ماليتها بنفسه لعدم وجود من يقوم بذلك. كان يصدر منها في البدء ألفي نسخة على ورق جرائد فرأى أن ينقص العدد إلى الألف ليصدرها على ورق مجلات. بسبب تمنّع عدد من المشتركين عن دفع بدل اشتراكهم، وبعد قطع المجلة عن المتخلفين، وقعت المجلة تحت عجز ماديّ كبير، ممّا اضطره إلى إقفالها[3].

يبدو المطران بولس الخوري صحافياً هاوياً أكثر منه ممتهناً، ومع فشله في الصحافة يقول: «لا أزال أميل إليها، وأعتقد أن الميل في الإنسان إلى صناعة ما، يولد معه أو يتسرّب إليه كالمرض. وإنّ

---

(1) النهار، تاريخ 28 حزيران 1990.

(2) المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول، صيدا، 1973، ص 71.

(3) المطران بولس الخوري، مقالات، الجزء الثاني، صيدا، 1959، ص 28.

الصحافيّ الشريف لا يعمل لأجل المال، بل هو يعالج الميل أو المرض الذي فيه»[1].

يشكل هذا المشوار الصحافي رغم محدوديته، تمثيلاً لعقائد المطران ونظرياته، الاجتماعية والفكرية، التي تظهر جليّة في مؤلفاته ومذكّراته الخاصة، فكان لها أثرها وصداها، وهي التي ستشكل مدخلاً إلى الفصل الثاني.

(1) المطران بولس الخوري، المصدر نفسه...، ص 28.

الفصل الثاني

نزعة المطران بولس الخوري الفكرية والسياسية

تمهيد

إن مفهوم العروبة هو إرتباط إثني جغرافي، لغوي حضاري، مليء بأمجاد السلف الذين بنوا حضارة مميزة على أساس لغوي تجسد في لغة الضاد التي جمعها القرآن الكريم. وكان حافظها والمدافع عنها، ولكن العروبة ليست مرادفاً للإسلام وحسب، فقد أدى المسيحيون دوراً أساسياً في تثبيت ركائن العروبة، وتحضيرها بشكل عصري لتواكب التغييرات، وهذا ما ظهر بشكل واضح في ميول المطران بولس الخوري.

1 - نزعته الفكرية والعقائدية والاجتماعية:

أ- اساس تلك النزعة في عروبيته

وقف المطران بولس الخوري من فكرة الكون والوجود موقفاً متأثّراً بالعقلانية الفلسفية، منسّقاً فيها مع الدين والمعتقد اللاهوتيّ غاية التنسيق والتعديل والاعتدال. فالمسيحيّة والإسلام والتوراتيّة ثلاثة أديان في أصول واحدة يجمع بينها قاسم مشترك هو ما يسمّونه المعتقد السماوي الديني ويلمّح إلى هذا بقوله: «إننا مسلمون» أي سلّمنا بفكرة خالق الوجود الواحد والإله الواحد. «فمنّا من آمن بالإنجيل، ومنّا من آمن بالقرآن، ومنّا من آمن بالحكمة»، ثم

يؤكد: «إن الله الذي نعبده كلّنا واحد، والسماء التي تظللنا واحدة والأرض التي نعيش على سطحها واحدة، والماء الذي نشربه واحد، والخير الذي نحرزه - إذا اتفقنا - سننعم به كلنا»[1]...

ويرى أنّ التعبّد والإيمان لا يعبّر عنهما بغير الفعل، وهنا يهاجم رجال الدين على «انّهم تناسوا رسالتهم الروحيّة واتخذوا الوظيفة للربح الماديّ»، وان التمسّك بالمبادئ الإنسانية والإخلاص للوطن والقوميّة هي في طليعة مظاهر هذا الإيمان[2]. ودعاهم إلى السير على خطى السيد المسيح، الذي نادى بديانة جديدة هي ديانة «الله وبالروح والحق يجب أن يسجد له». المسيح الثائر الذي ثار على الظلم والاستبداد، ونادى بالحرية والعدالة والمساواة، المسيح الملك الذي أنشأ مملكة روحيّة، هي مملكة المحبة والعواطف، مملكة الفقراء والمساكين. البنّاء الذي بنى الكنيسة «أبواب جهنم لن تقوى عليها». المسيح الخطيب الذي ألقى أبلغ خطّبة، هي خطبته على الجبل. المسيح الشاعر الذي نظم أبدع قصيدة هي «أبانا الذي في السموات». المسيح الفنان الذي رسم أجمل صورة لنفس الإنسان الكامل بألوان الجمال الحقيقي[3].

ويعتقد المطران بولس الخوري أن الأزمة في الدين هي أزمة لاهوت ولاهوتيين وفقه وفقهاء واجتهاد ومجتهدين، فمن كان بين هؤلاء أميناً على الرسالة فسر التعاليم الدينية بصدق على أساس المضمون والجوهر، ومن كان متزمتاً فسرها في ضوء التزمت، الأول يأخذ الدين مضموناً وجوهراً، والثاني يتاجر به حرفاً وشكلاً[4].

(1) الدكتور صالح زهر الدين: موسوعة رجالات...، ص 107.
(2) للمطران بولس الخوري: بيان، صيدا، 5 أيار 1985.
(3) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثاني...، ص 21.
(4) «النهار»، تاريخ 27 حزيران 1990.

وفي ندوة له حول العلمانية، ذكر أن السيد المسيح في مثله حول الأب وابنيه الاثنين، الأول قال لوالده: سأمتثل لأمرك وأحرث الحقل ولم يفعل، والثاني رفض حراثة الحقل ثم فعل، وسأل السيد المسيح أيهما أفضل فأجاب نفسه: الثاني هو الأفضل، ولهذا يكون أعطى العمل أهمية أكثر من الكلام[1].

وفي حديث آخر أن قوماً جاؤوا إلى النبي العربي وقالوا له: إن فلاناً يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر. فقال لهم أيكم يكفيه طعامه وشرابه، قالوا كلنا نكفيه، قال: كلكم خير منه[2].

وكذلك حديثه في مناسبة أخرى، وهو في مصر «أن إنساناً يشكك في وجود الله لكنه يعمل أعمالاً ترضي الله لهو أقرب إلى الله من رجل دين يستخدم وظيفته لإشباع شهواته الحيوانية»[3]. وكذلك في حديثه مرة أن «علمانياً يضحي في سبيل الناس لهو أقرب إلى الدين من إكليريكي يحمل في قلبه الحقد والأذى لأخيه الإنسان»[4]. وقد ترك هذا القول انتقادات كثيرة وردود ردات فعل عنيفة تجاهه في الأوساط الكنسية وحتى العامة إذ طالبوا بتجريده من رتبة الكهنوتية لأنه انتقد الكنيسة[5]. ولكن من جهة ثانية تبرز لنا هذه العبارة مدى غيرة المطران على مصلحة الكنيسة التي فرضت عليه الانتقاد بهدف الإصلاح.

حاول في حياته الدينيّة النضاليّة والاجتماعيّة أن يترجم

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 70.
(2) «النهار»، تاريخ 9 حزيران 1990.
(3) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 186.
(4) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 89، والمطران بولس الخوري: من ذكريات المطران، ص 3.
(5) منح الصلح، مقابلة أجريت معه، تاريخ 17 آب 2003.

افكاره ونظرّياته إلى أعمال تطبيقية، وهذا ما يبدو لنا في أقواله التي هي أفعال في آن. فنراه يسعى إلى إقامة الهلال في المسجد الأقصى والصليب على كنيسة القيامة متقابلين متجاورين متعانقين. هذه النزعة الدينيّة القوميّة هي نزعته الفكريّة [1].

ب - ميوله ومفاعليها عليه:

كان المطران بولس الخوري تلميذاً وفياً لمعلمه السيد المسيح، وقد تجسّدت هذه التبعية ثورة على الظلم حتى أعتبر من أوائل المناضلين فلسطينياً وعربياً.

عاش حياة مديدة مفعمة بالنضال والعطاء والمواقف العروبية الأصيلة، فقد كان كاهناً ومعلماً وثائراً.

آمن بوحدة أمته العربية وجاهد دون كلل لتحقيق نهضتها، كما حدد في الوقت نفسه للكنيسة موقفها من القضية العربية، وقد أمضى سنيّ عمره جهاداً ونضالاً بهدف تحقيق وحدة العرب في فلسطين المحتلة وسائر أقطار وطننا العربي. لكن المرتكز الأساسي في فكره قبل الدين هو الإنسان العربي بقلبه ولسانه، بهمومه وأفراحه ومضمونه، بأحلامه وأفكاره وطموحاته، بماضيه وحاضره، بعبوديته وسيادته. الإنسان العربي بمفهومه العرقي لا الديني فبلاد العرب للعرب، أما الدين فلله وحده. لأن الأمم لا تأخذ بعين الاعتبار مذاهبها على محامل البحث حين يتعلق الأمر بالكيان والسيادة. فمتى فرق الألمان فيما بينهم بالطائفة أو المذهب، وفيهم من دان بالكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية، وكذلك الإنكليز والفرنسيون والروس. ليس المذهب أو الطائفة هما قاعدة بناء الأمم، بل العرق والقومية ونحن جميعاً عرب سواء كنا مسلمين أم مسيحيين [2].

---

(1) المطران بولس الخوري: عظات، صيدا، 31 آذار 1976، ص 72،73،74.

(2) الديار، تاريخ 25 أيار 1995.

وميوله العروبية سببها الجو الذي وجد فيه، فهو الذي فتح عينيه على الدنيا حين كانت استنبول عاصمة القرار النهائي في شأن المنطقة ومصدر الهوية والحقوق والحريات. وأغمض عينيه عن هذه الدنيا وإسرائيل تطمح في أن تكون عاصمة الشرق الأوسط.

وما كاد الفتى الكوراني المنتسب حديثاً إلى السلك الكهنوتي، يذهب في أول العشرينات إلى دمشق عاملاً إلى جانب البطريرك غريغوريوس حداد في نصرة الحلم العربي المتمثل في حكم الأمير فيصل بن الحسين، بعد زوال الحكم التركي، حتى فاجأه، من قبل أن يتسلم خدمته، هجوم الجيش الفرنسي الزاحف إلى العاصمة الشامية وحينها وجد نفسه خطيباً في جماهير دمشق داعياً للمقاومة في ميسلون[1].

وبالرغم من أهمية البطريرك، في مواقفه العروبية، حتى بعد فشل الأمير فيصل في دمشق سنة 1920 فإن وجود الأب بولس الخوري قد زاد من ذلك البريق وذلك اللمعان وظل يعتبر مظهراً قومياً عربياً. وبالرغم من فارق السن بينهما إلا أن البطريرك لم يكن ليقوم بخطوة واحدة إلا ساعده الأب بولس فيها أو كان صاحبها[2]، وبشكل مختصر كان الأب بولس يقوم بنشاط كبير حول البطريرك. ومنذ ذلك الوقت والأب بولس أصبح مهتماً بكل ما هو شرقي، في رسالة الأرثوذكسية [3].

---

(1) كانت المعركة في 22 تموز سنة 1920، المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران،... ص 1.

(2) منح الصلح، مقابلة أجريت معه بتاريخ 27 تموز 2002.

(3) بعد إعلان ولسن حق الشعوب في تقرير مصيرها ونبذ الاستعمار وطرقه وأساليبه، اقترح إرسال لجنة هدفها الاطلاع على مطالب السوريين واللبنانيين، فكانت لجنة كنغ - كراين الأميركية في صيف 1919، التي جابت البلاد، فأجمع السوريون على الاستقلال رافضين الانتداب الفرنسي. وأعلن البطريرك=

وميوله العربية سببها أمران:

❖ **الأمر الأول:** هنا التأثير العائلي، فهو ولد وسط عائلة من الموهوبين المشتغلين بالشأن العام، ونستطيع القول بان القومية العربية هي بمثابة أرث عائلي بالنسبة لعائلة «الخوري». فوالد بولس الخوري وأخوه فهيم، كانا قوميين عربيين، وقوميتهما تتمثل بأشكال عديدة، منها الأحزاب. وعمل والد المطران وأخوه على إنشاء «عصبة العمل القومي»[1]، برئاسة الأستاذ فهيم، وهي أول حزب سياسي بشر بالقومية العربية. أما والده فكان له موقع رئيسي فيها من الناحية التنظيمية. وكان الأب بولس، حتى لو لم يكن منتسباً لهذا الحزب، صديقاً لرجالاته، وقاضياً للقوميين العرب في كل مكان، في العراق، سوريا، لبنان وفلسطين... إذن لم يكن هناك فرق

= حداد تأييده السوريين على مطلبهم ووافقه في ذلك معظم أبناء الطائفة الأرثوذكسية. مما أدى إلى دخوله في عراك مع الإفرنسيين دام طويلاً، هذا إلى جانب اشتراكه مع الوجهاء والأعيان في المؤتمر الذي دعا إليه فيصل في دمشق في ربيع 1920، فنادوا باستقلال سورية بحدودها الطبيعية وبايعوا فيصلا ملكاً عليهم. بالرغم من ترك الملك فيصل لدمشق بسبب معركة ميسلون إلا أن البطريرك لم يعبأ بما انطوى عليه نصر ميسلون، فظل ثابتاً على رأيه، وخرج لوداعه في أحرج الأوقات. ولعله أنفرد بهذا الوداع فتميز به. أسد رستم: كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى 1453-1928، الجزء الثالث...، ص 373؛ منح الصلح، مقابلة أجريت معه تاريخ 23 حزيران 2003، وهو من مواليد سنة 1927 في بيروت، مفكر وكاتب، رافق المثلث الرحمات المطران بولس الخوري، منذ سنة 1943 حتى آخر لحظة في حياته، ومنذ ذلك الوقت وهو يعتبر شاهداً على جميع تحركاته.

(1) بالإضافة إلى أنه من مؤسسي عصبة العمل القومي العربي، كان شقيقه فهيم أمين سرها حتى آخر حياته. وأكثر ما كان يؤلم المطران بولس أنها توقفت عن العمل لأسباب لم يأت على ذكرها. المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الأول...، ص 20.

بين الأب والابن في عائلة الخوري، فدخولهما الحزب كان يقوم على أساس المبادئ القومية العربية، التي لم تتزعزع يوما[1].

كذلك نرى في عائلته ابن عمه الدكتور اسعد بشارة الذي اسس في البرازيل بتاريخ 10 شباط 1921 بمساعدة عدد من الأصدقاء[2] حزباً باسم «الحزب السوري» شعاره «يا شرق انهض» و«سوريا للسورين مستقلة وغير مجزأة». ووضعوا لحزبهم قانوناً أساسياً واصدروا مجلة باسم «الوطن الحر» نشروا فيها قانونهم. ودعوا إلى اعتناق مبادئ حزبهم.

وعندما ظهرت الفكرة السورية، التي تمثلت بدعوة أنطون سعادة، رأى قسم كبير من الأشخاص الذين كانوا عروبيين، أن الدخول في الحزب السوري، هو خطوة نحو القومية العربية؛ ولكن والد المطران وأخاه لم يقبلا بهذه الفكرة، لأنهما ظلا متمسكين بتوجههما العربي، والأشخاص الذين دخلوا الحزب القومي السوري، لم يتركوا «عصبة العمل القومي»؛ إنما هم أشخاص رأوا أن يعملوا أولاً للوحدة بين سوريا ولبنان. وأرادوا أن يميزوا أنفسهم عن اللبنانيين، وذلك بإظهار رأيهم في انهم لا يريدون لبنان وطناً صغيراً ضيقاً. بل يريدون وطناً أوسع، كان الوضوح في اتجاه الوحدة اللبنانية أكثر من الوضوح في اتجاه الوحدة العربية. وبالرغم من أن الحزب السوري كان يطرح موضوع الوحدة على أساس لا يفرق فيه بين الاثنتين، بقي هناك فرق كبير إذ ظل يوجد ما يسمى، القوميين العرب، و«حركة البناء» و «عصبة العمل القومي»[3].

(1) «النهار»، تاريخ 8 تموز 1995.
(2) هم: انطوان جراب، خليل قطيط، رشيد قير، صبحي الخوري، نمر بو جمرة، فؤاد نصار، ابراهيم جزيني وشكري سعد. المطران بولس الخوري، ذكريات...، ص 69.
(3) منح الصلح، مقابلة أجريت معه، تاريخ 13 تشرين الثاني 2003.

❖ **أما الأمر الثاني:** فهو وجود معركة داخلية في سوريا ولبنان وفي كل مكان عربي، تطالب باستقلالية بحتة، فكنا نرى الكثيرين من رجال الدين ورجال السياسة والمحامين، موالين لفرنسا بسبب أنها بلد ديمقراطي، حضاري، أو ربما لأنها بلد مسيحي. أما القوميون العرب أو فكرة القومية العربية التي آمن بها الأب بولس، فقد ثبتوا عليها جميعاً وتجسدت عملياً في الوقوف ضد السياسة الفرنسية، بالرغم من وجود أشخاص داخل الكنيسة موالين لفرنسا، لكن الأب بولس كان مميزاً من هذه الناحية، لأن كلمته واحدة وموقفه واحد بموضوع القومية.

كان حلمه الكبير يتلخص في أن يتحقق تحرير فلسطين مع الأراضي العربية المغتصبة من الاحتلال الإسرائيلي. وكان يشير إلى أن الشعب اللبناني مرتبطة أوضاعه بصورة مباشرة بالأحداث التي تحصل في فلسطين، مؤكداً أن المسيحيين الموجودين في فلسطين وان كانوا كاثوليك أو أرثوذكس أو موارنة فهم ضد المشروع الإسرائيلي. وكان دائماً يذكّر بأقوال لرجال دين مسيحيين معادين لمشروع الصهاينة أمثال البطريرك أنطونيوس خريش الذي قال يوماً: «أنا مولود في عين أبل على حدود فلسطين وكنت كاهناً في حيفا وأهلي من اللاجئين الفلسطينيين. وأنا أشعر شعوراً عربياً وأعلن أن القضية الفلسطينية هي قضية عادلة وهي قضية العرب...»[1].

وعروبة المطران عروبة موضوعية واعية لأن كثيراً من الناس يعرفون العروبة بمعناها الحصري الضيق، ولم يعبروا عنها كما فعل المطران بولس. لقد سعى في تطلعاته إلى تصوير العروبة على أنها واقع وطبيعة وثقافة ومحبة، وقد عارض فيها مذاهب

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث،... ص 46.

المتزمتين المتقوقعين في زوايا الانعزال والأصولية، مما جعل إيمانه فيها أكثر نبضاً وحرارة وحيوية، يجول في رحابها مجدداً داعياً مرشداً، كاشفاً عن عيوب ناكريها ومضطهديها. ويتضح لنا من إغراقه في قوميته هذه على أنه يضرب على وتر ثقافي ساحر وقوي هو الانتماء الثقافي في الدرجة الأولى، ثم ما يتبعه من انتماءات جغرافية وتاريخية واجتماعية وعلمية في مسيرة مصير واحد ومجتمع واحد وتاريخ واحد وأهداف إنسانية واحدة[1]. وكان دائماً يشير إلى أن هناك رجال دين مسيحيين لبنانيين قتلوا على يد المشروع الصهيوني.

وكان بولس الخوري يحوّل المناسبات الدينية إسلامية كانت أم مسيحية، مناسبات قومية. فحسب رأيه لا يوجد أهم من هذه المناسبات لقول الحقيقة ولدعم الحق والقيم. وهو يؤكد دائماً أن الأديان كلها تعلّم حب الاستقلال وحب الوطن ورفع قيمة الإنسان. ففيها يتجمع العديد من الناس وفي الأماكن المقدسة لا يمكن للحقيقة أن تزوّر[2].

أمّا إذا اتهم المسيحيون في عروبتهم فهناك دليل واضح على ظلامة هذا الاتهام. ألم يقم المسيحيون العرب في بداية عصر الفتح بمساعدة إخوانهم العرب المسلمين في دعم هذا الفتح وتوطيد أركان حكمهم في كل البلاد العربية، كما حصل في الشام وبغداد وفلسطين؟ ألم يكن المسيحيون العرب أول من نادى بالقومية العربية وحمل لواءها على المنابر وفي الصحف وفي كل المحافل والمجالات؟ ألم يحافظ العرب المسيحيون في أيام الحكم العثماني على اللغة العربية في أديرتهم وكنائسهم ومدارسهم وبيوتهم وقد صانوها من

(1) الديار، تاريخ 27 حزيران 1990.

(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث،... ص21؛ منح الصلح، مقابلة أجريت معه بتاريخ 13 شباط 2003.

الاندثار والضياع والانقراض والانهزام أمام اللغة التركية في أيام العثمانيين، يوم سعى هؤلاء إلى تتريك العرب وبلادهم وإلغاء لغتهم لتأخذ مكانها اللغة التركية العثمانية؟ ألم يتغنَّ العرب المسيحيون بتراثهم العربي الشعري والأدبي والتاريخي والعسكري وحمله أدباؤهم إلى آخر الدنيا شعراً ونثراً وقصصاً [1].

كان المطران بولس مثقفاً ثقافة واسعة وعميقة بكل ما هو قومي ولاهوتي، ومحدثاً وخطيباً، وحر الضمير، وهي الصفة الأهم في الإنسان. كان يعتبر مميزاً عن غيره من رجالات السلك الكهنوتي، حتى أن أصدقاءه والمقربين منه قالوا عنه بأنه لم يكن أحد يشبهه في السلك الكهنوتي من حيث تمسكه العميق وشدة حماسته للقومية العربية [2].

وقد تجلّى ذلك في إحدى رسائله في عيد ميلاد السيد المسيح بقوله: «أحلم بالهلال فوق المسجد الأقصى وبالصليب على كنيسة القيامة»[3]، ثم يقول في مكان آخر عن فلسطين التي تحتل مساحة كبيرة في ذهن المطران، بل رُبما كل عقله ووجدانه: «إنّ الربيع فصل في السنة لكل العالم، أما فلسطين فهي ربيع دائم»[4]... ولعلّه في كل مواقفه كان المعبر الحقيقي الصادق عن هذا الإيمان المفعم بالوطنية الحقّة والعروبة الأصيلة. كما أنّ الجميع يذكرون بفخر واعتزاز موقفه الرائع يوم قدّم له «درع الوفاء» في حفل تكريم المنتدى القومي العربي، في «دار الندوة»، في بيروت إذ وقف المطران الجليل وقد شارف على المائة عام من عمره ليقول: «أنا لا استحق

---

(1) المطران بولس الخوري؛ كلمات، الجزء الأول،... ص 25.

(2) منح الصلح، مقابلة أجريت معه بتاريخ 24 حزيران 2003.

(3) «النهار»، تاريخ 21 حزيران 1985.

(4) الدكتور صالح زهر الدين؛ موسوعة رجالات...ص 112. وفلسطين الثورة، العدد 622، 13 تموز 1995، ص 123 و 124.

هذا الدرع ... إنه من حق أطفال الحجارة في فلسطين»[1]...

هذا بعض التعبير الصادق عمّا تحتله قضيّة فلسطين وثورتها الشعبية الباسلة في قلب هذا الثائر العروبي الكبير، من الشموخ والقدسية. لقد أدرك المطران بولس بوعي ثاقب وفي وقت مبكر اخطار الغزو الاستعماري لبلادنا، وكذلك الاحتلال الصهيوني لفلسطين، معلناً أن طريق الخلاص هي الثورة، تلك الثورة «ثورة الحجارة» التي أجتمع فيها الفلسطينيون على اختلاف نزعاتهم متفقين بوجوب استمرارها لأنها هي السلاح الوحيد الذي بقي بيد العرب ضد إسرائيل، وهي الأمل الوحيد للعرب الشرفاء الذين بقيت لهم كرامة يريدون أن يدافعوا عنها[2].

وهو الذي نصح رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات بأن يرمي غصن الزيتون وأن يحمل البندقية، فالعدو لا يفهم إلا بلغة البندقية. وذلك أثناء حفلة أقامها حزب البعث العربي الاشتراكي، في جامعة بيروت العربية بتاريخ 6 نيسان 1980[3].

ويعود ليؤكد في كلمة ألقاها في ذكرى الثورة العربية: «لا ثورة إلا للإصلاح ولا إصلاح إلاّ بثورة». لأن متسلمي زمام الأمور لا يريدون الإصلاح ولا ينزلون عند إرادة المصلحين ولا يفهمون بالحجة والمنطق والبرهان. فإذا كانت الثورة مبنية على أسس الحق والعدالة فمرحباً بها، وإن التغيير ضروري للحياة كضرورة حقن المريض بجراثيم تثور على جراثيم المرض[4].

أما عن أهمية إنجاح الثورة في نظره فإنه يرتأي أن يشترك

---

(1) ملحق رقم (2).

(2) مجلة فلسطين الثورة: العدد 546، تاريخ 1 ك2 1994، ص 22.

(3) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الأول، ص 39.

(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 25، 26.

فيها رجال الدين، فمجرد وجودهم فيها تأكيد على نجاح الثورة، لأن الدين والإيمان الصحيح هو الذي يبعث في أنفس المتدينين روح الثورة على الظلم والاستبداد[1]. فالدين المسيحي هو ثورة على فساد الأمة اليهودية، والسيد المسيح هو أعظم ثائر على التدجيل والكذب واستغلال الدين لأجل المصالح الخاصة، وهو الذي ثار على رجال الدين في عصره قائلاً لهم: «ويل لكم أيها المراؤون لأنكم تصفون البعوضة وتبلعون الجمل. ويل لكم لأنكم تعشرون النعنع. وتركتم أثقل الناموس: الإيمان والرحمة والعدل»[2].

لم تمنع ثياب الكهنوت المطران بولس الخوري من الدعوة إلى الثورة، لأنه لا يعتبرها قتلاً لمجرد القتل، وإنما لإرساء أسس الوطنية والحق وبالتالي لم يدع إلى الثورة للذة الهدم بل للبناء على أسس متينة فمن يمت في سبيل وطنه ودينه هو شهيد له أجره يوم القيامة[3].

غاص عميقاً في تاريخ الأمة حيث نهل من تراثها وحضارتها وقيمها، وحمل قضاياها راهباً ثائراً، زاهداً في ملذات الدنيا ومفاتنها، يصبو لتحقيق نهضة الأمة العربية وحريتها، منطلقاً من أصالة هذه الأمة، وحملها للرسالات السماوية، وقد عبر عن وعي وفهم عميقين لتواصل هذه الرسالات وترابطها والتكامل المسيحي الإسلامي في أمة العرب التي ينتمي إليها، وقد أكد في أكثر من مناسبة هذا الانتماء بالقول «إنني عربيّ ولد في لبنان»[4]، مجسداً بذلك مواقفه وجهده الدائم لتعزيز الروابط القومية على امتداد

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 27.
(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الأول،... ص 26؛ الكتاب المقدس: لوقا 11-41.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 26 .
(4) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث، 2 تشرين الأول 1977، ص 51-52.

وطننا العربي الكبير. وبمستوى عال من الإيمان والوعي كان يردد الآية القرآنية الكريمة ﴿قل آمنا بالله وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيين من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[1]..

ولعلّ في حديثه لجريدة «النهار» يعزّز هذه الصورة الحيّة عن المطران بولس حين عبر عن عدم جدوى الحوار مع رافضي العروبة والمتعاونين وإسرائيل[2]... وتساؤله في هذا المجال عن الذين دعوا إلى اللقاء المسيحي في سنة 1986 «هل يعترفون بأنّ لبنان بلد عربيّ، وهل يذكرون كلمة العدّو الإسرائيلي في أحاديثهم؟ أنا اعلم أن إسرائيل تشن هجوماً على كلّ من يريد أن يعرف أعمالها في الجنوب أو في الأراضي العربيّة الأخرى. إنّها لا تريد أن يكون عليها رقيب فتتصرف كما تشاء. وأنا لا ألقي اللوم عليها فقط بل ألوم أيضاً معلّمتها أميركا التي أعطتها هذه القوّة، ووضعتها خنجرا في خاصرة العرب في هذه المنطقة»[3].

وكان مقتنعاً كل الاقتناع بعروبة لبنان وان الحرب الأهلية فيه ستبقى إلى أن يقتنع جميع المسيحيين بعروبة لبنان، مؤكداً لهم أن لبنان يقع جغرافياً ضمن الدول العربية، وتاريخه مرتبط بتاريخ الأمة العربية[4]، وهو كان رائداً لهذه النهضة إذ دخل عضواً مؤسساً في جامعة الدول العربية، دخلها عن اقتناع، لذلك يجب على اللبنانيين أن يسقطوا «نغمة النشاز» بأن لبنان شيء والعرب شيء آخر[5].

(1) مجلة فلسطين الثورة، العدد 622، تاريخ 13 تموز 1995، ص 32؛ القرآن الكريم: آل عمران 840.
(2) النهار، تاريخ 20 آب 1986.
(3) صالح زهر الدين: موسوعة رجالات...، ص 124.
(4) السفير، تاريخ 11 تشرين الأول 1997.
(5) النهار، تاريخ 28 حزيران 1990.

كان مؤمناً بأمّة عربية واحدة، وقد أكد ذلك عبر النداء الذي وجهه إلى اللبنانيين والفلسطينيين والى العرب «لأني لا أؤمن إلاّ بأمة عربية واحدة أناشدكم أن تتحدوا أمام العدو الصهيوني الغادر»[1].

وذكر بالقصيدة التي ألقاها في المكسيك سنة 1968 وجاء فيها[2]:

بـلاد العرب واحـدةٌ فمنهـا
فلسطيـنُ ومصـرُ والشـامَ
أسودُ العربِ نامت عن عرين
فهاجمـه العدوُ وهم نيـام
أفيقوا وانبذوا الأحقاد منكم
عسى أن يجمع الشمل الوئام

فـي هـذه القصيدة يعبر المطـران عن إيمـانه بـوحدة الأمـة العربية بجميع دولها وشعوبها واصفاً رجالها بالأبطال الذين ناموا ولم يسهروا على أوطانهم وهذا ما جعل الأعداء يستغلون الفرصة للنيل منها وكذلك يحثهم على جمع شملهم ونبذ الأحقاد والوقوف صفاً واحداً ويداً واحدة لدحر الطامعين الغزاة[3].

ولطالما ذكّر في أحاديثه بـأن المسيحيين والمسلمين كانوا يعيشون أخوة إلى أن جاء الغرب فتدخل في شؤونهم وفرّق بينهم. فمن مصلحة المسيحيين في الشرق أن يكونوا عروبيين وأن يندمجوا مع إخوانهم المسلمين بكل ما في الكلمة من معنى. ولـن يكونوا مرتاحين إلا عند اقتناعهم بهذه الحقيقة التاريخية. وهو المنادي

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران... ص 10.
(2) المطران بولس الخوري: منظومات... ص 10؛ النهار، تاريخ 28 حزيران 1990.
(3) السفير، تاريخ 27 تشرين الأول 1976.

بوجوب العمل بمبدأ العيش المشترك لأننا نشترك في الأرض واللغة وفي المصلحة العامة وليس لنا مخرج من العروبة. «عروبة» المطران بولس الخـوري، هـي الصفة التي اعتز بها صاحبها كثيراً وطوال حياته، هي عروبة مشرقية إنطاكية، إذ يكفي أن أذكر للتدليل عليها اعتزازه بمولده عام 1896 لأنه - كما يقول - عام خلاص العرب الأرثوذكس من الإكليروس اليوناني، وانتخاب البطريرك الدوماني العربي الـذي أسس الإكليريكية في دير البلمند. فالأرثوذكس في الشرق لا يحبون الـروس لأنهم روم أرثوذكس فحسب، إنما لأن الـروس قد أحسنوا إليهم فأنشأوا في الشرق المدارس المجانية في كل المدن والقرى، بالإضافة، إلى ما كان يقوله له البطريرك غريغوريوس حداد إنه لو لم يحم قيصر روسيا الدين المسيحي في الشرق، لما كان علّق جرس على كنائس الشرق[1].

ولطالما أكد في لقاءاته، التمسك بالتعايش والترفع عن البغضاء والطائفية. ودعا إلى المحبة وإلى تغليب العقل على العاطفة، وإلى إحباط مشروع تدمير الوطن وتهجيره، مؤكداً أن العنف لا يولد غير العنف وأن مصلحة الجميع هي في أن يبقى لبنان بجناحيه المسيحي والمسلم، «لبنان لا يبقى إلا بجناحيه ولا يعيش منفصلاً عن محيطه»[2]. وإن السبيل الوحيد لإنقاذ لبنان هو الوفاق الوطني والحفاظ على حقوق الطوائف. فلبنان لا يستطيع العيش إلا ضمن محيطه العربي. وقد أيده معظم المسيحيين والمسلمين، فأمير حركة التوحيد الإسلامي الشيخ سعيد شعبان قال: «يجب أن يبنى لبنان على أسس ترضي الله وترضي المظلومين والمقهورين والمستضعفين.

(1) «النهار»، تاريخ 11 تموز 1988.
(2) «النهار»، تاريخ 16 حزيران 1985.

وإلا فلن يستريح لبنان»[1]. كذلك قال البطريرك انطونيوس بطرس خريش: «تأكدنا أن لبنان لا يقوم إلا بتجاوب أبنائه مع ما يقتضيه الله تعالى من محبة وعدل ووفاق»[2].

ومن هذا المنطلق، كانت للمطران دعوة دائمة إلى تحوّل اللبنانيين مقاومين إذ لا يمكن أن تكون نهاية إسرائيل إلا بواسطة المقاومة[3]... وكأنه صاحب النبوة التي ارتسمت بأبهى مظاهرها في 25 أيار عام 2000[4] يوم وقف لبنان وقفة العزة والكرامة

(1) «الديار»، تاريخ 16 حزيران 1985.

(2) «النهار»، تاريخ 16 حزيران 1985.

(3) «النهار»، تاريخ 23 آذار 1986.

(4) مع مرور الزمن اشتدت هجمات المقاومة ضد «جيش لبنان الجنوبي» والجيش الإسرائيلي، تضاف إليها هجمات بصواريخ الكاتيوشا، ضد المستعمرات الشمالية من الحدود اللبنانية مما استنفر القيادة الشمالية في الجيش الإسرائيلي جدياً ودار البحث حول السبل الآيلة، إما القضاء على المقاومة نهائياً وتفتيتها أو اللجوء إلى أية مناورة دولية أو إقليمية أو حتى لبنانية لتفادي هذه الهجمات. إلاّ أن المقاومة اتخذت قرارها القاضي بطرد إسرائيل من الجنوب اللبناني ونادت بتحرير جميع الأراضي العربية المحتلة، وتوالت الأحداث واشتد ساعد المقاومة في الوقت الذي كان «جيش لبنان الجنوبي»، يتشتت من شدة ضرباتها، ومن سوء علاقته كأفراد بالضباط الإسرائيليين الذين كانوا يتعاطون مع عناصر الجنوبي بفوقية خاصة بعد الإجراءات التي اتخذها الجيش الإسرائيلي على طرقات الجنوب منها منع السير إلاّ لشخصين في سيارة واحدة، وعدة أمور أخرى كانت تزعج المواطن الجنوبي مسلماً كان أو مسيحياً. وسنرى أنه لم يتأثر المواطنون الجنوبيون بما اعتبره الإسرائيليون خدمة لهم بتشغيل ألفين وأربعمائة جنوبي في إسرائيل، لأنهم يعرفون في الواقع أن إسرائيل قامت بذلك خدمة لها في ظل عدم وجود يد عاملة رخيصة في تلك الحقبة. واستمر الوضع على هذه الحال من مناوشات وهجمات حتى الوصول إلى العمليات الاستشهادية التي قضّت مضجع رئيس الوزراء الإسرائيلي وجميع أركانه (اسحق رابين) مما جعلها تفكر جدياً=

والإباء صفاً واحداً - قلباً واحداً - صوتاً واحداً في وجه إسرائيل، يرد غطرستها بوحدته وإيمانه بحقه وبعروبته ونصرة قضاياها. في أيار كبر الوطن المقاوم وكأنه يسير على درب دعاء المطران بولس الخوري... في أيار كان لبنان بأكمله ... طائفة واحدة - طائفة لبنان المقاوم - كما أراده المطران بولس الخوري.

وكان للمطران بعد وطني داخلي، فهو أكثر رجال الدين جرأة وأكثر رجال السياسة صدقاً. فنراه يقول في مكان آخر: "إنّ على اللبنانيين والعرب التعّصب للأوطان بدل الأديان". لأن أسباب الخلافات بين لبنان والعرب، تكمن في أنهم لا يفكرون إلاّ في مصلحتهم الخاصة، فهم متعصبون دينياً أكثر من تعصبهم وطنياً. ولطالما كان المطران يردد دائماً بأنه ليس متعصباً دينياً، بل هو متعصب قومياً. رافضاً أن يضع يديه في يد غريبة ضد مصلحة بلاده[1]. كذلك كان يدعو الجميع أن يفصلوا بين المصالح الخاصة والمصالح العامة، وترجيح كفة الميزان في التفضيل للمصالح العامة، مذكراً العرب واللبنانيين بعدم الاتكال على الدول الأجنبية لحل

=بالانسحاب من الجنوب اللبناني من خلال إبرازها لمشكلة الناس الذين تعاملوا معها. في تلك الحقبة التاريخية تضافرت الجهود من قبل المقاومة والجيش اللبناني بجميع وحداته والتأييد الشعبي العارم من قبل جميع الطوائف، وما تبقى من أحزاب وطنية لتوجه الضربة القاضية لإسرائيل وتتم عملية التحرير المؤزرة. علي عبدو ضيا، مراسل وكالة فرنسية، وعدة وسائل إعلام لبنانية، السفير، النهار.. منذ سنة 1984، معتقل سابق لعدة مرات، في سجن الخيام، والسجون الإسرائيلية، جريح بعد عملية التحرير، رافق جميع مراحل الحرب منذ 1984، مؤرخاً ومصوراً، كاتب مسرحي ملتزم، حالياً يكتب مسلسلاً تحت عنوان «زمن الانتصار»، الذي يتم التحضير له حالياً. مقابلة أجريت معه، تاريخ 9 كانون الأول 2003.

(1) «السفير»، تاريخ 27 تشرين الأول 1976.

أزماتهم، وتعليق الآمال عليها، فالأجنبي لا يريد غير مصلحته الخاصة، مشيراً إلى أن الصليبيين الذين ادعوا أنهم جاءوا ليحاربوا المسلمين، حاربوا الأرثوذكس قبل المسلمين وذلك بدخولهم إلى كنيسة «آيا صوفيا»[1]... وان الحرب المسماة حرب الستين (1860)، انتهت بإعلان لبنان متصرفية يحكمها متصرف أجنبي بإشراف القوى العظمى. وفي الحرب العالمية الأولى فرض الأتراك حصاراً برياً على لبنان، وفرض الحلفاء حصاراً بحرياً عليه، فمات ثلث سكانه جوعاً[2]. واستمر الأمر كذلك في عهد الانتداب، فالفرنسيون كانوا يطلبون من كل أرثوذكسي يتقدم لطلب وظيفة أن يعتنق المذهب الكاثوليكي، ويستشهد المطران بولس الخوري بأمثلة كثيرة على هذا يذكر منها: أن شخصاً من عائلة أبو شعر الدمشقية العريقة طلب منه الفرنسيون أن يعتنق المذهب اللاتيني كيما يعطونه وظيفة عالية[3]. وكذلك عندما كان الإنكليز في لبنان، كانوا يعملون لمصلحتهم الخاصة، حتى أنهم أثروا على الوضع الاقتصادي فيه، وشهدت البلاد ارتفاعاً في الأسعار خاصة في أسعار المواد الغذائية. وقام بعض الجنود الإنكليز بأعمال الاعتداء والسرقة والاحتيال، فمثلاً هناك بعض الجنود الذين دخلوا مطعم «طانيوس» في العاصمة، فأكلوا وشربوا وخرجوا من دون أن يدفعوا، كذلك دخل بعض الجنود الأستراليين إلى أحد محلات الصيرفة في ساحة البرج، طالبين من صاحبه الصراف جورج سعد إبدال قطعة عملة، وعندما فتح الصندوق ليبدلها، سحبوا منه ما

(1) المطران بولس الخوري: الفروقات بين الكنائس المسيحية، صيدا، 1 أيلول 1989، ص 11.

(2) «النهار»، تاريخ 16حزيران 1985.

(3) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص18.

وجدوه من المال[1]... فالأجنبي لا يريد سوى مصلحته الخاصة. وحرب 1958 انتهت بالمصالحة لا غالب ولا مغلوب، ولكن النار بقيت تحت الرماد لأننا لم نصارح بعضنا بعضاً. هذا بالإضافة إلى الحرب الأخيرة التي تجاوزت سنتها العاشرة[2]. «إنّ الحرب عندنا لن تنتهي ما دمنا نتعصب لدين أو لمذهب»[3]. ونحن اليوم بحاجة إلى هذا التوجه الصادق... إلى هذه الرؤيا الصافية في ضمائرنا وممارساتنا اليومية. لأن التعصب الديني هو من أهم أسباب الحرب الأهلية في لبنان.

حاربه الكثيرون، فكانوا يتساءلون أهو لبناني أم سوري أم عربي؟ وفي الحقيقة كان كل هذا في آن واحد إذ لا تناقض في أن يكون المرء منتمياً إلى قطر عربي وأن يكون في الوقت نفسه عربياً، ولأنه ينتمي إلى أحد الأقطار العربية فهو عربي حر. ولم يخف فرحه بالوحدة بين مصر وسوريا سنة 1958، متمنياً أن تصبح شاملة لكل الشعوب العربية. لأن تحرير الأمة العربية لن يتم إلاّ عن طريق الوحدة[4]، التي هي مطلب الشعوب العربية المتحررة، وهي آتية لا محالة ولو بعد حين[5]. ولطالما أصطدم بعنف في لبنان وسوريا ومصر والمهجر بكل من حاول نفي العروبة عن لبنان، وإبعاد لبنان عن العروبة الأصلية أو معارضة الاتجاه اللبناني الحر بالاتجاه العربي الحر، مؤكداً أن لبنان سيبقى رمزاً للبطولة والرجولة والدعوة لاتحاد الأمة العربية. وجرّ عليه ذلك صعوبات جمّة إلاّ أنه خلق لها

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص102.

(2) «النهار»، تاريخ 16 حزيران 1985.

(3) المطران بولس الخوري: بيان، 15 حزيران 1985.

(4) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص44.

(5) «النهار»، تاريخ 11 تشرين الثاني 1977.

وهو غير قادر أن يحيى من دونها. لهذا استحق بجدارة لقب وارث بطريرك العرب غريغوريوس حداد. الذي أطلق عليه لقب «مطران العرب». وهذه المواقف ظلت ترافقه في المرحلة الأخيرة من حياته، يوم ابتعد عن مسرح الأحداث وأقام في بيروت مجبراً وليس مخيّرا. ولطالما قال مردّداً: «يؤلمني جدّاً أن أغادر هذه الدنيا قبل أن أرى الأمّة العربيّة وقد وحّدت صفوفها وجمعت شملها»[1]...

في هذا الفكر التحرري أيده النصارى والمسلمون، وكل يريد أن يكون له، وهو للجميع على السواء لأنه ذلك العربي المجاهد المنفتح على الجميع والمؤمن بان الدين لله والوطن للجميع، والداعي إلى وحدة جميع الأديان بدءاً بوحدة النصارى ووحدة المسلمين ثم بالوحدة الشمولية بين المؤمنين والملحدين على أساس إنساني محض[2].

ارتفع بولس الخوري بإنسانيته الشمولية فوق الأديان والمذاهب والطوائف والقوميات، وربط جلياً بين الوطنية والإنسانية، وبين النزعة الاجتماعية والعقيدة الفردية الذاتية للإنسان فكان في المضمون مسيحياً أكثر من المسيحيين ومسلماً في الجوهر أكثر من كثيرين من المسلمين، وأنساناً حقيقياً اكثر من كثيرين ممن يدعون الإنسانية الحقيقية.

وانطلاقاً من موقفه الحازم من المسألة القومية، وعلاقة لبنان بعمقه العربي، فقد أرسى قاعدة التعامل على أن لبنان وطن عربي دون أية إضافات أخرى قد تفقد القول معناه أو تعطيه معنى آخر. ولهذه المسّلمة الثابتة في فكر المطران بولس عمق تاريخيّ يصل

(1) الدكتور صالح زهر الدين: موسوعة رجالات...، ص 123؛ المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران...، ص 12.

(2) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 184.

إلى نشأة الحركة القومية العربية والفكرين الإسلامي والمسيحي في بلاد الشرق. ففي علم المطران بولس الديني، وفي وعي هذا الدين بالمعنى الروحي أولاً والتاريخي ثانياً أن كل المسيحية في العالم العربي هي مسيحية عربية، وكل الإسلام في العالم العربي هو إسلام عربي، وحيال القضايا المصيرية يتوحدّ الفكران لأن في ذلك مصلحتهما وقوتهما أيضاً. وكان يدعو إلى التلاحم المسيحي الإسلامي لحماية لبنان من جشع إسرائيل ومطامعها. ولطالما قدم النصح للمسيحيين في الشرق طالباً منهم أن يكونوا عروبيين، وان يندمجوا مع إخوانهم المسلمين بكل ما في الكلمة من معنى، والمسيحيون لن يكونوا مرتاحين إلاّ عند اقتناعهم بهذه الحقيقة التاريخية، انطلاقاً من إيمانه بمبدأ العيش المشترك، لأن العرب يشتركون في الأرض واللغة وفي المصلحة العامة، لذا يقول المطران: «ليس لنا مخرج من العروبة»[1].

فالعرب الذين تعرضوا لنكسات متعددة، عليهم أن يستفيدوا منها، فيجمعوا كلمتهم، ويجددوا قواهم ويستوعبوا أن الحرب القائمة بين العرب والأجانب ومنها إسرائيل لهي حرب تستهدف الأمة العربية ككل، فمن يفهم معنى القومية العربية والوطن العربي، عليه أن يشترك في هذه الحرب المصيرية وان يكون فدائياً ليدافع عن وجوده العربي[2].

وان الأجانب دائماً يتناسون أهمية رجال العرب، فالعرب سجلهم التاريخي حافل بالإنجازات الهامة، التي استفاد منها الغرب. فالأمة العربية شاركت أمم الأرض في إنماء وازدهار العطاءات الحضارية في الفلسفة والعلم والفن، يوم كان العالم

(1) «النهار»، تاريخ 28 تموز 1976.

(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الأول...، ص 15.

الغربي يغرق في ظلمات الجهل، والفلسفة اليونانية لم تعرف في أوروبا إلا بالترجمات العربية. والفن والصناعات قد أخذها العالم عن العرب [1]..

أمّا موقفه من القوميّة الاجتماعيّة السوريّة، فلم يكن ليتعدى في حدوده حدود الإطار العروبي، فالقوميّة السوريّة جزء من القومية العربية ككل. فأفكارهم على اختلاف مظاهرها تلتقي في هدف واحد، لأنّ كلا الحزبين يسعى إلى تحرير الوطن واستقلاله ورفع مستوى شعبه، فالقومية العربية تريد وطناً شاملاً والحزب السوري القومي يريد وطناً يقتصر على سوريا الطبيعية [2]. من هنا وقف المطران بولس الخوري في موقع شمولي معتدل من العقيدتين، ففي نظراته ان العلاقة القائمة ما بين القومية السورية من ناحية والقومية العربية من ناحية أخرى هي علاقة احتواء.

ج - معاناته بالحرص عليها

أما ما قاساه وما عاناه من مرارة نتيجة المواقف النضاليّة في سبيل المعتقد فإنّه يتمثّل في مراحل حياته كافة. فهو الذي حورب ومنع عن السيامة كمطران على أبرشية جبل لبنان، التي كان وكيلها عام 1929، فأدارها بحكمة واستقامة وجرأة لم ترض الكثيرين ولا سيما المنتقدين لميول بولس الخوري العربية الاستقلالية وصراحته المفرطة. وأول من حاربه كان البطريرك الكسندروس طحان الذي كان يريد مطراناً يرضي الفرنسيين، ولا يزعجهم، ولا ينهض بدور معارض لهم في محافظة جبل لبنان، وهي محور السياسة اللبنانية آنذاك في عهد الانتداب، وطبعاً كانت النتيجة أبعاده عن المنطقة،

(1) «النهار»، تاريخ 28 حزيران 1990؛ والمطران بولس الخوري: محاضرات، القسم الأول...، ص 102.

(2) المطران بولس الخوري: ذكريات، صيدا، ص 107.

ولو استطاعوا لنزعوا عنه درجة الأسقفية. مع العلم أن هذه السياسة لم تكن سراً، فقد اجتمع رئيس الجمهورية آنذاك شارل دباس وكان أرثوذكسياً بالأرشمندريت الخوري وعرض عليه أبرشية طرابلس قائلاً: «إن البطريرك الكسندروس لا يريدك مطراناً على أبرشية جبل لبنان...» [1] والظاهر أن البطريرك ورئيس الجمهورية كانا ينفذان هذه السياسة لضمان تأييد الأساقفة المسيحيين في جبل لبنان. ولكن بولس الخوري رفض العرض وهو الرجل المستقيم الصريح والأمين على تعهداته ووعوده لأصدقائه ومؤيديه. ولا يعرف أن يكوّع كما قال له ذات يوم البطريرك غريغوريوس حداد حينما اصطدم بأيوب ثابت وزير الداخلية حول مسائل محلية وكان رئيساً لمدرسة مار الياس شويا، «ستصير يا ابني مطراناً مهما طال الزمن، ولكن اخبرني كيف ستصعد السيارة التي ستقلك إلى الدير وهو على ارتفاع سبعماية متر من هنا من بيروت»؟ فيجيب الأبونا: «لم افهم قصدك».

يعود البطريرك إلى الحديث: «أنت خريج جامعة أثينا، وكاتب وشاعر باللغة العربية، ولا تفهم كلامي؟ طريقك إلى الحياة يا أبونا الريس مثل طريقك إلى دير مار الياس كلها أكواع. ولا تستطيع أن تصل إلى أهدافك إلا إذا كوعت..» [2]

فميوله العروبية، التي كان دائماً يفاخر بها معتبراً أن الشعوب العربية في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر وسواها، وكلها تؤلف أمة واحدة هي الأمة العربية، سببت له وجود أعداء كثيرين يحاربونه لأن بعض رؤساء الكنيسة لا يريدون أساقفة من ذوي الثقافة اللاهوتية العميقة مطارنة على الأبرشيات، وكان هو متفوقاً

(1) المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول...، ص 75.

(2) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 64.

عليهم جميعاً، يتصرف انطلاقاً من اقتناعه وروحانيته بعيداً من التزلف والمجاراة. لذا دعا إلى رفع مستوى الاكليروس ثقافياً ومادياً حتى يكون رجل الدين مثلاً أعلى للأخلاق، لا تاجراً ولا جاسوساً ولا سمساراً [1].

فبولس كان صريحاً، والصريح شجاعٌ دوماً وحر ومستقل يكره العبودية وسيطرة الأجانب؛ غير أن هذه الميول والصفات حرمته أشياء كثيرة في المؤسسة الكنسية إذ حالت دون تسلمه أبرشية جبل لبنان إلا بالوكالة وأجّلت انتخابه مطراناً إلى أواخر الأربعينات، وأبعدته إلى مصر ليقوم بدوره الكهنوتي وليصطدم أيضاً بالفرنسيين هناك، كما أصطدم بهم في لبنان. وربما أبعدته هذه الصراحة عن كرسي البطريركية، فلو استطاع أن يتلبس عقلية المسايرة لكان أصبح بطريركاً بعدما رسم مطراناً وكان يومئذ أجدر الجميع وهو العالم اللاهوتي الكبير، وصديق الوطنيين العرب والاستقلاليين، وكان يعتبر انه في طليعة هؤلاء الوطنيين، وعدو التعصب الديني والمذهبي. ولو قدر له أن يكون بطريركاً على الكرسي الإنطاكي، لكان قادراً على إدخال إصلاحاته النظرية واللاهوتية والعملية أيضاً في الكنيسة الأرثوذكسية التي طالما تمنت أن ينهض المسؤولون بهذه المهمة الضرورية [2].

رأى أن جميع الأديان والمذاهب الفكرية الفلسفية هي لخدمة البشر وليس البشر لخدمتها، لأن السبت هو للإنسان وليس الإنسان من أجل السبت.

ولهذا السبب نادى أيضاً بالعلمانية في لبنان وسائر الأقطار العربية وكل مكان. فكان يرى أنّ العلمنة هي المبدأ الضروريّ لقيام

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 185.

(2) «النهار»، تاريخ 27 تموز 1990.

مجتمع سليم. وتكون العلمنة بفصل الدين عن الدولة فصلاً كاملاً لما يقتضي ذلك من ضرورات اجتماعية ووطنية، وبإلغاء الطائفية السياسية من النظام اللبنانيّ. فإلغاء الطائفية لا يعني إلغاء الطوائف، بل إسناد الوظائف إلى ذوي الكفاءة، بغض النظر عن عدد انفس أفراد الطوائف في لبنان. وكذلك دعا إلى الزواج المدنيّ. والهدف منه التواصل بين جميع فئات الشعب اللبناني دون تمييز. وكونه مسيحيّاً متخرّجاً من كليّة اللاهوت، في أثينا كان يعتبر إنّ أول من أمر بفصل الدين عن الدولة هو السيّد المسيح الذي قال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»[1].

وبما أنه يعتبر أنّ التعصب الديني في لبنان «هو في الدم»، فأنه يصعب تطبيق العلمنة في ربوعه. فبنوه يولدون في بيوت طائفية، ويتخصصون ويتدّربون في بلاد معينة [2].

د - موقفه من صراعاتها وتياراتها

كان المطران بولس الخوري، رجل دين متعدد المعرفة، متحرراً في إنسانيته من الزمان والمكان، شمولي الرؤيا، واسع الاطلاع، منفتح على كافة التيارات، رجل دين فهم الجوهر فوقف مصلحاً موحداً، داعياً الإنسان إلى الحرية في كل مكان، مؤمناً بربه وبوطنه وبعروبته.

فمشاعر العروبة العميقة التي كان ينبض صدره بها فرضت عليه أن يسعى دائماً إلى اتخاذ المواقف التي يستطيع أن يلائم فيها فيما بينها وبين معتقده الراسخ الأصيل في نفسه وقلبه. فنراه ينظر إلى الشيوعيّة على أنّها شكل من أشكال المسيحيّة، منوّهاً «بشيوعية» السيد المسيح ودعوته الناس إلى نبذ الاحتكار والأثرة في احتواء

(1) «النهار»، تاريخ 28 حزيران 1990.

(2) المطران بولس الخوري: موقف المطران من الحرب الأهلية...، ص 18.

المال، والفبن في توزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين [1].

ثم دعوته إلى الاشتراكية، لأنّ الاشتراكيّة في الحياة هي اقتداء باشتراكيّة السيد المسيح، وبالمسيحيّة الحقيقيّة. فالسيد المسيح كان اشتراكياً إلى أقصى حدود الاشتراكية [2].

بناءً على ذلك يحاول المطران أنّ يجمع ما بين المسيحية والشيوعيّة، وفي الوقت نفسه بين القوميّة السوريّة والقوميّة العربيّة. ويطابق ما بين تلك التيارات الفكريّة كافة، في موقف معتدل وجامع مشترك لجميع هذه التيارات [3].

وقد تحقق ذلك فعلاً في حياة المطران، حين توفي، فلم يكن يملك من حطام الدنيا ومن مادياتها غير القليل الذي لا يذكر. مما يدلّ على انّه كان يطبق تلك المبادئ بالفعل على نفسه [4].

ومن ناحية ثانية كان موقفه من الدينين الإسلامي والمسيحي قد توضّح في قوله: «كلنا مسلمون». إشارة منه إلى القاسم المشترك الذي يجمع ما بين الدينين ويوحدهما، وإلى العلاقة الناضجة بينهما في رحاب العروبة. هذه الفكرة التوحيدية نذر حياته من أجلها ولكنها فهمت عند البعض بشكل مغلوط، فاتهم مراراً بأنه مسلم اكثر منه مسيحياً [5]. وقد أثّرت مواقفه السامية الموحّدة في نفوس رجال الدين المسلمين، حتى أجابه الشيخ محمد طه الولي: «إن المسلمين هم في صفّ واحد مع المسيحيين. وإذا تقدّمهم

(1) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثالث....، ص 83.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 84.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 84.
(4) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثالث، صيدا، 1976، ص 84،83.
(5) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995.

المسيحيون فذلك ليتركوا وراءهم مجالاً لحماية المسلمين لهم» [1].

هذه المواقف الفكرية اللافتة، لم تكن نظريات غير قابلة للتطبيق، وإنما سعى سيادته إلى تجسيدها من خلال مواقفه السياسية والاجتماعية. فكان خير مقدام في إحدى المناسبات العامة، فاعتمر عمامة الشيخ ليكسر، بل ليسحق كل الفواصل والحواجز التي وضعها الاستعمار، بين المسلم والمسلم، وبين المسيحي والمسيحي، وعندها لقبوه آية الله الخوري [2]...

حقاً كان رجل دين للمسيحي وللمسلم على السواء... كما كان الحق والحقيقة للعربي الذي يجمع ركني العروبة وهما الإسلام والمسيحية.

كان يؤمن أنّ المسيح الحقيقي هو المحبة، وان حقيقة الإسلام هي السلام، وأن الأديان السماوية لها جوهر واحد هو الله العلي القدير، الرحمن الرحيم، الله المحبة، وان الإنسان بفعل هذا الإيمان يوجه ويرشد إلى المواطنية الحقة، المواطنية اللبنانية العربية، الموحدة لغة وثقافة وحضارة والنابعة من قيم هذا الشرق العظيم [3].

وعلى هذا الأساس كانت علاقته مع الشخصيات السياسية والاجتماعية والثقافية في لبنان عامة وفي الجنوب خاصة على خير ما يرام، وكان دائماً يذكر مفاخراً علاقته الوثيقة بشخصيات قادة الأحزاب التقدمية، والمنظمات والحركات القومية والوطنية والعربية بما فيها قادة المنظمات الفلسطينية، لأنه كان يعتبر نفسه دائماً

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران....، 1943، ص 1.
(2) أحمد مراد: «سلام على مطران الجنوب والجليل مطران المقاومة والانتفاضة»، مجلة فلسطين الثورة، عدد 623، 20 تموز 1990، ص 60.
(3) النهار، تاريخ 28 حزيران 1990.

واقفاً معهم في خندق واحد ضد كل الاحتلالات الأجنبية وخاصة الاحتلال الإسرائيلي[1]. وهنا تجدر الى الإشارة إلى وقفته الحكيمة يوم وقع تباين في الآراء بين المنظمات الفلسطينية والأحزاب التقدمية على اختلافها، داعياً إياها إلى الوقوف جنباً إلى جنب في محاربة العدو لتحرير أرضنا ونفوسنا واستعادة حريتنا وكرامتنا وترك التباين في الآراء إلى ما بعد تحقيق هذه الأهداف[2].

كان يؤيد كل هيئة أو حركة أو فكرة غير طائفية، وبكلمة أخرى كان ضد الأحزاب التي تتخذ اتجاهاً دينياً تعصبياً، لأنها برأيه تهدف إلى إلغاء غيرها من البشر[3]. وهنا لا يسعنا إلا أن نذكر موقفه الصارم والمتزن إزاء الفتنة التي حصلت بين الدروز والكتائب والتي اتخذت يومها شكلاً طائفياً، مؤكداً أن الحياة هي صراع بين قوتي العقل والعاطفة، وكلما حكّم الإنسان عقله كان اقرب إلى الرجل الرجل مستشهداً بقول لأحد الشعراء:

ليس من يقطع طرقاً بطلاً   إنما من يتقي الله البطل

وذكّر بأن الدروز هم طائفة العقل، وشيخهم الأكبر يدعى شيخ العقل، ودينهم يكاد يكون دين العقل، كما دعا إلى التمييز بين حزب الكتائب وبين الطائفة المارونية، فالطائفة المارونية أعطت العروبة رجالاً أمثال سليمان البستاني الذي ترجم ألياذة هوميروس إلى العربية[4]... ولطالما كان يشير في أحاديثه إلى أن أكثرية المسيحيين لا تؤمن بأعمال العنف والخطف والقتل. كما أن أكثرية

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات...، ص 14.
(2) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية...، ص 48.
(3) «النهار»، تاريخ 16 تشرين الثاني 1986.
(4) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث، صيدا، 1985، ص 46.

المسلمين لا تؤيد هذه الأعمال الشاذة[1].

وينصح الشعب العربي دائماً مؤكداً إن هناك أيدي غريبة هي تفتعل الفتن، وتغذّيها، ولكنه كان يأمل دائماً في أن «وعي الشعب سيقطع هذه الأيدي بإذن الله». كل هذا يظهر مدى عقلانية المطران الخوري ونظرته الدقيقة في الفصل بين الأحزاب السياسية والطوائف التي تنتمي إليها، وتبين دوره في الجمع بين وجهات النظر على أسس وطنية تتخطى النظرة الطائفية الضيقة[2].

وعلى هذا الأساس نرى أن علاقته بالحزب التقدمي الاشتراكي كانت قوية ومتينة، فهو الذي قال عن كمال جنبلاط بأنه فيلسوف بل معلم العرب، وهذه العلاقة ظلت مستمرة مع عائلته وحزبه. فكم كان المطران بولس الخوري يقف داعماً له معنوياً، لأنه يريد لبنان جمهورية ديمقراطية يتمتع كل فرد فيها بحقه، وليس كل طائفة.

أما آراؤه برجال السياسة فنستطيع أن نعرف منها ما يبدو لنا واضحاً من تحدّثه في كتبه عن النائب معروف سعد ونذكر هنا واحداً من السياسيين الذين كانت تربطهم بالمؤلف وحدة في الآراء والأفكار. إذ أنهما أي معروف سعد والمطران كانا قوميين عربيين ومتفقين في فكرهما العربي الواحد. يتحدث المطران عنه بقوله انه الرجل القوي بجسده وبروحه، انه كان يخدم الجميع من كبير وصغير بتواضع كالتواضع الذي دلنا عليه السيد المسيح، عندما قال لابن الإنسان: «ما جئت لأخدم بل لأخدم»[3] فهذا القول ينطبق على الفقيد. ثم إن معروف سعد قضى شهيداً في سبيل مواقفه الإنسانية والروحيّة وقد قتلوا جسده أما روحه وأفكاره فهي ما

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 47.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 48.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 102.

زالت حية» وان المؤلف يأمل لا بل يتيقن أن روح الشهيد معروف سعد ستبقى حية في شخصية ابنه الأستاذ مصطفى سعد الزعيم الوطني المعروف الذي توفي رحمه الله سنة 2002 [1].

كذلك تحدث في كتبه عن صداقته مع الأمير مجيد أرسلان، وكيف أنهما كانا متفقين في خدمة الوطن العربي، ويتحدث عن محبة الأمير له، تلك المحبة التي دفعت الأمير إلى أن يرأس وفداً إلى دمشق ليطالب البطريرك الأرثوذكسي بانتخاب بولس مطراناً على جبل لبنان [2].

وفي سنة 1943، بينما كان الأمير مجيد يرفع العلم اللبناني الجديد في بشامون، كان بولس يقود تظاهرة في شوارع بيروت ضد الفرنسيين. ثم يتحدث عن لقائه مع الأمير عام 1948، في بلدة حاصبيا، تلك البلدة العريقة، محجة الدروز التي كانت وما زالت المثل الأعلى للتعايش الوطني بين جميع الطوائف، ومن خلال علاقته بهذه الشخصية المعروفة بنضالها وسعيها الوطني يظهر المطران الخوري في مصاف الأولين ممن رسموا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الخطوط العريضة لسياسة لبنان الحديث [3].

وكانت لهذه العقائد الفكرية عند المطران بولس نتائج تشكل تطبيقها العملي والفعلي، ألا وهي مواقفه السياسية التي برهن فيها المطران أنه ليس رجل عقائد ونظريات فحسب بل أنّه أيضاً رجل تطبيق ومواقف على أرض الواقع، وفي الفصل التالي سوف نعرض تلك المواقف السياسية التي جاءت تطبيقاً واستكمالاً لمعتقداته النظرية.

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثاني...، ص 101.

(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 68.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 67.

2 - انخراط المطران في العمل السياسي

أ - مواقفه السياسية

بعد ما تقدم ذكره عن أبعاد مواقف المطران الفكرية، لا بد من عرض مفصّل لمواقفه السياسية عامة والتي تقسم إلى ثلاث مراحل هي: ما قبل الاستقلال، فترة الاستقلال وما بعده.

1 - مرحلة ما قبل الاستقلال

من الأمور المهمة في هذه المرحلة، الخطاب الذي ارتجله بتاريخ 27 تشرين الأول 1919، حين نظّم المسيحيون في دمشق [1] تظاهرة تأييداً للحكم العربيّ فتجمعوا بدار البطريركيّة الأرثوذكسيّة لينطلقوا منها. وصودف وجوده بدمشق، فمشى مع المتظاهرين الذين طافوا شوارع العاصمة وانتهوا إلى النادي العربي، وهنا أصعدوه إلى المنبر، فارتجل كلمة جاء فيها ما يلي: «من يشهد هذه التظاهرة الوطنيّة، ولا يتحرك فيه الدم العربي؟ كل عاقل يرفض العبوديّة وينشد الحرّية. كلنا نطلب الاستقلال، كلّنا عرب على اختلاف أدياننا، تجمّعنا رابطتا اللغة والوطن، فليمت من لا يطلب الاستقلال وليحي الاستقلال العربي».

والجدير بالذكر هنا انه لما أطلع البطريرك على الخطاب، استدعى المطران الخوري وسأله بلهجة جديّة : «بإذن من ذهبت إلى النادي العربي وألقيت فيه خطاباً سياسياً؟» كان لا بدّ له من الاعتراف أن الأستاذ الياس صقر، منظّم التظاهرة، هو الذي دفعه إلى ذلك. وإذ بالبطريرك يقول: «نشكر الله الذي أرسلك من بتعبورة

(1) التي قال عنها «قلب العروبة النابض، على طريقها اهتدى بولس الرسول فيلسوف النصرانية ومنها القديس يوحنا الدمشقي، شاعر الكنيسة البيزنطية وموسيقاها الكبير». المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول...، ص 52.

إلى الشام في هذا الوقت. ثم نشكر الياس صقر الذي دفعك، فقد بيضّت وجهنا»[1].

2 - مرحلة الاستقلال

بعد نضوج الرؤية الوطنية تجاه ضرورة التحرر من الانتداب الفرنسي سعى الرئيس بشارة الخوري بمعاونة مجلس الوزراء وعلى رأسه رياض الصلح إلى تعليق الامتيازات الفرنسية في لبنان مما حدا بالمندوب السامي الفرنسي إلى اعتقال بشارة الخوري ورياض الصلح مع عدد من الشخصيات الوطنية ونقلهم إلى قلعة راشيا حيث تم احتجازهم. وأدى ذلك إلى تأجيج المشاعر الوطنية التي تجسّدت في مظاهرات عامة شارك فيها الأب الجديد، واستمرت الاعتصامات. وبسبب الضغط الداخلي والخارجي على فرنسا أذعنت للواقع وأطلقت سراح الموقوفين في 12 تشرين الثاني 1943، بعد أحد عشر يوماً على توقيفهم[2].

بعد عملية الإفراج اتفق الأب بولس مع لفيف من الكهنة للاشتراك في حفلة الشكر لله تعالى على استقرار البلاد بالإفراج عن رجال الدولة، فاتجهوا نهار الجمعة الواقع في 26 تشرين الثاني 1943 إلى الجامع العمري الكبير فرحب بهم الشيخ محيي الدين مكاوي بكلمة وطنية: «إن الأديان السماوية تأمر بالاتحاد والتضامن والألفة. وان السياسة الأجنبية لعبت في صفوف العرب ففرقتهم إلى أحزاب. فإذا أراد العرب أن يعملوا بما يأمرهم به الدين، فعليهم نبذ التفرق والعمل يداً واحدة لإعلاء شأن الوطن...» على الأثر تعانق

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 54 و53.

(2) فيليب حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 601 - 603.

الكهنة مع المشايخ الموجودين في الجامع، فهلل الحاضرون لهذه البادرة الطيبة[1].

بعدها ألقى الأب بولس الخوري خطاباً وطنياً في الجامع العمري الكبير أتى فيه على ذكر الحوادث التي جرت خلال الاعتقال قائلاً: «لولا التضامن الذي شمل الصفوف لما رجعت الحالة إلى ما عليه»، وأشار إلى الرسالة الوطنية التي يحملها رجال الدين. وعدد الفوائد التي يجنيها الشعب من هذا التكاتف، منهيا خطابه بالدعوة إلى الاتحاد الوطني والاستقلال[2].

هذه لم تكن النهاية فبعد خروجهم من الجامع، كانت الجماهير تحيط بهم، فذهبوا بتظاهرة الى السرايا القديمة، حيث أستقبلهم رياض بك الصلح، ببشاشته المعهودة، وصودف أنه في ذلك النهار كان صوته مبحوحاً، لذا قام بتكليف الأب بولس الخوري، بالرد على الجماهير الذين احتشدوا في ساحة البرج، وكانوا وقتها موجودين على السرايا (فرندا)[3].

كذلك لا نستطيع إلا أن نتوقف عند الموقف الوطني الجامع في اليوم التالي، نهار الأحد الواقع في 28 من الشهر نفسه، في الكنيسة الأرثوذكسية في رأس بيروت، حين زارها وفد من المشايخ يرافقهم عدد كبير من الشباب المسلمين، فبعد الاستقبال الكبير الذي قوبل به هذا الوفد من الكهنة والشعب، بدأت الخطب تلقى فما كان من بولس الخوري، إلاّ أن وقف ورد عليهم بكلمة جاء فيها: «إن الطبيعة لا تفرق بين الطوائف، فتمطر على الجميع ويهب النسيم البليل أو السموم على الجميع، والعدو لا يفرق بين الطوائف،

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران بولس،... ص 1.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 1.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 1.

فالشركات الأجنبية تقطع الكهرباء أو الماء على الجميع...»[1].

على أثر هاتين الزيارتين (للجامع والكنيسة)، اتفق المتظاهرون على تأليف جمعية، تضم عدداً من رجالات لبنان المثقفين على اختلاف طوائفهم وأحزابهم، غايتها إنماء روح الإخاء والتعاون بين أبناء لبنان على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم لترقية المجتمع اللبناني، وكان بولس الخوري يترأس الاجتماعات التي أسفرت عن تأسيس الجمعية التي أطلق عليها أسم «جمعية التضامن اللبناني»[2]. والأب بولس في هذه الفترة كان يعتبر لولب الشارع، إن كان في دمشق أو في لبنان، فرأس بيروت أخذت صفة أنها استقلالية وقومية عربية بسبب وجوده هناك[3].

3 - مرحلة ما بعد الاستقلال

بعد أن تحقّق الاستقلال بجلاء الدولة المنتدبة عن الأراضي اللبنانية، وزوال حكمها والاحتلال، أصبح يشعر أن آماله قد تحققت، وباتت أمراً ملموساً. فأبدى الكثير من الرضى والتمسك بهذا الوضع الجديد من العزّة الوطنية. فميله إلى الدولة الحديثة التي كانت تتمثّل بشخص رئيس جمهوريتها آنذاك، وحكومته، تجسّد جلياً من خلال تقديره الكبير لفخامة الشيخ بشارة الخوري، رئيس الجمهورية اللبنانية، وكذلك ولاؤه ورضاه عن حكومته التي ترأسها الزعيم الوطني رياض بك الصلح. وواصل سيادته مواكبته للعهد الجديد وللاستقلال بحماسة وغيرة على الوطن والعروبة.

وسنرى المطران الخوري بعد ذلك، مقرباً من الرئيس الياس سركيس ومدافعاً عنه، فكان على حدٍ متطرف، إذا شئنا القول، من

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 1.

(2) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران... ص 2.

(3) منح الصلح، مقابلة أجريت معه، تاريخ 23 تموز 2003.

التأييد لسياسة الرئيس سركيس. وقد امتدح سيادته العهد ووصفه وصفاً مسهباً معبّراً عن الرضى الكامل والتأييد المطلق إذ قال عنه: «...إذا صح التعبير يكون الياس سركيس من العظماء لأنه كان رجلاً صالحاً. وإذا كان لم يوفق خلال رئاسته. فالمسؤولية تقع على الدول العربية التي استنجد بها ووضع لبنان أمانة بين يديها... وكان يدعو دائماً للتعايش وللوحدة الوطنية، وربما كانت هناك غصّة في قلبه لأنه لم يتمتع بانتهاء الحرب على عهده»[1]...

في هذه المراحل الثلاث يبدو جلياً للباحث ثبات الموقف في شخصية المطران الخوري مما يدل على تطلعاته وأهدافه السياسية تجاه بناء وطن قومي عربيّ.

ب - ترشحه للنيابة سنة 1951

أ - ظروف الترشّح

اجتمع بتاريخ 12 آذار 1951، فريق كبير من الناس يمثلون أرثوذكس الجنوب في دار مطرانيّة مرجعيون وقرروا مطالبة ذوي الشأن، بأن يكون المرشح الأرثوذكسي عن الجنوب من الجنوب[2]، وتكليف المطران بولس الخوري بإبلاغ قرارهم إلى المعنيين. فأخذ المطران طلبهم وبلّغ قرارهم إلى ذوي الشأن، فحبّذوه ووعدوه أن يعملوا به، ولكنّهم - مع الأسف - لم يبروا بوعدهم، بل اتفقوا مع مرشّح غريب عن الأبرشية.

عندئذ غضب الأبناء الروحيّون لكرامتهم، معتبرين عمل

(1) ملحق رقم (3)، وهي كلمة المطران بولس الخوري: «إن الرئيس الياس سركيس جاء من قرية متواضعة ومن بيت متواضع فكان رئيس الفقراء وفقير الرؤساء»، صيدا، 28 حزيران 1985؛ المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية ....، ص 20.

(2) كان أهالي مرجعيون يريدون النائب نصار غلمية، والدولة وضعت لهم السيد الياس طرابلسي... المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران...، ص 13.

المعنيين استهتاراً بهم وبكيانهم. فاجتمعوا ثانية في دار المطرانية بتاريخ 3 نيسان 1951، واتفقوا على أن يكون المطران مرشّحهم للنيابة. وهو المعروف بمواقفه الشجاعة والصريحة والرافض للعبودية والتسلط، وبسبب المشاعر التي يكنها المطران لأبناء أبرشيته اعتبر أن ما أصابهم من مسّ للكرامة قد أصابه أيضاً، وبسبب اقتناعاته أن الدين هو نصرة الحق، ورجل الدين يجب أن يمشي أمام شعبه وليس وراءهم، ليدافع عن المظلومين والفقراء ضد الاستعمار، وبالتالي كرهه لنظام الإقطاعية الذي كان يمارسه أحمد الأسعد على الجنوب، حيث كان الجنوبيون ينساقون وراءه كالقطيع، ورغبة منه في تحصين الجنوب سياسياً وقومياً حتى لا يصبح لقمة سهلة في فم إسرائيل، وكذلك اقتناعاته بأن الكنيسة ليست طقوساً فحسب، كل هذا دفع بالمطران الخوري إلى النزول عند رغبتهم وقدّم ترشيحه المؤقّت، على اعتقاد منه أن نزوله للمعركة يعيد الزعماء إلى البر بوعدهم فيأخذون مرشّحا من الأبرشية، ومقابل ذلك يسحب المطران ترشيحه [1]. ولكنّهم لأسباب معيّنة استمروا في نقض العهد الذي قطعوه للمطران، واستمر هو في ترشيحه حتى أصبح نهائياً.

وقد انضم المطران بولس الخوري إلى قائمة عادل عسيران، بعد أن أجمعت الطائفة الأرثوذكسية على مبايعته، وقد قابل سيادته بطريرك الطائفة الكسندروس طحان للاستئناس برأيه على رغم أن القانون المدني أو الكنسي لا يمنعان دخول المطران مجلس النواب. فرجع سيادته من دمشق حاصلاً على رضى صاحب الغبطة وموافقته

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول، صيدا، 1970، ص 106،107؛ والمطران بولس الخوري: من ذكريات المطران بولس الخوري، الانتخابات النيابية، جديدة مرجعيون، 1951، ص 13.

وبركته[1]. غير أن شهوة النيابة التي دفعت المليونير السيد الياس الطرابلسي، إلى خوض المعركة بقائمة أحمد بك الأسعد – على الرغم من أنه فضولي على الجنوب وليس من أهله – دفعت مريديه إلى أن يشوهوا الحقائق فيشيعوا أن سيادة المطران بولس الخوري، لم يحصل على موافقة البطريرك مع أن الأمر بالعكس. بالإضافة إلى المساعي لإقناع البطريرك بمنع المطران عن خوض المعركة[2].

إن نزول المطران في لائحة عادل عسيران يعتبر صفقة شعبية رابحة للقائمة لأن المطران بولس الخوري يتمتع بثقة طائفته أولاً، وبمحبة جميع الطوائف المسيحية على الإطلاق ثانياً. وكان قد اقيم في بيت عادل عسيران مهرجان للمطران، خطب فيه عادل بك، معلناً أن قائمته هي قائمة المطران بولس الخوري. والجميع يسيرون تحت لواء سيادته، وعندما خطب سيادته في الجماهير، صفقت له القلوب طويلاً قبل الأيدي، معلناً أنه يعتز بضم جهوده إلى جهود المخلصين، وقال انه وهو رجل الدين قد انتقل إلى ميدان الكفاح الذي يعمل فيه العلمانيون لأن المصلحة العامة اقتضت ذلك[3].

وتكلم الأستاذ صدر الدين شرف الدين في هذا المهرجان، فامتدح بادرة المطران، وقال انه لا يعتبرها انتقالاً من الحقل الديني إلى الحقل الدنيوي، لأن رجال الدين هم قادة الشعب وعليهم أن يتقدموا الصفوف في كل حركة إصلاحية، سواء كان في الكنيسة أو في البرلمان[4].

(1) «الحياة»، تاريخ 7 نيسان 1951.
(2) «العصر»، تاريخ 11 نيسان 1951؛ المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران....، ص 13.
(3) «النهار»، تاريخ 6 نيسان 1951.
(4) «السفير»، تاريخ 6 نيسان 1951.

وهكذا توزع المرشحون بين قائمتين، تألفت قائمة المطران من السادة:

المطران بولس الخوري (عن الأرثوذكس)، عادل عسيران (عن الشيعة)، كاظم الخليل (عن الشيعة)، عزت الزين (عن الشيعة)، صدر الدين شرف الدين (عن الشيعة)، عبد اللطيف بيضون (عن الشيعة)، سعيد عسيران (عن الشيعة)، الدكتور محمد خليفة (عن الشيعة)، علي العبدالله (عن الشيعة)، الدكتور شكرالله حداد (عن الكاثوليك)، الدكتور نزيه البزري (عن السنة)، أنطوان فرنسيس (عن الموارنة)، جورج جدعون (عن الموارنة)، الأمير سهيل شهابي (عن الدروز)[1].

أمّا أسماء قائمة المرشحين الموالية للحكومة فتشكلت من السادة[2]:

رياض الصلح (عن السنة)، احمد الأسعد (عن الشيعة)، محمد الفضل (عن الشيعة)، حسين العبد الله (عن الشيعة)، محمد صفي الدين (عن الشيعة)، محمد علي الغطيمي (عن الشيعة)، علي بزي (عن الشيعة)، مارون كنعان (عن الموارنة)، رشاد عازار (عن الموارنة)، علي بدر الدين (عن الشيعة)، نقولا سالم (عن الكاثوليك)، الياس طرابلسي (عن الأرثوذكس)، سهيل شهاب (عن السنة)، سليمان عرب (عن الدروز)[3].

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران بولس الخوري،... ص 4؛ النهار، تاريخ 6 نيسان 1951؛ السفير، تاريخ 6 نيسان 1951.

(2) لحد خاطر : الانتخابات النيابية في تاريخ لبنان، قدم له وحققه د. عبد الله الملاح، منشورات دار خاطر، بيروت، لبنان، 1996، ص 179.

(3) لحد خاطر: الانتخابات النيابية في تاريخ لبنان، قدم له وحققه، د عبد الله الملاح، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، 1996، ص 178.

وقد تداولت الصحف قضية ترشيحه، وكتبت في هذا الموضوع عدة جرائد في الوطن والمهجر نذكر منها مقال في: جريدة «النهار»، تحت عنوان «طلائع الثورة» كتبه فؤاد سليمان الملقب «تموز»، معبراً عن فرحه بترشح أحد أبناء الكورة للنيابة في الجنوب، فهو الابن الروحي المستقيم الرأي، بل هو أمير من أمراء الأرثوذكسية. مشيراً إلى أنه لا يمكن التغاضي عما أقدم عليه المطران بولس الخوري، فهو الشخص الحر والجريء، ويعتبر من طلائع الثورة الروحية في الأرثوذكسية، خصوصاً أنه رشح في وقت كانت فيه السياسة في لبنان حقيرة، واصفاً إياها بأنها سياسة سماسرة وتجار. هذه السياسة التي أراد المطران بولس أن ترتفع إلى مستوى روحي رفيع[1].

وطبعاً هناك أشخاص كثيرون من داخل الكنيسة وخارجها اعترضوا على مسألة ترشح المطران للنيابة واعتبروه مخالفاً لقوانين الكنيسة، لذا نرى في جريدة «البيرق» في عددها الصادر بتاريخ 12 نيسان 1951، مقالاً يوضح أنه لا يوجد أي مانع لدخول رجال الدين إلى النيابة، هذا إذا انتخبهم الشعب، وهذه الظاهرة منتشرة في بلاد عديدة من أوروبا، حتى البلاد العريقة بالديمقراطية، حيث ينتخبون الفطاحل من رجال الدين نواباً[2].

ومن المعارضين كان شباب يقدرون سيادة المطران وهم جمهور كبير من الشباب الراقي والمتعلم، اجمعوا على القول انهم يفضلون أن يظل سيادته بعيداً عن السياسة الحزبية الداخلية، وأنه وهو موضوع تقدير واحترام جميع الأحزاب، لا يجوز أن يزج بنفسه في

(1) «النهار»، تاريخ 11 نيسان 1951.

(2) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،... ص 110؛ والبيرق، تاريخ 12 نيسان 1951.

مهالك السياسة الداخلية في الجنوب[1].

أمّا وجوه الطائفة الأرثوذكسية فقد رأوا أن الأفضل لأحبارها الممتازين أمثال المطران بولس الخوري، أن يبتعدوا عن السياسة الحزبية الداخلية، حافظين طاقتهم لخدمة الطائفة والبلاد. ثم إن دخول المطران النيابة، لا يعطيه من النفوذ والسمعة الطيبة أكثر مما هو عليه، لذلك طلبوا منه أن يظل على حياد، حيث هو، أحد قادة الرأي في البلاد وأصحاب الكلمة المسموعة في جمع الأندية[2].

وآخرون من الوجوه الأرثوذكسية رأوا أن خوض صاحب السيادة المعارك النيابية، يعرض الطائفة الأرثوذكسية لأخطار التفكك والانقسام، فقد يكون الأرثوذكس في الجنوب قسمين، فإذا أيد سيادته قائمة بأن رشح نفسه فيها، اضطر القسم الباقي لمخاصمته. في وقت أن المخاصمة ليست في صالح الطائفة الأرثوذكسية[3].

أمّا المعارض الأكبر فكان أحمد بك الذي صرح أن ترشيح المطران هو سابقة خطرة في لبنان، بالرغم من أن القانون لا يمنع ذلك. فإنه للمرة الأولى في تاريخ لبنان يقدم فيها حبر على خوض معركة انتخابية سياسية. وأظهر خوفه من أن يؤدي ذلك إلى تشجيع مزج الدين بالدنيا في وقت يسعى فيه لبنان جهده لإبعاد الواحد عن الآخر. كما أكد أن الأرثوذكس في الجنوب يريدون تمثيلهم بواحد منهم. ولما كان المطران من أهل شمال لبنان، فهو لا يمكنه بوجه من الوجوه أن يكون ممثلاً لرغبات أرثوذكس الجنوب المعلنة[4].

---

(1) «الديار»، تاريخ 5 نيسان 1951.

(2) «الديار»، تاريخ 5 نيسان 1951.

(3) «الديار»، تاريخ 5 نيسان 1951.

(4) «النهار»، تاريخ 6 نيسان 1951؛ والتلغراف، تاريخ 6 نيسان 1951.

في البيان الانتخابي للمطران بولس (فيما لو دخل المجلس النيابي) أعلن بكل صراحة أن دخوله المجلس شرف له وللمجلس، فاعظم شرف هو أن يمثل الإنسان قومه في ندوة تنبثق منها الشرائع، معتبراً أن له حق الأولوية لهذا الشرف. فهو الذي رافق ثورة تشرين ودخل الجامع العمري الكبير، داعياً إلى الاتحاد في سبيل استقلال لبنان، وحينها لم يتردد عن السير في ركاب فاتح البرلمان.

وكذلك ليس هناك أجدر منه من يرشح نفسه لهذا المنصب في وقت كانت الكنيسة الكاثوليكية تنادي بواجبات رجال الدين الدفاع عن الحريات والقيم. فالتحول داخل الكثلكة كان يؤثر على الكنيسة الأرثوذكسية، لذا أراد المطران بولس الخوري أن يؤكد للعالم أن للأرثوذكس أمجادهم، فهم الأولون في العمل على القيادة نحو الحق. ولطالما كان يذكر هذا في كتبه وخطبه. ففي أول عظة له في أثينا باللغة اليونانية قال مفاخراً أنه من سوريا التي أعطت العالم المسيحي أعظم رجالاتها مثل يوحنا الذهبي الفم ويوحنا الدمشقي الكاتب والشاعر والفيلسوف واللاهوتي والرسام والموسيقي الذي وضع أسس الموسيقى البيزنطية وألف الأناشيد الكنائسية التي ما زالت الكنائس الأرثوذكسية تنشدها حتى اليوم[1]. موجهاً انتقاده إلى الضجة التي آثارها نفر من الناس حول ترشحه، فاعتبرهم يعيشون ويعملون للحاضر ولا يشعرون بالمسؤولية أمام التاريخ[2].

وأكد أنه لو دخل المجلس لطالب بإلغاء الطائفية علّة العلل، لأن لبنان دولة مبنية على أساس طائفي، وبقانون للأحوال الشخصيّة

---

(1) «النهار»، تاريخ 28 حزيران 1990.

(2) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول...، ص 107.

يتساوى فيه اللبنانيون، وعدم السماح بتسلط الإقطاعيين على المؤسسات الحكومية والقضاء. بالإضافة إلى تعديل قانون الانتخاب لأن القانون الحالي برأيه هو الإقطاعية بعينها[1]. ونادى باقرار الزواج المدني، الذي هو بداية طريق التحرر من التعصب الديني، وهو السبيل الوحيد لصهر الطوائف اللبنانية في بوتقة القومية العربية[2]. وبفصل الدين عن الدولة، لأن برأيه هناك رجال دين يستغلون مناصبهم الدينية للتدخل في السياسة لمصالحهم الخاصة. وضرورة في تطبيق المادة 12 من الدستور اللبناني القاضية بأن اللبنانيين متساوون في الحقوق والواجبات. والعمل على أن يستقل لبنان استقلالاً اقتصادياً وعلمياً بحيث لا يكون فيه إلا جامعة واحدة لبنانية عربية، وجيش لبناني عربي[3].

نجحت القائمة الموالية بكاملها، وبالمقابل سقطت القائمة المعارضة بكاملها، ونال المطران بولس الخوري 15359 صوتاً، وكان الفرق بينه وبين منافسه (الياس طرابلسي) بضعة أصوات.[4] وهذا التأييد أحرزه من عموم أبناء رعيته ومن الأقليات السنية والدرزية والمسيحية ومن فئة لا يستهان بها من الأكثرية الشيعية، وهذه الأرقام هي برهان ساطع على أن هذا العدد من أبناء الجنوب تحسسوا مع المطران، ومع رعيته، محافظين على كرامته التي هي في نفس الوقت كرامتهم[5].

ونشرت الجرائد أسماء الفائزين تحت عنوان (آخر الناجحين

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران، .... ص 10.

(2) «النهار»، تاريخ 28 حزيران 1990.

(3) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية.... ص 24.

(4) لا يوجد أي مصدر يذكر عدد فرق الأصوات بينهما.

(5) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول.... ص 106.

الياس طرابلسي وأول الخائبين المطران بولس الخوري)[1].

2 - توصيات رجال الدين الكبار وحرصهم على انجاحه

وأيد كبار رجال الدين ترشح سيادته للنيابة لما يعرفون فيه من جراة وصفاء فكر وغيرة على مصلحة الناس وخدمتهم. من هؤلاء نذكر البطريرك الكسندروس طحان. وفي ما يلي نص رسالته إلى رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري:

«حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم

يا صاحب الفخامة

بعد الدعاء بحفظ ذاتكم الكريمة ودوام جاهكم:

اطلعنا على الظروف التي رافقت ترشيح سيادة الأخ مطران صور وصيدا وتوابعهما السيد بولس الخوري عن أرثوذكس الجنوب، والدواعي التي أدت إلى هذا الترشيح غير الاختياري. وبما أننا نعتقد ونشعر أن فخامتكم ترغبون في المحافظة على كرامة سيادته وعلى حقوق الملة الأرثوذكسية والوقوف في سبيل المساومات التي يفرض أنها تجري في مثل هذه المناسبات.

فإننا نرجو تدخل فخامتكم الشخصي لإزالة الأسباب وصيانة كرامة سيادته وطائفته التي رشحته، وإذا ارتأت فخامتكم أفضلية انسحاب سيادته من ميدان الترشيح فلا أقل من أن تعطى له ولطائفته الترضية السياسية والمعنوية اللازمة مع مساهمة سيادته في اختيار الشخصية المناسبة لتمثيل الطائفة الأرثوذكسية في

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران.... ص 3.

الجنوب حسب رغبة فخامتكم.

وسلفاً نشكر مساعي وحكمة فخامتكم لتسوية الأمور على ما فيه راحتكم وخير البلاد [1].

عن دمشق 7 نيسان 1951

الداعي لفخامتكم

بطريرك إنطاكية وسائر المشرق

الكسندروس ».

3 - فشله ومسبباته

أصيب الرأي العام بدهشة كبيرة عند فشل القائمة المعارضة بكاملها. ويرجع المطران بولس الخوري سبب فشله هذا، إلى الضغط المسلح الذي منع وصول المقترعين لقائمة المطران إلى الصناديق، والأموال التي بذلت في حاصبيا والعرقوب لشراء الأصوات، إضافة إلى ذلك أنه لم يكن لديه مندوبون في أقلام الاقتراع، ولم يقم بأية دعاية في هذا السبيل، باستثناء ذلك المهرجان الكبير الذي أقامه في مرجعيون واجتمع فيه اكثر من عشرة آلاف رجل مظهرين محبتهم وتأييدهم الكامل للمطران هاتفين بأعلى أصواتهم أنهم مؤيدون له. ولم يتسن له التفكير في أن ذلك سوف يخيبّه، ويفتح عليه أعين المعارضين له ولمواقفه، واستغلال النقاط الممكن محاربته بها للنيل منه ومنعه من الوصول إلى النيابة، مؤكداً انه لم يفطن «لما فطن له ستالين عندما عرض في فنلندا دبابات خشبية وأسلحة عتيقة» [2].

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران،... ص 10.

(2) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،... ص 111.

وكان من نتيجة ذلك المهرجان أن نام المطران ومؤيدوه على حرير بينما استيقظ المنافسون وراحوا يستخدمون أجهزة الدولة وكل وسائلهم المعروفة لاستمالة الناخبين [1].

وكذلك من أسباب الفشل، ما كانت عليه حالة البلاد في هذه الفترة من عمر الاستقلال، وما كانت تنطوي عليه من مخلفات العهود السابقة ومساوئها المتمثلة في تقييد الرأي الحر، والانتخاب السياسي وكذلك الاجتماعي في كل صعيد. فكل هذه الأسباب والمعطيات أو بعضها أو أكثرها قد استمر على حاله في البلاد، إذ أن أيدي الدولة لم تكن قد بدّلتها بعد. بالإضافة إلى التصريحات التي أذاعها رئيس حكومة الانتخابات الحاج حسين العويني مراراً وتكراراً وجعلت القلوب تطمئن إلى ان لا مجال لحصول أي شائبة تؤدي الى فشل الطرق المتبعة في الانتخاب المبني على الحرية. أن هذه الأسباب مجتمعة هي ما حدا هذا الترشيح إلى الفشل وعدم النجاح [2].

وقد صرح المطران بولس الخوري، أنه لم تكن هناك نزاهة في الانتخابات، مشيراً إلى أنّ الصحف التي كتبت عن نزاهتها وحريتها، لم يكن أحد من أصحابها مرشحاً عن الجنوب. وهو بصفة كونه مطراناً أبى أن يقول غير الحقيقة، فلا يستطيع أن يشهد شهادة زور [3]، مهما تكن نتائج الحقيقة التي يصرح بها، لذا نراه وقد سجل الحوادث التي حالت دون وصوله للنيابة، ومنها:

❖ إن اهالي كفركلا، الموالين للدولة، والذين اقترعوا في

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 112.

(2) المطران بولس الخوري، محاضرات، الجزء الأول،... ص 113؛ المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران،... ص 13.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 112.

قلم دير ميماس لم يذهبوا إلى بيوتهم بعد انتهائهم من الاقتراع، بل وقفوا على باب غرفة الاقتراع ليمنعوا أهالي دير ميماس من الدخول، لانتخاب المطران. وعند إبلاغ الأمر للجيش الذي حول المهمة للدرك، أرسلت هذه القوى نفراً ليشرف على الوضع، بعد أن اطمأن عاد إلى قواعده، دون أن يحل المسألة، وطبعاً برأي المطران أن الهيئات الرسمية المكلفة الحفاظ على الأمن لم تقم بعملها بإخلاص.

❖ ومن الحوادث أيضاً الزيارات التي كان يقوم بها رئيس القائمة الموالية لأقلام الاقتراع، وانتشار قواته المسلحة في قرى جبل عامل – وهي المنطقة التي عرفت بالمنطقة الحرام الأولى – لتهدد كل شخص لا ينتخب غير القائمة الموالية. فبذلك تحولت منطقة جبل عامل إلى منطقة محرمة لا يستطيع المندوبون المعارضون الدخول إليها.

❖ فشل المطران بولس الخوري في إقناع الموظفين في الجنوب، بان الشعب يكون في أثناء الانتخابات مصدر السلطة، ولكنهم كانوا يعتذرون إليه مصرحين أنهم معه بعواطفهم ولكنهم مجبرون على مناصرة القائمة الحكومية[1].

❖ ومثل هذا أن السيد خير الله الخوري، سكرتير مدير مصلحة الأمن جاء من بيروت إلى مرجعيون، مساء الجمعة في 13 نيسان 1951، ليحمل الناس على توقيع برقيات ضد ترشيح المطران، فالقي القبض عليه في منطقة مرجعيون – وهي منطقة الحرام الثانية –، فسلمه المطران بصفته مرشحاً للدرك[2].

هذه الحوادث التي أتت على ذكرها مصادر مختلفة معرفة بها

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول.... ص 112.

(2) «النهار»، تاريخ 15 نيسان 1951.

على أنها حوادث طفيفة[1]، سردها المطران الخوري بحذافيرها، وهو الإنسان الجريء والصريح فلا نستطيع إلا أن نأخذ في الاعتبار كل حادثة، وخصوصاً أن الجنوب كان نبع الصراعات العائلية منذ القديم. وهذه الحوادث أثرت عليه ومنعته من الوصول إلى النيابة.

والجدير بالذكر هنا، أن المطران بولس الخوري اعتبر نفسه فائزاً، قبل إجراء الاقتراع حتى ولو سقط. هذا ما صرح به في المهرجان حيث قال: «لقد فزت منذ هذه الساعة، ولم أعد بحاجة إلى انتظار النتيجة، لأني أعتبر اجتماع هذه الألوف على اختلاف مذاهبها ونزعاتها هو انتخاب حقيقيّ صحيح، وأعتبر نفسي منذ الساعة نائباً عن هذه الألوف أمام الحكومة، سواء دخلت البرلمان أم لم أدخله. وايّ ثمار يمكنني أن أقطف من النيابة أكثر مما قطفت اليوم؟ فقد زرعت شجرة أعطت ثماراً بسرعة:

ثمرتها الأولى: أنيّ جمعت أبنائي تحت جناحيّ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها.

والثمرة الثانية: هي أنيّ جمعتكم يا أبناء الجنوب تحت جناح الوطن الواحد»[2].

وبالرغم من فشله في الانتخابات، دعا المطران الخوري الشعب إلى عدم التشاؤم لأن لبنان كدولة مستقلة لا يزال في عهد الطفولة، أي البداية، وعلينا أن نصبر. وإذا ما اطلعنا على ما يجري في بلدان أخرى متطورة عريقة في الديمقراطية يهون الأمر على الجميع، وهنا يلمح المطران إلى الانتخابات التي جرت في اليونان عام 1920، والتي كان شاهداً لأحداثها، إذ كان هناك حزبان

(1) لحد خاطر: الانتخابات النيابية في تاريخ لبنان، قدم له وحققه د. عبد الله الملاح، دار لحد خاطر، بيروت، لبنان، 1996، ص 178.

(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الأول.... ص 22-24.

يتطاحنان: حزب الملك وحزب فنزيلوس، وعندما أصر فنزيلوس على كلمته (إما أنا وإما الملك)، أسقطه الشعب. وهو الرجل العظيم الذي نظم دستور اليونان ورفع شأنها بين الأمم[1].

وبالرغم من مرارة الفشل الذي مني به المطران وأبناؤه، شعر بفرحة كبيرة بفوز عدد من أصحاب العقائد القويمة والمبادئ الحرة، الذين اعتبرهم تعزيته وعلق عليهم آمالاً كثيرة، منتظراً منهم أن يراعوا مصلحة الوطن، خاصة أن بين الفائزين عدداً من الصحافيين الذين علّق عليهم آماله بأن يقوموا بثورة لتكون الصحافة حرة في لبنان دون قيد أو شرط هدفها قول الحقيقة[2].

بعد إعلان النتيجة وفوز احمد الأسعد مع لائحته كلها، جاء موكب البيك ومن بمعيته إلى الطيبة، مساء يوم إعلان النتيجة وكان يوم أحد، وبدل أن يسلك موكبه الطريق إلى الطيبة عبر منطقة تل نحاس جنوب برج الملوك، ويتجنب التقاء خصومه ومعارضيه فإنه استدار بموكبه شمالاً، محلة المفترق، في وسط بلدة القليعة واتجه وسط القليعة جنوباً، وكان محازبوه يهتفون بالهتافات المعارضة للمطران، فقام بعض الصبية برشقهم بالحجارة ولما وصلوا إلى قرب بيت إبراهيم فرنسيس ترجلوا وحاولوا دخول البيت، فبادر بعض الحاضرين بإطلاق الرصاص من نافذة في قرميد القصر. ولما لعلع الرصاص، ركب قسم من المترجلين سياراتهم واتجهوا جنوباً لا يلوون على شيء. وانتهت الحادثة بمجيء الجيش من ثكنة مرجعيون لطمأنة الأهالي واثبات وجوده في المنطقة. ولم ينتج من تلك العراضة أي عمل انتقامي من الطرفين. ثم تكفلت

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، القسم الأول.... ص 114.
(2) المطران بولس الخوري، محاضرات، القسم الأول.... ص 115.

الأيام بترويق النفوس وإعادة مجاري الحياة الاجتماعية وألفة أبناء الشعب اللبناني إلى حالها، في منطقة مرجعيون[1].

4 - موقفه من قانون الانتخاب

تكلم المطران بكل صراحة عن فساد قانون الانتخاب، وخاصة نظام القائمة المخالف لمبدأ الحرية والذي هو وسيلة للتطبيق وحرمان الأشخاص الأكفاء لأنه يخول رئيس القائمة أن يستولي على مقدرات المنطقة ويفرض إرادته على أهلها كما حصل في الجنوب.

فهذا القانون، برأيه يفرض على الناخبين مرشحين مجهولين ويحتم عليهم أن ينتخبوهم نزولاً عند رغبة زعماء القوائم.

لاحظ سيادته أن القانون الصادر في 10 آب 1950 والذي يكرس مبدأ اعتماد الدائرة الصغرى في الانتخابات النيابية لأجل مصلحة كل منطقة على حدة حيث يتمكن أهلها بموجب هذا القانون من اختيار مرشحيهم الأكفاء، وبالتالي يرسلون إلى الندوة النيابية رجالاً واعين لمصالح المناطق اللبنانية المحرومة، مما يؤدي إلى لفت نظر الحكومة لمطالب تلك المناطق، ولكن لاحظ سيادته أن القانون على الورق شيء والتطبيق العملي شيء آخر، ذلك أن عربة الكتل النيابية الكبرى التي يقودها الزعيم تسحق تحتها مطالب ومصالح الأقليات المحقة[2]. يضاف إلى ذلك عدم مراعاة سرية الانتخاب لما كان يشاهده سيادته من خرق لهذه السرية ومن شراء للذمم على أبواب مكاتب الاقتراع علناً وجهراً بدون أي خوف وأي رادع[3]. بالإضافة إلى خرق لبعض المواد الأخرى بدون أي مبرر قوي منها

(1) مقابلة مع عامة الناس من أهل بلدة القليعة، تاريخ 15 آب 2002.
(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الأول.... ص 109.
(3) مستنداً على ما جاء في المادة الخامسة: «يكون الاقتراع سرياً». المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول.... ص 110.

إلغاء الأوراق التي لم تحمل اسمه الصريح عند الفرز وإن حملت لقبه ومنصبه مما اعتبره تحيزاً ضده لا مبرر له[1].

إن الفشل في الوصول إلى المقعد النيابي لم يحبط عزيمة المطران بولس الخوري، الذي استمر مهتماً ومتابعاً لشؤون رعيته في مرجعيون، رغم الظروف الصعبة، وما عاناه أبناء المنطقة من ضغط نتيجة الاحتلال الإسرائيلي.

فقد تابع رسالته في جمع القلوب وتطهير النفوس، متعاوناً مع كبار رجال الدين في المنطقة وفي طليعتهم الإمام موسى الصدر، المطران أنطونيوس خريش، البطريرك الكاردينال في ما بعد، عاملين على صيانة الوحدة الوطنية[2].

إن المطران بولس الخوري، هو النموذج لإمكانات فاعلة لم يحسن المجتمع الإفادة منها في الميدان السياسي، فما دام مجتمعنا يجيز تعاطي رجال الدين السياسة، فلماذا لم يسهل وصول أمثال المطران بولس الخوري، وهو من الأشخاص الذين اندفعوا بغيرة وشجاعة وروح تضحية، إلى العمل السياسي بل على العكس، قاومهم وحاربهم ومنع الإفادة منهم.

وفي الفصل الثالث سنعالج مواكبته لأحداث المنطقة في ظل ما كان يسمى «بالشريط الحدودي».

(1) هنا يشير إلى ما جاء في المادة: 48 «الأوراق التي لا تدل دلالة كافية على الاسم المدون فيها تعد باطلة». المطران بولس الخوري: المصدر السابق، ص 111.

(2) «النهار»، تاريخ 27 حزيران 1990.

الفصل الثالث

أحداث 1976 في الشريط الحدودي

1 - بداية الحرب الأهلية اللبنانية

انطلقت الحرب الأهلية اللبنانية من «بوسطة عين الرمانة»[1]، تاريخ 13 نيسان 1975، والتي تسببت بانتشار حواجز مسلحة في اليوم نفسه في الشطر الغربي من بيروت، بالمقابل انتشرت حواجز مدنية مسلحة في الشطر الشرقي للعاصمة. وبدأ التوقيف العشوائي

(1) ثمة روايات عدة حول الحادثة، منها الرواية الكتائبية التي أصدرت بياناً على لسان الشيخ بيار الجميل مفاده: أنه في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر الأحد 13 نيسان 1975. وبينما كان يحتفل بتدشين كنيسة في شارع الشيخ بيار الجميل في عين الرمانة، إذ بسيارة فولكسفاغن مغطاة الرقم تخترق الشارع، فأوقفها أحد رجال الأمن محاولاً الاستفسار من سائقها عن سبب تغطيته لرقم السيارة، فأجابه بأنه فدائي وينتمي إلى إحدى المنظمات، فطلب منه رجل الأمن أن ينزع الغطاء عن رقم السيارة ويعود. بعد لحظات إجتاحت الشارع سيارة فيات مسرعة ومغطاة الرقم أيضاً، وفي داخلها أربعة مسلحين ووراءها أوتوبيس في داخله 20 مسلحاً، وأخذوا يطلقون النار على جموع المصلين، مما أدى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى، بينهم جوزيف أبي عاصي، مرافق الشيخ بيار الجميل، وأنطوان ميشال الحسيني، وبعد التحقيق علم أن السيارة هي ملك الفدائي اللبناني منتصر أحمد منتصر. أنطوان خويري: «... وأخيراً حرقوه»، حوادث لبنان 1975، الجزء الأول، منشورات دار الأبجدية للصحافة والطباعة والنشر، لبنان، ص 15.

والخطف والقتل على الهوية في الشطرين[1].

لبنان الصغير جغرافياً والذي تربطه أواصر قرابة وصداقة تحول إلى حقد طائفي وسياسي أعمى، تأثر هذا اللبنان بما يجرى على أرضه وانتقلت عدوى الانشطار إلى جميع الأراضي اللبنانية، جنوباً وشمالاً، شرقاً وغرباً.

بعض الدول المجاورة والمستفيدة من تدمير هذا البلد السياحي والخدماتي ساعدت بشكل أو بآخر على تأجيج نار الفتنة بين أبناء البلد الواحد. الأبرز بين هذه الدول «دولة إسرائيل» المستفيدة الأولى من تدمير البنية التحتية للبنان بحجة الوجود الفلسطيني على أرضه، وتحديداً في جنوبه الملاصق لحدود الدولة التي احتلت أرض فلسطين[2].

قبل انقضاء العام الأول للفتنة تسارعت الأحداث وتأزمت في الجنوب اللبناني لتبرز نيات إسرائيل المبيتة ضد لبنان، فغلّبت فئة على فئة لاعبة الورقة المسيحية الرافضة للوجود الفلسطيني على أرض لبنان، تسلّحت هذه الطائفة بالسر والعلن، بالمعدات العسكرية، ومدت هذه الدولة خيوطها إلى العاصمة باحثة عن رجل مناسب - حسب زعمها - لمكان تعتبره مناسباً لزرع الفتنة بين أبناء الوطن إلى أن اهتدت مع بعض الأطراف «كميل شمعون» من بيروت إلى رائد في الجيش اللبناني جعلت منه قائداً لما سمي «بجيش

(1) انطوان خويري: المرجع السابق، ص 16.

(2) إن اللعبة الإسرائيلية بدأت تحاك في الظلام منذ أن نشرت الصحف محاولة خطف النائب أمين الجميل نجل رئيس الكتائب، وهي المحاولة التي لو تمت «لكانت البلد قد تحولت إلى شبه جحيم»، ومع فشلها كان لا بد للأيدي الخفية من أن تبحث عن طريقة أخرى لدفع اللبنانيين إلى الاقتتال، فكانت حادثة عين الرمانة. المرجع السابق، ص 14.

لبنان الحر»، مستغلة ظروف انقسام الجيش الوطني إلى جيوش طائفية وكان ذلك عام 1978.

في العام 1979 وبمساندة من الدولة العبرية أعلن سعد حداد «دولة لبنان الحر»، فقطع أوصال الوطن فاصلاً الجنوب عن باقي الجسد 10452 كلم.

بعد إعلان هذه الدويلة أخذت الأمور منحى جديداً ففعلت الطائفية فيه ما كانت قد فعلته في بقية الوطن عدا بعض الجيوب التي خضعت لما أطلق عليه «الأمر الواقع»، وفرض حداد على المقيمين بطاقة هوية جديدة مثبتاً حواجز ميليشياوية حددت الشريط الحدودي المبدئي، وأطلق عليها اسم «معابر»، وبدأت المناوشات بين الميليشيات وما كان يطلق عليه اسم الحركة الوطنية وللتاريخ فلم يخل الأمر من وجود الكثير من المسيحيين خاصة اليساريين في صفوف هذه الحركة.

اتخذ القرار الإسرائيلي عام 1980، باجتياح لبنان واحتلت العاصمة بيروت سنة 1982 [1] وحصلت مجزرة صبرا وشاتيلا، ورحلت جميع الفصائل الفلسطينية المقاتلة في لبنان، وتراجعت إسرائيل إلى حدود نهر الأولي حاملة معها جراح الخيبة بعد ولادة حركات لبنانية مقاومة [2].

في هذه الأثناء بدأت إسرائيل مخططاً قضى بتعزيز «جيش لبنان الحر»، الذي كان يسمى بجيش سعد حداد، عدة وعدداً وأطلقت العنان لإنشاء «الحرس الوطني» مما قطع الأوصال بين القرى والدساكر وافتعلت الحواجز بين القرى فبات التنقل، حتى، بين قرية وأخرى شبه مستحيل بحسب الطائفة أو الخط السياسي.

(1) بعد حصار دام 100 يوم.

(2) الأحزاب اليسارية والإسلامية، الحزب القومي السوري، الحزب الشيوعي،...

وهجّر من هجّر، وبقي عدد من المواطنين كانت الأغلبية من الطائفة المسيحية امتداداً من نهر الأولي حتى الناقورة وجزين وشبعا. وفي العام 1985 وتحت وطأة قيام المقاومة الإسلامية، وبمساعدة اليسار اللبناني، اضطرت إسرائيل إلى الانسحاب من مناطق واسعة من الجنوب، أقدمت خلال انسحابها على اجتراح فتنة طائفية أقحمت فيها جميع الطوائف وضمناً الجيش اللبناني (شرق صيدا). هذا الانسحاب رسم الخطوط العريضة لما سمته إسرائيل «الحزام الأمني»[1] لاعتقادها بأن ذلك يحمي مستعمراتها الشمالية من صواريخ الكاتيوشيا التي يصل مداها إلى أربعين كيلومتراً.

في هذه الأثناء كان اللواء المتقاعد في الجيش اللبناني أنطوان لحد يعيد تركيبة ما سمي فيما بعد بـ «جيش لبنان الجنوبي»، خلافاً لما كان عليه «جيش لبنان الحر»، بمعنى أوضح أن لحد طلب من الإسرائيليين إعداد هذه الميليشيا الجيش على غرار الجيش اللبناني النظامي. وقد ادخل في صفوفه الكثير من المرتزقة من اللبنانيين ومن غير اللبنانيين (مصر، عراق..) وتجاوبت الدولة العبرية مع أنطوان لحد وسلمت هذه الميليشيا الجديدة أسلحة وعتاداً على شيء من التفوق، وبقرار لحدي إسرائيلي أقحمت في صفوف ميليشيا الجنوبي أو «جيش لحد» أعداد كبيرة من الجنوبيين من جميع الطوائف، مسيحي، درزي، سني...، وخصوصاً الطائفة الشيعية ترغيباً أو ترهيباً.

من الناحية الثانية في الجنوب كانت مقاومة جديدة فتية انشقت عن حركة «أمل» وأطلقت على نفسها «حزب الله» ومنذ بدايتها بدأت سنة 1982، بتنظيم صفوفها لمواجهة ميليشيات

(1) وذلك باستغلال الأهالي، بداعي الحفاظ على قراهم.

الجنوبي والجيش الإسرائيلي.

وشهد «جيش لبنان الجنوبي» رواجاً لدى العديد من الهاربين من سعير المواجهات التي جرت عام 1989 - 1990 بين القوات اللبنانية والجيش اللبناني الذي كان يقوده الجنرال ميشال عون، فكثر عديد «جيش لبنان الجنوبي» وأنخرط في صفوفه بعض المقاتلين المحترفين فأنشأ أنطوان لحد عدداً من المراكز على الحدود بين «الحزام الأمني»، وباقي المناطق اللبنانية. كما أقام عدداً من المعابر المدنية المسيطر عليها من قبل ميليشياته فجبى الضرائب جاعلاً المرور على هذه المعابر بتصاريح خاصة تصدر عنه، وثبّت معتقل الخيام كسجن لمن كان يعتبرهم «مخربين».

بعد عملية تهجير مناطق صيدا، عام 1986، رسمت حدود «الحزام الأمني»، الذي بات يساوي ما نسبته 10 % من مساحة لبنان، وسمح بالمرور على معابر هذه المنطقة بموجب تصاريح خاصة صادرة عما كان يسمى «إدارة الشؤون المدنية» التي كان يرأسها ضابط إسرائيلي برتبة كولونيل ويمثلها مدني لبناني من كل بلدة، وفتحت إسرائيل الباب على مصراعيه أمام السياحة والتبضع وخلافها، تمهيداً لعملية تطبيع شاملة لجنوب لبنان. وانتشر «جيش لحد» على المعابر والمراكز المواجهة لمناطق النبطية جنوباً والبقاع الغربي شرقاً مما جعل المقاومة التي بدأت تأخذ طابعاً إسلامياً شيعياً لتركيز هجوماتها ضد هذه المراكز واتخذت فيما بعد طابعاً لبنانياً شاملاً.

2 - تأججها واحداثها داخل منطقة الشريط الحدودي

إن المطران بولس الخوري، أحد الزعماء الروحيين، الذين اتخذوا منذ البدء موقفاً وطنياً من الأحداث، كان صوتاً وطنياً جنوبياً صرّح على مدى ثمان وعشرين سنة قضاها في رعاية أبناء

طائفته الجنوبيين، كاشفاً حقائق الحرب الأهلية، وأبعاد المشروع الصهيوني الذي تسعى القوى التي سماها «بالانعزاليين» لتطبيقه في الجنوب. وهذا المشروع هو احتلال أرض الجنوب بأكملها وطرد اللبنانيين منها وإسكان الصهاينة الجدد فيها مكان السكان المطرودين[1].

ومن الأحداث المفصليّة في تاريخ الجنوب كانت سيطرة الجيش الإسرائيلي على جديدة مرجعيون واتخاذها مقرّاً رئيساً لقيادتهم مما اضطر بعض الأهالي إلى تركها والنزوح منها. في هذه الأثناء كان المطران بولس الخوري في بيروت. ورفض العودة إلى مرجعيون بسبب اختلافه مع الصهاينة، الذين كانوا يحاربونه شخصياً، عندما راحت إسرائيل تدمر وتقرن اعتداءاتها، بالشائعات والفتن الطائفية والعائلية[2]. ولكن هذا لم يمنعه من الاهتمام بالمعرفة أو الاطلاع على الوضع من مصادر مختلفة وخاصة من الذين هربوا من مرجعيون عن طريق حاصبيا. والحقيقة أن المطران بولس الخوري منذ ظهور «جيش لبنان العربي» برئاسة الملازم أول احمد الخطيب في مرجعيون، واستيلائه على ثكنتها وانفصال عدد من الجنود، وذهابهم إلى بلدة القليعة على الحدود اللبنانية الإسرائيلية، وتمركزهم هناك، وبدء المناوشات بين الجيشين، جرب مراراً وتكراراً أن يستغل محبة الجنوبيين وتقديرهم له، وثنيهم عن قرارهم، مذكراً إياهم بأن اليهود مشهورون باستغلال الظروف، وهم يفتحون الأبواب على الحدود محبة بمصلحتهم الخاصة وليس مصلحة اللبنانيين. إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل[3].

---

(1) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية 1976، ص 12.

(2) السفير، تاريخ 10حزيران 2000.

(3) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية.... صيدا، 1980، ص 13.

ويرجع المطران بولس الخوري بداية هذه الحرب إلى 6 تشرين الأول 1976 وانفجار الوضع إلى 18 تشرين الثاني من العام نفسه. أما البادئ فهما الاثنان معاً (الجيش العربي والانعزاليون)، وباعتقاده أن هناك طرفاً ثالثاً كان يشيع في كل من مرجعيون والقليعة أن أهالي البلدتين سوف يهاجم بعضهم بعضاً. وبرأيه أيضا أن القصة ليست «قصة رمانة بل قلوب مليانة»[1].

أمّا الفريق الآخر الذي أطلق على نفسه أسم «الفريق اللبناني» وهو ما يسميه «بالانعزاليين» فقد استطاع بالعدد والعدة أن يستولي على ثكنة مرجعيون بعدما قصفها قصفاً شديداً وقتل من الجنود عددا يتراوح ما بين العشرة والعشرين عنصراً بينهم ملازم في الجيش العربي، ونسفوا بيوتاً واحرقوا اكثر من خمسين منـزلاً، كما أهانوا بعض الشخصيات المعارضة له، ورشق دار المطرانية بالرشاشات. أمّا عدد القتلى بالإجماع فتراوح ما بين الخمسين والثمانين قتيلاً. والمهجرون نحو مئة عائلة، لجأوا إلى حاصبيا وإلى كفرحمام، ثلاثة أرباعهم من الروم والربع الأخير من السنة. كما قام الفريق المهاجم بمصادرة السيارات العائدة لأعضاء الحركة الوطنية. ومن جملة هذه السيارات سيارة المطران الخاصة وسيارة مرافقه[2].

والقرى المحتلة من «الانعزاليين» هي: الخربة، جديدة مرجعيون، الخيام. أما المحاصرة فهي: دير ميماس، دبين، بلاط وجميعها أخبارها غير معروفة، لأنّ الطرق مقطوعة إلى هذه البلدات من القليعة إلى حاصبيا. فالدخول والخروج ممنوعان[3].

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 19.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 14.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 13.

3 - دور المطران

كان دور المطران منذ بداية انفجار الوضع في الشريط الحدودي التهدئة والمحافظة على التعايش بين الأحزاب والمذاهب كافة. وحاول مراراً مع باقي رؤساء الطوائف في مرجعيون، ورؤساء الأحزاب على اختلافها، أن يقنع الطرفين بوجوب الهدوء والسكينة، فلم يفلح، وهذا ما دعاه إلى توجيه نداء إلى اللبنانيين والفلسطينيين والى العرب جميعا لجمع الكلمة ونبذ الأحقاد وإعداد العدة للحرب المقبلة ضد الإسرائيليين[1]. ومع هذا كان يردد أنّه ليس رجلاً سياسيّاً، وليس عنده اطلاع على ما يجري في أفق السياسة العالمية، مذكراً بأن لبنان حجمه صغير، مما يفتح المجال أمام اللبنانيين للتفاهم والرجوع عن الخطأ. ولكن على قدر ما عنده من معلومات، كان يرى أن الحلول هي بيد اللبنانيين أنفسهم. فالسلام والوئام لن يتحققا عندهم، إلاّ إذا صفت نيّاتهم، وجمعوا كلمتهم، وجلسوا على طاولة مستديرة للحوار، وترفعوا عن الخصومات، ونظروا إلى البعيد وهم يد واحدة مشدودة. لذلك بدأ المطران الخوري عمله بالجهد المتواصل من اجل وأد المحنة في مهدها من خلال الحوار والتفاهم[2].

كما كان يشير إلى أنه جاء إلى الجنوب كمطران على أبرشية صيدا وصور ومرجعيون وحاصبيا وراشيا الوادي وتوابعها سنة 1948[3]، ومن ذلك التاريخ حتى سنة 1975 كان الجميع يعيشون في الجنوب على اختلاف أديانهم وطوائفهم ونزعاتهم السياسية إخواناً وعائلة واحدة، ولعل أكبر دليل على كلامنا هي العلاقة القائمة بين

(1) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية...، ص 13.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 16.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 17.

الإمام موسى الصدر والمطران بولس الخوري، اللذين كانا يرسمان معاً الخطط المستقبلية لمكافحة الفقر، والعوز عند المواطن الجنوبي وخلق حالة الصمود والمقاومة عنده في آن. فقضيتهم أصبحت واحدة، هدفها تحصين الجنوب، سياسياً وقومياً، لأنه إذا لم يحصن فسيصبح لقمة سهلة في فم إسرائيل[1]. وعلى هذا الأساس تأسّست هيئة من رؤساء الطوائف في الجنوب، اتخذت لها اسماً هو «هيئة نصرة الجنوب»[2] كانت تجمع رؤساء الطوائف من جميع الأديان، يبحثون فيها شؤونهم، بروح الأخوة الصحيحة والوطنية الصادقة. وعليه اقتصر دوره في المرحلة التي سبقت الانفجار الأمني في 18 تشرين الثاني 1976.

وبعد وقوع الكارثة، لم يستطع المطران بولس الخوري العودة إلى مرجعيون لأنه كان صاحب موقف واضح من الأحداث، باعتباره مشجعاً ومؤيداً للحركة الوطنية، ومناوئاً للطرف الآخر المدعوم من

(1) «النهار»، تاريخ 27 أيار 1996.

(2) على أثر نكبة حزيران 1967، وتعرض الحدود الجنوبية للاعتداءات الإسرائيلية، دعا الإمام موسى الصدر رؤساء الطوائف في الجنوب إلى اجتماع طرح فيه فكرة تشكيل هيئة لمساعدة الجنوب، فتجاوب الجميع، وأسسوا هذه الهيئة، ووضعوا لها نظاماً خاصاً، والغاية منها مساعدة المنكوبين من أبناء الجنوب، وليس لها أغراض سياسية، وأعضاؤها هم: الإمام موسى الصدر والشيخ عبد الأمير قبلان عن (الشيعة)، المطران انطونيوس خريش والمطران يوسف الخوري عن (الموارنة)، المطران بولس الخوري عن (الروم الأرثوذكس)، المطران باسيليوس خوري والمطران أثناسيوس شاعر والمطران جورج حداد عن (الروم الكاثوليك)، الشيخ محمد أنيس سليم حمود مفتي الجنوب والشيخ احمد الزين قاضي الشرع عن (السنة)، قاضي المذهب الشيخ نجيب قيس عن (الدروز)، القس وديع انطون عن (الطائفة الإنجيلية)، المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران...، ص 6،7.

أهالي بلدة القليعة الذين احتلوا ثكنة مرجعيون وطردوا جميع الموالين للحركة الوطنية ولمؤيديها[1]. فاقتصر دوره على تنظيم لوائح بأسماء مهجري الجنوب على اختلاف طوائفهم، وتفويض لجنة مهمتها السعي لدى الهيئات الخيرية للحصول منها على مساعدات مادية، لسد حاجاتهم الضرورية، وعلى صياغة البيانات الإذاعية والصحافية التي تندد بـ «الانعزاليين» (حسب قوله) وتدعو العرب لحزم أمرهم ومحاربة إسرائيل والقضاء على مشاريعها الاستعمارية[2]. وتوجيه برقيات إلى الملوك والرؤساء العرب، نذكر منها: نص البرقية التي وجهها إليهم في 23 تشرين الأول 1976 وهي:

«اشتراك إسرائيل في حرب لبنان، استهتار بالدول العربية جمعاء وخرق للحقوق الدولية. أناشدكم الاهتمام بهذا الموضوع الخطير في اجتماعاتكم، لئلا يبقى جنوب لبنان تحت رحمة العدو الصهيوني»[3].

بالإضافة إلى النداء الذي أطلقه في الجنوب في آخر العام 1981 ومن كنيسة مار نقولا في صيدا، عاصمة الجنوب الحبيب، موجهاً كلمته إلى الملوك والرؤساء العرب والى الأمة العربية جمعاء، أن يتفقوا على تحرير الأرض المقدسة، وإنقاذ المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، لأنه من العار على العرب، أن يلهوا بالخلافات في ما بينهم بينما القدس الشريفة وفيها أشرف مقدسات العرب محتلة[4]. عند إطلاقه هذا النداء كأن نفسه تحدثه، بأنه إذا

---

(1) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية...، ص 33.

(2) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران...، ص 7، والمطران بولس الخوري: الحرب الأهلية...، ص 1.

(3) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية...، ص3.

(4) السفير، تاريخ 10 حزيران 2000.

تغاضى العرب عن واجباتهم تجاه القدس، فسيأتي العدو الغاصب إلى صيدا، والى ما يتعدى صيدا، وهكذا صار.

وعندما وصل اليهود إلى صيدا، ظلت مواقفه هي إياها، بل زادت، فرفض الخضوع لسلطة اليهود مقفلاً باب مطرانيته في وجه ضباطها مانعاً إياهم من الدخول، لأنه لا يمالىء ولا يخادع ولا يخاف، وكذلك فعلت صيدا بكاملها[1].

كما وجه نداء آخر في سنة 1985، إلى الملوك والرؤساء العرب، باسم العروبة كي يتفقوا على تحرير الأرض العربية من إسرائيل، وأن يؤجلوا خلافاتهم إلى وقت آخر، ووجه نداء إلى الذين يجتمعون في شتورة كي يؤجلوا الخلافات القائمة بينهم وبين الأفرقاء الآخرين، وأن يعملوا على إنقاذ لبنان، مذكراً إياهم بأن هناك قواسم عديدة بين اللبنانيين والعرب، إنما الشيء الوحيد الذي يجمعهم هو محاربة إسرائيل[2].

هذا بالإضافة إلى النداءات التي كان يوجهها إلى الصليب الأحمر، والهلال الأحمر، ومجلس الكنائس العالمي، وسائر المؤسسات الخيرية في لبنان، وللموضوعية التاريخية سأدرج نص النداء الذي وجهه في 26 تشرين الأول 1976:

«إن المحاصرين في مرجعيون من الانعزاليين مقطوع عنهم الغذاء والكهرباء، والمهجرين من مرجعيون اللاجئين في حاصبيا وكفرحمام محتاجون إلى الغذاء والغطاء، يناشدونكم أن تساعدوهم حتى لا يموتوا جوعاً وعطشاً»[3].

وتلقى سيادته استجابة لأكثر النداءات منها الحصول على

---

(1) النهار، تاريخ 8 تموز 1995.

(2) النهار، تاريخ 15 آب 1985.

(3) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية...، ص3.

كميات من الأغذية والحاجات المادية الحياتية للمهجرين، من مجلس الكنائس، من الصليب الأحمر والهلال الأحمر وعدد من المؤسسات الخيرية، بالإضافة إلى اهتمام العميد ريمون أده الذي هب لمساعدة مرجعيون ومهجريها.[1] لكنه كان عاتباً على مجلس الجنوب لأنه لم يقم بمهمته تجاه المهجرين، مع العلم انه تأسس لهدف مساعدة أهالي الجنوب المنكوبين، لكن المطران يتهمه بأنه توسع على حساب أهالي الجنوب[2].

4 - مواقفه من هذه الحرب

كان المطران بولس الخوري مؤمناً بالقومية العربية وملتزماً اياها. كان يصرح «أن المسيحيين قسمان: غربيون وشرقيون. الأغلبية الساحقة من المسيحيين الشرقيين هم قوميون عرب»..... ثم أشار إلى أنه يفتخر بأنه ليس «متعصباً دينياً، بل متعصب قومياً[3].

ومن خلال الحديث الذي أجراه معه طوني خوري في جريدة «النداء» بتاريخ 31 تشرين الأول سنة 1976 تبّين أن المطران الخوري اتخذ موقفاً مؤيّداً للحركة الوطنيّة منذ بداية الأحداث، معلناً أسفه الشديد لسماعه أن الجنوبيين ينزحون عن قراهم خوفاً من هجمات «قليمانية». وأسفه يتضاعف عندما يتحول سكان القليعة المسيحيون إلى جيش غازٍ. وكان يشجع أبناء الجنوب المؤيدين للحركة الوطنية على الصمود، حيث استشهد ببيت من الشعر كعادته:

وإذا لم يكن من الموت بد   فمن العار أن تموت جباناً

ثم أعلن دهشته وألمه لما سمعه عن أهل القليعة إذ انه كان يعتبرهم انصاراً له على مدى 28 سنة ناصروه خلالها ضد أبناء

(1) السفير، تاريخ 27 تشرين الأول 1976.

(2) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران.... ص 10.

(3) المطران بولس الخوري، من ذكريات المطران.... ص 5.

طائفته الذين خاصموه في جديدة مرجعيون[1].

كان المطران يعمل من أجل الوحدة الوطنية ويروّج لها خلال الاحتفالات الدينيّة المختلفة، إذ أنه قبل انفجار الوضع في الجنوب بعشرة أيام، وعندما كان يكلّل شاباً من أبناء طائفته في قرية الخربة على فتاة من قرية القليعة من عائلة قائد الجيش حنا سعيد، ألقى خطاباً دعا فيه إلى الوحدة الوطنية لمواجهة العدو الصهيوني. وكان الجميع مسرورين[2]. ويشير المطران إلى أن ذلك لم ينفع «لأنّ عقيدة أهل القليعة لبنانية طائفية، وعقيدتي عربية لبنانية»[3].

فلهجته الحادة وكلامه المباشر جعلاه أقرب إلى الخطيب منه إلى الواعظ، وداعية إلى الثورة والقتال من أجل الحق، وإن بحمل السلاح كما قال مرة في «ندوة نسائية»، أكثر منه مبشراً بعقيدة أو دين، وعباراته تنم عن إقدام ودفع إلى العقل. يقول: «لو كنت سياسياً لحصرت الزعماء السياسيين في غرفة مغلقة وأنذرتهم بالموت ما لم يخرجوا منها متفقين خطياً على وقف إطلاق النار»[4]. ومن البداية هو الشخص المرتبط بالناس وهموم المنطقة عموماً، راح يحذر من «نيات العدو»، وكان خائفاً من سياسة «الأبواب المفتوحة على الحدود اللبنانية» ويدعو إلى «مجابهتها بشتى الوسائل». فنظم بالتعاون مع «الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية» في 22 حزيران

(1) كانوا من أشد أنصاره لدرجة أنهم اصطدموا مع أنصار المرحوم أحمد بك الأسعد أثناء انتخابات سنة 1951. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 10.

(2) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية...، ص 10؛ والديار، تاريخ 31 تشرين الأول 1976.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 17.

(4) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية...، ص 17.

1975 المؤتمر الشعبي الأول لقضاءي مرجعيون وحاصبيا واستهل جلساته التي عقدت في المطرانية في جديدة مرجعيون بكلمة دعا فيها «إلى نبذ ما يفرق والارتفاع عن الصغائر»[1].

وكان قد اتخذ موقفاً صريحاً من سعد حداد وميليشياته، على حد تعبيره، وارتباطه بإسرائيل مشيراً "إلى أن الكلاب لا تنبح إلا بأمر من أصحابها". كان يقول رأيه دون خوف، وقد أصر على مواقفه التي أزعجت إذاعة الميليشيات «صوت لبنان الحر» التي شنت عليه حملة وقالت عنه: «إنه يعمل لصالح الشيوعية» وطالبت بإقالته من منصبه لأنه لم يعد يمثل الكاثوليك[2]. وهنا يعود بنا المطران إلى بداية الحرب الأهلية التي برأيه كانت ضد الروم في المنطقة[3].

ويبدي استغرابه من هذا الموقف موجهاً إلى الإذاعة سؤالاً، من تريد الإذاعة المذكورة، أن يمثل الكاثوليك، «في دولة لبنان الحر»؟ هل هو سعد حداد الكاثوليكي، الذي بدأت إسرائيل تسويق قيادته في مجتمع ماروني؟ فيما سعد حداد لا تنطبق عليه أي من تلك المواصفات أو الشروط، وطبعاً برأي المطران الخوري لم يساعده على ذلك تهجيره للأرثوذكس من مرجعيون[4].

ولطالما قام المطران الخوري بالدفاع عن رعيته، التي انتمى إليها ليس بمكانها فحسب إنما بقضيتها؛ ولهذا كان أول المستهدفين، كان معترضاً على إهمال الدولة للجنوب، معتبراً أن خيراتها توزّع على جميع المناطق ما عدا الجنوب؛ مؤكداً أن إهمال

---

(1) النهار، تاريخ 10 حزيران 2000.

(2) السفير، تاريخ 10 حزيران 2000.

(3) الديار، تاريخ 10 حزيران 1976.

(4) الديار، تاريخ 10 حزيران 1976.

السلطة ليس جديداً، - أي من عمر دخول الإسرائيليين إلى هذه القرى - بالإضافة إلى أن السلطة لم تقدم مساعدتها للمزارعين في شراء محاصيلهم وبالتالي لم تعمد إلى تجهيز المستشفيات كما يلزم، فعندما كان الحصار المضروب حول هذه المناطق، لم يكن هناك أي حل بيد الجنوبيين الذين اضطروا مكرهين إلى الإفادة من عروض العدو الإسرائيلي في البيع والشراء وفي المستوصفات الحدودية[1].

وأضاف: «معاذ الله أن نتهم الجنوبي بالخيانة، فالخيانة وصمة يمكننا أن نلحقها مطمئنين بمناطق معينة وزعماء معينين وليس بصامدين اجتازوا رحلة إهمال عمرها 18 سنة»[2].

وردّد بيت شعر لشاعر الفيحاء سابا زريق أمام مندوب جريدة السفير نشرته بتاريخ 27 تشرين الأول 1976 يقول :

ما إن رأيت الظلم حاق بأمة إلا وأكبر مذنب رؤساؤها

ويعبر المطران في قصة كتبها عنوانها «ضحية المبادئ الحرة» أن هناك مبدأين كان يحلم بهما منذ صباه «الأول اتحاد الأديان والثاني نشر السلام»، فهو يؤمن بأن الأديان كلها تتوحد بإله واحد[3] ويبدو أيضاً انه جرب منذ صباه خدمة وطنه وإقناع إخوانه في العروبة في جميع الأقاليم العربيّة بأن سعادتهم تكمن في اتحادهم وجمع كلمتهم وتأليف دولة عربية كبرى تحتلّ مكانها بين الدول. وانّ أمنيته الكبرى أن يرى الشعوب العربيّة تؤلّف دولة واحدة تحت اسم «الجمهوريّات العربيّة المتّحدة» أسوة بالجمهوريات

---

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران،... ص 11.

(2) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثالث، صيدا، 1976، ص 78.

(3) المطران بولس الخوري: ضحية المبادئ الحرة، أثينا، 1922، ص 22و23.

السوفياتية المتحدة آنذاك[1].

ولم يرضَ من عروبة لبنان بديلاً، وكان يعتبر أن الفلسطينيين لا مصلحة لهم في الأحداث اللبنانية، غير القضية التي يعملون لأجلها وهي تحرير أرضهم من الاغتصاب. وهنا تذكّر أمراً حصل له خلال زيارته لريو دي جينيرو في البرازيل سنة 1968 حين أقام له السفير السوري مأدبة، وعرّفه خلالها على السفير الجزائري فاستشف السفير من آراء المطران ووجهة نظره أننا «لن نستطيع نحن العرب أن نتغلب على إسرائيل، إلاّ بالعمل الفدائي»[2].

أمّا بالنسبة إلى موقف الأرثوذكس من الحرب اللبنانية فكان رأيه أنّ الأرثوذكس قوم اختلطوا بغيرهم من سكان لبنان، وكان منهم من هو مع اليمين، ومن هو مع اليسار. وإذا أعطي للبنان أن يكون رئيس جمهوريته مسيحياً، لوجود تجمع مسيحي فيه اكثر من بقية الدول العربية الأخرى، فهذا لا يعني أنّ لبنان المستقبل لن يكون مزرعة للإقطاعيين وللمستثمرين، ولن يكون هناك ظالم ومظلوم، بل إن الجميع يجب أن يكونوا متساوين أمام القانون[3].

وكان يؤمن بأن «مصلحة الجنوبيين مع العرب»، فهو الشخص الذي حورب لأنه اعتنق القوميّة العربيّة، ولا يفكر تفكيرهم. ومن الطبيعي أن يتحّسس مع مهجري الجنوب لأنه كان يعتبر نفسه واحداً منهم[4]. وقد أطلقوا عليه لقب «مطران المهجرين» لكونه

---

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران...، ص 11.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 11؛ والسفير، تاريخ 11 تشرين الأول 1977.

(3) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران...، ص 32.

(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 38.

واحداً منهم ولكونه صوتهم وضميرهم[1]. وبالرغم من أسفه العميق، وهو الذي تجاوز الثمانين عاماً، والذي عاش على الأحلام بأن يرى أمته العربية تعيد مجدها القديم وتعيد مكانتها بين الأمم، أن يرى العرب حتى الآن مع كل ما أصابهم ، لم يجمعوا كلمتهم ولم يحزموا أمرهم ولم يصمموا على استرجاع أراضيهم[2].

وكان أحيانا يبدي تفاؤلاً حيال بعض المواقف التي تصدر عن دول أو تجمعات أو أشخاص وفي رأيه أن كل ما يجري في العالم ينعكس على البلاد العربية، مثل ثورة إيران، تجميد معاهدة كمب دافيد (1978)، موجهاً صرخة في أعقابها: «أن أزمة العرب أزمة آخلاقية قبل أن تكون سياسية، لأن الخيانة لا تكون إلا في مجتمع تسوده قلة الأخلاق»[3] ... قبول الجبهة اللبنانية بعروبة لبنان، كما أعلن النائب إدمون رزق في جلسة لمجلس النواب آنذاك[4].

وفي كثير من مواقفه عبر بصراحة عن عدم ارتياحه لتصرف الرئيس أنور السادات، الذي وافق على تبادل السفراء بينه وبين إسرائيل، العدو الذي ما زال يحتل قسماً من الأراضي العربية، بالرغم من معارضته سابقاً لهذا العمل مشيراً إلى أنه لا يمكن أن يكون هناك سفراء ما دامت إسرائيل تحتل أراضي عربية ولا تعطي الشعب الفلسطيني حقوقه[5].

---

(1) «السفير»، تاريخ 10 حزيران 2000.

(2) المطران بولس الخوري: الحرب الأهلية اللبنانية...، ص 26.

(3) «النهار»، تاريخ 28 حزيران 1990.

(4) المطران بولس الخوي، المصدر السابق، ص 37.

(5) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 46.

5 - إقامته خارج أبرشيته

ترك المطران بولس الخوري جديدة مرجعيون مجبراً وليس مخيراً، مفضلاً العيش في بيت فقير على العيش في قصر منيف في ظلّ الاحتلال الصهيونيّ .

كان خارج حدود أبرشيّته جديدة مرجعيون جسديا، أمّا روحيّاً فكان دائماً فيها وعلى تواصل مع أبنائه الروحيين، يقدّم لهم العون والخدمات، وبالأخص للطلاب والمرضى والمعوزين. ويدافع عن حقوقهم، ورفض أن يقال عن أبناء رعيته بأنّهم عملاء، مصّرحاً إن القسم الموجود من أبنائه ضمن الاحتلال لا يستطيع أن يترك أرزاقه للغير ليتمتّع بها.

في البدء عاش في أوتيل بلازا - الحمراء، (في بيروت)، ومن موقعه ذاك ظل يناضل ويكافح ويحضر المؤتمرات والمهرجانات ما سمحت له الظروف، فيشارك فيها حضوراً وخطابة وتوجيهاً[1]. وهنا أريد أن اذكر انه كان في الثمانينات، لذا عندما كانت الظروف لا تسمح له بالخروج، كان يجلس دوماً في الصالون المطل على الشارع، ينظر إلى الناس بعينين يقظتين، وينادي من يعرف منهم ويجلسهم إلى جانبه ويحادثهم ويجادلهم ويمازحهم ويتبادل معهم النكات والنوادر والذكريات. وكان لا يوفر أحداً من «الكبار»، كبار الدولة والحكم والسلطة والمجتمع والمؤسسة الكنسية والحزبية والاقتصادية والتربوية. ينزل لسانه في ظهورهم كالسوط الجلدي الجارح، يندد بالخطأ ويفضح التقاعس ويستنكر الآثام والخطايا التي يقترفها هؤلاء في حق الشعب متسترين بألف حجة وذريعة. ثم ما لبث أن انتقل بصورة دائمة إلى صيدا، سنة 1978 التي عاش في مطرانيتها حتى آخر لحظة من حياته[2].

---

(1) السفير، تاريخ 2 آب 1995.

(2) النهار، تاريخ 23 تموز، 1978.

أما أهمية هذه الإقامة، فتمثلت بأن فريقاً من اللبنانيين شعروا بأنهم أصحاب قضية عادلة يزيد حماستهم لها وجود المطران الخوري إلى جانبهم بأحاديثه وبث روح الوطنية في صدور الفاترين وطنياً، ثم مشاركته في المهرجانات التوجيهية والتثقفية، التي كانت تقام في لبنان لتوعية وتثقيف الشعب اللبناني إلى حقيقة أمر الاحتلال وكانت هذه المهرجانات تقام خارج نطاق الجنوب المحتل.

أمّا أبرز أعماله أثناء هذه الإقامة، فيها النظر في أحوال المهجرين في الشريط والاهتمام بهم وطلب المساعدات لهم، ثم القيام بمساعدتهم في حل مشاكلهم الاجتماعية والروحية التي تتعلق بالكنيسة والعلاقات الزوجية والعمادية والأحوال الشخصية، إلى ما هنالك من مثل هذه الأمور الكنسية.

أما تأثير إقامته فكان إيجابياً على المجتمع أولاً وعلى نفسه ثانياً، إيجابيا إذ انه شعر بمحبة الناس له وتعلقهم به مما زاده نشاطاً في أعماله الخيرية والخدماتية، وكما ان من حوله تشطوا به واطمأنوا إلى قيادة هذا الرجل القوي والوطني العاقل الحكيم.

الفصل الرابع
مؤلفاته الأدبية والفكرية

من الصعب جداً إعطاء رأي كامل أو شبه كامل يتناول التفاصيل في الأسس والمرتكزات العامة لمجموعة كتب تضم الموضوعات الآتية:

مذكرات شخصية، ومحاضرات في جزأين، ومقالات في جزأين، وذكريات، وكلمات في ثلاثة أجزاء، والفروقات بين الكنائس المسيحية، ومنظومات، وقصتان هما: «ضحية المبادئ الحرة» و«فلسفة الحياة»، وأقوال وأمثال مأثورة.

وواضح أن الموضوعات ليست حول قضية فكرية واحدة وإنما آراء في شؤون مختلفة بدأ بها المؤلف منذ كان طالباً مبتدئاً حتى آخر يوم في حياته.

في أثر كهذا نكتفي بتقويم اتجاهات المؤلف الرئيسية وآرائه الأساسية في جملة من القضايا والمشكلات ضمن حدود ميزاته ونطاقها. والمؤلف لاهوتي وأديب وصحافي، وشاعر وكاتب عربي اجتماعي أخلاقي مع اتجاه نحو التاريخ.

ولإعطاء صورة واضحة عن أهميته التأليفية والكتابية، اللاهوتية والأدبية، نتوقف عند هذه المؤلفات الواردة بالشكل التالي:

1 - **مُذكرات**، المطران بولس الخوري، القسم الأول نقلاً عن (أنوار الأحد)، 1973.

❖ **تعريف**

كتاب من الحجم الصغير، يضم جزءاً من مذكراته التي خص «أنوار الأحد» بنشرها بشكل يوميات، إضافة إلى سيرة حياته، وبعض الحوادث التاريخية التي مر بها الوطن العربي خلال سبعين عاماً.

إضافة إلى القيم الأدبية يضم الكتاب صوراً بالغة الأهمية[1]، مما يعطيه قيمة تاريخية، وقد تبرعت بنفقات طبعه ابنة شقيقته السيدة فريدة بربر وعائلته، يوزع مجاناً.

❖ **مضمون**

يتحدث المطران بولس الخوري في القسم الأول من «المذكرات»، عن ميلاده وطفولته في قريته (بتعبورة – الكورة)، فعندما جاء «المطران» إلى هذه الدنيا... إلى هذا الكون الرحب، عمدته السماء بمطر المحبة، وحممته الطبيعة بأزهار التقوى وتطهر

(1) عددها ست صور:
❖ صورة للمطران بولس الخوري، عام 1973، في الصفحة السادسة، عندما كان يكتب مذكراته.
❖ صورة لدير البلمند في عام 1909، بالإضافة إلى ظهور ثلاثة شمامسة أمام البناء، ص31.
❖ صورة للشماس بولس الخوري، عام 1919، تصوير حبيب هواويني، دمشق، ص 49.
❖ صورة للشماس بولس الخوري، مع تلامذة الصف الخامس، في مدرسة الـ Rizarian، ص59.
❖ صورة تضم عمدة الحزب الوطني السوري في البرازيل، وبينهم الشماس بولس الخوري، ص67.
❖ صورة الشماس بولس الخوري في مكتب مجلة «الأمل»، ص73. المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول، 1973.

بمطر الإيمان لتمنحه الحياة بذور العطاء والتسامح دون أخذ أو منة[1]، وقد حملت طفولته بعض الذكريات والأسئلة.

فيترك لنا نبذة واضحة عن تصوره لنفسه وهو جنين في بطن أمه، ثم وهو طفلٌ مقمطٌ، ويترك لنا مبهماً سيرة حياته من ولادته سنة 1896 حتى بلوغه السن الرابعة من العمر. وتنحصر معلوماته عن لقب «أبي عقل» ورافقه هذا اللقب حتى آخر يوم من حياة أمه[2].

وظل المدون حتى العاشرة من عمره يعتبر أن قريته دولة مستقلة ضمن حدودها الطبيعية من نهر العصفور شمالاً إلى نهر الجوز جنوباً، فكان يمضي في ربوعها ليالي الشتاء وأيام الربيع أجمل اللحظات الراسخة في الذاكرة.

فيعطي لنا داخل هذه الصفحات صورة عن قرية جميلة تظللها الأشجار، يلعب تحت أغصانها الصغار، وتؤدي الطيور من الحرارة والأمطار. وبعد الغيبة تغيرت معالمها وهجرها شبابها وطيورها، فلذلك تمنى بصدق أن يدفن في ترابها ضمن مدافن عائلته، بعد ملاقاة ربه وأن تظلل قبره شجرة مفروزة لتتحول عظامه إلى غذاء لها، فيساهم هو وأجداده في نموها وعلوها فيعود للقرية رونقها[3].

أما عن البيت فيذكر أنه أمضى العقد الأول من عمره، ضمن جدرانه لا يتركه إلاّ ليقصد مدرسة القرية، برفقة أخته الأكبر منه مريم وأخيه الأصغر فهيم، فيبرز ضمن حديثه، فكرة

(1) وهنا نرى تأثير جبران الواضح عليه، وهو لطالما كان معجباً بكتاباته، ومولعاً بمطالعاتها كتاباته.
(2) المطران بولس الخوري: مذكرات، القسم الأول، ص 7.
(3) المطران بولس الخوري: مذكرات ...، ص10.

عن المواد والمعارف التي كان يكتسبها الطالب، ضمن هذا النوع من المدارس[1].

وينتقل بعدها إلى المدارس التي تلقى فيها دروسه الابتدائية، والحوادث التي عاشها في المدرسة الداخلية (مار يوحنا مارون)، وانتقل بعدها إلى مدرسة البلمند، ومن ثم سفره إلى روسيا، ومن ثم عودته إلى لبنان، وإشغاله منصب مدرس في البلمند، وسيامته كاهناً[2] وأخيراً سفره لليونان[3].

هذا الجزء من المذكرات، على قصره (80 صفحة) غني بالإشارات إلى الأوضاع الكنسية والوطنية في فترة مهمة من تاريخنا، نقرأ فيها عن العلاقات بين الأرثوذكس والموارنة كما عاشها التلميذ حليم الخوري (المطران بولس الخوري في ما بعد)، الذي يذكر الموارنة طائفة شرقية غربية، أرثوذكسية كاثوليكية. هي شرقية لأنها نشأت في الشرق ولغتها السريانية هي لغة شرقية وطقوسها شرقيّة. وهي غربيّة لأنها تعترف برئاسة بابا روما وتتبع التقويم الغربيّ، وأرثوذكسية لأنها وافقت على دستور الإيمان الذي وضعه المجمعان المسكونيان الأول والثاني. بالإضافة إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية تعيِّد للقديس مارون في 14 شباط من كل سنة. بينما يذكر عن لسان السنكسار اليوناني، أن القديس مارون تنسك، وكان يجوب المدن والقرى منادياً بكلمة الله، عندها كان الناس يزحفون باتجاهه طالبين منه رد الأمراض عنهم.

ويظهر أن مار مارون كان معجباً بطلاقة لسان يوحنا الذهبي الفم، وبالمواضيع المدرجة ضمن مواعظه. ويروى أن القديس مارون

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 14.

(2) المطران بولس الخوري: مذكرات...، ص 38.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 18- 39.

قصد إنطاكية متنكراً ودخل كنيستها ليسمع عظة من يوحنا الذهبي الفم[1].

ويصف لنا دير البلمند، وهو بحسب قوله «الجبل الجميل»، فيرسمه لوحة رائعة تقوم على أكمة تعلو عن سطح البحر نحو 300 متر، وتطل على بحر الروم وطرابلس، مكسوة بأحراج السرو والشربين والصنوبر والسنديان، وفي وسطها قلعة قديمة البنيان، «انه منظر يستحق الاسم البلمند»[2].

ويبرز لنا وجهاً من الأحداث التاريخية التي عاشها الوطن العربي في تلك الحقبة، ومواقف رجال الكنيسة من الشأن الكنسي والوطني[3]، ويتطرق أيضاً إلى أحداث اليونان والخلافات التي عانتها، ويورد مشاركته في دفن الملك اسكندر بتاريخ 16 شباط عام 1920، مبيناً وضع البلاد بعد موته[4].

وينتهي إلى المشاكل المتأججة داخل الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية[5].

❖ استنتاج

يبدو أن كاتبنا يحترم السرد الزمني للأحداث، فيبدأ بذكرياته من ولادته حتى سفره إلى اليونان. فالدقة في الأحداث والمواقع والمستجدات، تجعلنا نتوق إلى إكمال الكتاب كأننا نرى طفلاً يكبر ويترعرع ضمن صفحاته، فيتضح لنا أنه متأثر بالفكر اليوناني والثقافة اليونانية، فهي تشكل بالنسبة إليه تراثاً ثميناً

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 28 و 29.

(2) المطران بولس الخوري: مذكرات...، ص 33.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 53.

(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص75.

(5) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص79.

يجب التمسك به إلى الأبد.

ولو عرضنا مؤلفه هذا من الدقة إلى آخر صفحة فيه لوجدنا أثرا كبيراً لهذه الروحيّة الأرثوذكسيّة المنفتحة الحضاريّة غير المحليّة.

أما أسلوبه في الكتابة والتعبير فليس فيه أي تعقيد كما أنّه ليس بالبسيط. ويمكننا القول أنه السهل الممتنع، ولا يستطيع القارئ أن يتركه أو يملّ منه بل يتابع ويتابع بلذة وشغف.

النصوص واضحة والتعابير محكمة وشاملة. أما ما ينضح به هذا المؤلف، فهو كجميع نضوحاته في كتبه الاخرى. المتمثلة بالثقافة الواسعة والعميقة.

2 – **محاضرات**، بقلم المطران بولس الخوري، جزءان، صيدا، الجزء الأول طبع عام 1970؛ الجزء الثاني طبع عام 1979.

❖ تعريف

جاءت «محاضرات» المطران بولس الخوري في جزأين، من القطع الصغير، في الأوّل 126 صفحة وفي الثاني 56 صفحة وهذه المحاضرات تضمّنت نظريّات علميّة ولاهوتيّة وفلسفيّة واجتماعيّة أخلاقيّة.

ويشير الكاتب في مقدّمة كتابه إلى أن المحاضرات المثبتة في هذا الكتاب قد ارتجل بعضها في القاهرة 1934-1938، وأذيع بعضها من راديو الشرق الأدنى في بيروت (الإذاعة اللبنانية حالياً) 1938-1948، وألقي البعض الآخر في مناسبات مختلفة ونشر معظمها في مجلته «الأرثوذكسية»[1]. ودفعها المطران للطبع تلبية

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول، صيدا، 1970، ص 2.

لرغبة بعض الأصدقاء المخلصين، ولعلّ ما أراده هو أن يكون فيها بعض الفائدة للمطالع. وتبرع بنفقات الطبع صهره السيد عصام فارس وعقيلته السيدة أميمة فرح[1].

❖ مضمون

❖ رأيه في العلم والدين

عرّف سيادته العلم على أنه «معرفة الكائنات والمنظورات بحسب أسبابها الأولية ونواميسها، بل هو مجموعة المعارف التي توصّل إليها الإنسان بأبحاثه وملاحظاته واختباراته». وعرّف الدين بأنه «شعور غريزي وأن لهذا الكون خالقاً يعتني بما خلق. بل هو الرابطة بين الله والإنسان كما تدلّ الكلمة الفرنسية «Religion»[2]. كما تكلمّ على علاقة العلم بالدين «إن سعادة المرء لا تقوم بمعارفه العلميّة بل بمحبته لإخوانه الناس والمحبة هي ثمرة العاطفة الدينيّة لا المعارف العلميّة».

كذلك أشار المطران إلى علاقة الدين بالفلسفة التي يسمّونها «علم العلوم»: «لقد دعا أفلاطون العلم الذي يبحث عن حقيقة الكون فلسفة، وسمّى أرسطو الفلسفة التي تبحث ما فوق الطبيعة لاهوتاً. الفلسفة تبتدئ بالإنسان وتنتهي بالله، واللاهوت يبتدئ بالله وينتهي بالإنسان، مصدر الفلسفة العقل ومصدر الدين الله. الدين

(1) السيد عصام فارس، نائب رئيس مجلس الوزراء سابقاً، كان متزوجاً من قريبة المطران بولس الخوري، ولكن لأسباب شخصية تم الطلاق بينهما. الأستاذ إبراهيم خوري، مقابلة أجريت معه بتاريخ 20 كانون الثاني 2004؛ المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الثاني، صيدا، 1970، ص 1.

(2) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،... ص 3.

والفلسفة يترافقان إلى حدّ معين ثم يفترقان»[1]...

وكان المطران الخوري على اطلاع واسع على آراء الكثيرين من العلماء والفلاسفة، وهو منفتح على كل ما هو خارج الحقل الديني، رغم انه كان يرجع كل ذلك إلى الدين: «مهما أنجز المرء في مضمار العلم من مكتشفات فانه لا يستطيع أن يخلق شيئاً جديداً بل يتعرف بأبحاثه وملاحظاته واختباراته إلى القوى الكامنة في الطبيعة المخلوقة والآية المألوفة «لا جديد تحت الشمس»[2]. ثم يعود ليساوي بين العلم والدين «العلم والدين جناحان يطار بهما إلى الحقيقة القصوى ... إلى الله»[3].

أما القسم الذي يتعلق بتطبيق فلسفة الدين عملياً، فالمطران الخوري هو من دعاة استلهام أعمال المسيح والدعوة الصامتة، فواجبات المسيحيين عنده ليست الشعور فحسب مع المتألمين والمنكوبين لأنّ هذا وحده لا يكفي بل يتمنى أن يقترن بمساعدتهم ودعمهم مادياً حتى في إنفاق إيرادات الأوقاف ووضعها تحت تصرّفهم ومواساة المرضى حتى ولو كانوا من طوائف أخرى... ودفع الحروب بالصلاة من أجل إقناع الناس بالامتناع عن القتال....

والحقيقة أن المطران الخوري لم يكن صريحاً ودقيقاً كثيراً في وجهة نظره التي تتعلق ببعض المشكلات الفلسفيّة، ولعلّ مردّ ذلك إلى صفته اللاهوتيّة واضطراره إلى إقرار مواقف فكريّة معيّنة. فنجده يقول: «نعم إن الاستسلام لملاذ الدنيا عملاً بفلسفة "لنأكل ونشرب فإننا غداً نموت»[4] يسهّل للكفر الطريق إلى عقول

---

(1) المطران بولس الخوري، محاضرات، الجزء الأول...، ص 4.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 6.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 6.
(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 16.

الناس وأما «الكفر فهو انحراف عن الصراط المستقيم وضلال عن الهدى»[1]. ثم يقول: «ليس في إمكاننا أن ندرك جوهر الله بواسطة العقل فقط». إلى أقوال أخرى تدلّ على أن نظرياته جمعاء في العقل والفلسفة والعلم... هي نظريات لاهوتيّة تقليديّة. وهنا لا بدّ من أن أذكر بعض الملاحظات.

❖ إنّ الكفر أو الإلحاد ليس انحرافاً عن الصراط والهدى إلاّ من وجهة نظر دينيّة لاهوتيّة. فالإلحاد فلسفة لها مدارسها ومذاهبها وأسسها العقليّة والمنطقيّة ومناهجها العلميّة...

❖ أما عدم إدراك الله بواسطة العقل فانه يعني ترك المسألة دون إدراك عقلي وتسليمها إلى الحدس والشعوريّة والإيمانيّة وهذه كلها تختلف ما بين إنسان وإنسان آخر وما بين شعب وشعب آخر.

❖ فالقول بأننا نعرف الله بطريق غير طريق العقل أو فوق العقل أو ما شابه ذلك فانّه لا يعني سوى أننا لا نعرفه ولا ندركه وهو تصوّر غيبيّ يفتقر إلى أداة الإنسان الأولى وهي العقل. وهنا لا يمكننا إلاّ التسليم بصحة استنتاجه كلاهوتي بقوله «الدين يقدر أن يرافق المدنيّة ولكن يجب أن يسايرها في ما لا يمس جوهرها لا أن يعارضها ولا أن يقف بعيداً عنها»[2]. وان المتديّن الحقيقيّ هو ذو الروح النقيّة والمبادئ العالية والأخلاق السامية... هو الإنسان الكامل بقدر ما يمكن للإنسان أن يكون كاملاً[3]. وما يقوله عن مسايرة الدين للمدنية يصحّ جوهراً في ضرورة مسايرة الفلسفة الماديّة والإلحاديّة، وفي هذا يكمن طريق الحوار بين المؤمنين والملحدين للتفاهم على أمور إنسانيّة وأخلاقيّة مشتركة عامّة.

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 16.
(2) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول...، ص 8.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 9.

ولا نستطيع المرور بدون أن نتوقف عند المحاضرة التي ارتجلها، في نادي التعاون للشابات المسيحيات بتاريخ 26 آذار 1942، وهي بعنوان «واجبات المسيحيين في الأحوال الحاضرة»[1]. وذلك لما فيها من روعة وسلاسة لعرض واجبات المسيحيين بطريقة تصل لكل سامع وترجعه إلى حظيرة الدين. ومما قاله: «... من هم المسيحيون؟ هل هؤلاء الذين يهضمون حقوق الأرامل واليتامى ويسلبونهم أموالهم ويخطرون في الشوارع والأسواق بسياراتهم هم مسيحيون؟

وأولئك الذين يحتكرون خبز الفقير ويجمعون من ثمنه الأموال لينفقوها على ملذّاتهم الخاصة والفقير يتضوّر جوعاً هم مسيحيون؟ وهل المقصود بكلمة مسيحيين، هنا كلّ من يحمل تذكرة هوية تصرّح بأنه مسيحيّ؟...».

ويسترسل بمحاضرته فيطرح سؤالاً هو «ماذا يجب على المدعوين مسيحيين أن يفعلوا في الأحوال الحاضرة؟»[2]. على عينة من الأشخاص. فأتت الأجوبة مختلفة وأدرج عليها تعليقات، سندرج ضمن السطور الآتية بعضاً من هذه الأجوبة والتعليقات.

- جواب الشاعر يجب أن نشعر مع المتألمين والمصابين والمنكوبين وأستشهد بقول الرسول بولس «من منكم يحزن ولا أحزن معه». فأجابه: «وهل يشبع الشعور جائعاً أو يروي ظمآناً أو يكسو عرياناً؟»[3].

- أما الثائر فرأى «أنه يجب أن تضع إيرادات الأوقاف والأديار والكنائس تحت تصرّف الفقراء والمنكوبين والمصابين لأنّ

(1) المطران بولس الخوري: المصدر السابق، ص 27.
(2) المطران بولس الخوري، محاضرات، الجزء الأول،... ص 28.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 29.

هذه المؤسسات كلّها مسجّلة باسم الفقراء وموقوفة من أصحابها الأتقياء لمثل هذه الأحوال». فأجابه المطران: «حبذا لو تحققت أحلامك»[1] .

- أما رأي المؤرخ فكان «أما قرأت في التاريخ أنه عندما كان يلمّ بالبلاد وباء كان المسيحيون يزجّون بأنفسهم في الخطر لمواساة المرضى من غير مذهبهم؟» فأجابه: «نعم لقد قرأت ذلك». ثم انصرف عنه إلى متديّن وطرح السؤال فأجابه: «يجب أن نصوم ونصلي ليرفع الله عنا أخطار الحروب». وأستشهد بقول السيد المسيح «صوموا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة».

رد المطران متسائلاً: «هل الله بحاجة إلى الاقتناع ليرفع الحروب؟ وهل الصلاة وسائر الطقوس الدينيّة وضعت لإقناع الله أم لإقناع الناس بالرجوع عن الأخطاء»[2].

- طروحات رجل كريم "يجب علينا أن نعطي كل ما نملك للفقراء والمنكوبين والمصابين لأنّه ورد في الإنجيل المقدّس أن السيّد المسيح قال للشاب الغني «أذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء» فأجابه: «وورد في الإنجيل أيضاً لا يأخذون خبز البنين ويطرحونه للكلاب»[3].

- أما رد فعل بخيل: «يجب على كل من الناس أن يساعد نفسه فلا يعود أحد محتاجاً للمساعدة» فأجابه المطران: «وإن ساعد كل منّا نفسه يبقى هناك عدد ممّن حكمت عليهم الطبيعة بالعجز فلا يستطيعون أن يعتنوا بأنفسهم»[4].

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 29.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 29.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 30.
(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 30.

بعد طرحه السؤال على هؤلاء رجع إلى نفسه مقتنعاً بأنه على الإنسان أن يعمل كل ما روي على لسان الشاعر والثائر والمؤرخ والمتدين والكريم والبخيل. وعلينا أن نساعد العاجزين عن إعانة أنفسهم، وندعم الثائرين على المحتكرين، وهاضمي حقوق الفقراء والتعساء، مردداً قول القرآن الكريم: ﴿وان كانت ثورتنا لا تضع حداً للظلم اليوم، فستأتي ساعة يعلم فيها الظالمون أي منقلب ينقلبون﴾ [1].

في محاضرته هذه نرى المطران المصلح، والثائر، والداعي إلى أن نتشبه بالمسيحيين القدماء، بمساعدة العاجزين على اختلاف مذاهبهم وألوانهم ولغاتهم.

ويجب أن نعود إلى الله ولكن ليس بترديد الصلوات ترديداً آلياً بل بالعمل بموجب وصاياه تعالى...

ويجب أن نكون كرماء بإغاثة العاجزين وبخلاء تجاه الدجالين الذين يتخذون الاستعطاء مهنة... فهذه النزعة الإصلاحية، لطالما سيطرت على حياته اليومية.

وفي محاضراته تطرّق إلى موضوع «العقائد الأرثوذكسية وشهود يهوه»[2] معرّفاً العقيدة بأنها ترجمة الكلمة اليونانية «دوغما» Dogma[3] وعنها أخذ الفرنسيون الكلمة «دوكم» Dogme وردت هذه الكلمة في لغة الفلاسفة القدماء بمعنى الرأي أو المبدأ. وجاءت في العهد القديم بمعنى الأمر الملكي أو المرسوم. ووردت في العهد الجديد بمعنى القرار النافذ كقرارات الرسل الأطهار في مجمع أورشليم[4]. وأما معناها في اللاهوت فهو: تعاليم الإيمان

(1) القرآن الكريم: سورة آل عمران، 840.
(2) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،... ص 31.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 31.
(4) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، 4:16.

التي وردت في الكتاب المقدس والتقليد الشريف وتقرّرت في المجامع المسكونيّة.

أما عن «موقف شهود يهوه» من الكتاب المقدّس فإنهم يفسّرون الكتاب المقدّس كما يشاؤون. فتارة بطريقة رمزية وطوراً حرفيّة. بخلاف الفئة المسيحية التي تفهم العهد القديم على ضوء العهد الجديد. إضافة إلى كيفية تفسيره ضمن التقليد الشريف ودستور الإيمان والمجامع المسكونيّة.

وشهود يهوه لا يعترفون بالتقليد الشريف مع أن الكتاب المقدس يؤيده[1]. أما موقفهم من دستور الإيمان فهو أن المسيح مخلوق من الله. ويرفضون المجامع المقدّسة ويفترون على رجال الدين[2].

مع أنّ المسيحية تعتبر أن المسيح قد جاء، وأن رسالة الأمة اليهودية قد انتهت. قال السيد المسيح: «إن ملكوت الله ينزع من اليهود ويعطى لأمة تجني ثماره»[3].

هكذا يتضح من هذه المحاضرة، أن المطران الخوري، كان يعترف بكلمة «يهوه» على أنها الله، ولكن اعتراضه تركز على طائفة

(1) لوقا يفتتح إنجيله هكذا: «ولما كان كثيرون قد باشروا تأليف قصة في الأمور اليقينية. عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء خداماً ومعاينين للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول أن أكتب إليك أيها العزيز ثيوفيلوس». الكتاب المقدس: لوقا 4 : 1- 4. ص 34.
- يوحنا يختتم إنجيله هكذا: «وآيات آخر صنعها يسوع لو كتبت كلها لما كان العالم يسع الصحف المكتوبة». الكتاب المقدس: يوحنا: 21- 25.
- وبولس الرسول في رسالته إلى تسالونيكي يقول: «تمسكوا بالتقاليد التي تسلمتموها أما بقولنا وأما برسالتنا». 2 تسا 2: 15. المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،... ص 35.
(2) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،... ص 35.
(3) الكتاب المقدس: متى 21-43.

«شهود يهوه» لأنها برأيه هرطقة وتدجيل. فهم لا يعرفون الله حق المعرفة. فالله لا يحتاج إلى شهود لأن السماء والأرض تشهدان له وتحدثان بأعمال يديه[1].

أمّا عن الصوم فنراه مرّة أخرى محاضراً في نادي التعاون للشابّات المسيحيّات بتاريخ 10 نيسان 1941 مشيراً إلى أن الصوم إما إجباريّ وأما اختياريّ: فالإجباريّ هو ما تفرضه الطبيعة في حالات خاصة تقتل في الإنسان شهيّة الطعام كالآلام والأحزان والمصائب والأمراض الجسديّة والنفسيّة. أما الصوم الاختياريّ فهو ما يفرضه الدين.

فاليهود كانوا يصومون قبل إعلان حرب أو حلول مصيبة كبرى، أو بمناسبة وفاة رجل عظيم. وكانوا يظهرون بمظاهر خاصة أثناء الصوم كالبكاء والعويل ولبس المسوح ورش الرماد على الرؤوس وإهمال غسل الأيدي. وكانوا ينقطعون عن الأكل مدة 24 ساعة ابتداء من غروب الشمس. وكانوا قديماً يصومون مرّة واحدة في السنة. وأثناء السبي وبعده صاروا يصومون أربع مرات في السنة. وفي عهد السيد المسيح أصبح الصوم عندهم ترتيباً في السنة. وكانوا يصومون يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع (مثل الفريسي والعشار) فيوحنا المعمدان وتلاميذه صاموا[2]، والسيد المسيح صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة. والرسل صاموا بعد قيامة المسيح[3].

وكتاب العهد الجديد المقدّس لا يحدد مواعيد الصلاة

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، الجزء الأول،... 35.

(2) الكتاب المقدس: متى 9: 14. المطران بولس الخوري، محاضرات، الجزء الأول،... ص 51.

(3) الكتاب المقدس: 2 كورنثوس 5:6. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 51.

وطرقها. والمرجح أنّ السيّد المسيح وتلاميذه أكلوا الفصح بعد الصوم. وكان المسيحيون الأولون يتقدمون إلى تناول القربان المقدّس وهم صائمون. وتنصّ الأوامر الرسوليّة على الطرق التي بموجبها يطلب الأسقف شفاء الخاطئ بواسطة الصوم أسبوعاً وأسبوعين أو ثلاثة ... وفي مقالة للقديس يوحنا الذهبيّ الفم، يقول إن الصوم يتقدم الفصح منذ القديم، ولكن مدة الصوم لم تكن معينة. فكانوا يصومون يومي الجمعة والسبت من ساعة دفن المسيح إلى ساعة قيامته، أي غياب السيّد المسيح عنهم وفقاً للآية (ما دام العريس معهم لا يصومون)[1]. فكانوا ينقطعون عن تناول الطعام من ساعة دفن المسيح يوم الجمعة حتى يصبح ديك الأحد، الوقت الذي فيه كان يقام قداس القيامة.

أما متى تحدّد الصوم الأربعيني (أيّ مدّة الاربعين يوماً) فغير معروف بالتدقيق. إنّما الثابت تاريخياً أنّهم كانوا يصومون أربعين يوماً أثناء الاضطهادات الكبرى اقتداء بالسيّد المسيح. وقد ابتدأت هذه العادة في الشرق أولاً ثم انتقلت منه إلى الغرب. وكانت المحاكم تقفل من أحد الشعانين إلى أحد توما. وفي هذه الأثناء كانوا يحرّرون العبيد ويوقفون تنفيذ الأحكام الجزائية.

أمّا عن كيفيّة تتميم فريضة الصوم لتكون مقبولة عند الله فيتضح لنا من خلال كلام النبي أشعياء[2] إن الصوم والأعياد رفضتها

(1) الكتاب المقدس: إنجيل متى، الإصحاح 9:15. المطران بولس الخوري، محاضرات، الجزء الأول، ص 53.

(2) «أصوامكم وأعيادكم مقتتها نفسي. وحين تبسطون أيديكم إلى احجب عنكم عيني لأن أيديكم ملطخة بالدماء. فاذهبوا واغتسلوا وتطهروا وكفوا عن الشرور». والسيد المسيح قال: «أما أنت فإذا صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لئلا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفية وأبوك الذي يرى في الخفية يجازيك علانية». المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 53.

نفسه، وينصحهم بالابتعاد عن الشرور لأن الوجوه التي تدين الإنسان أن يؤمنوا باطنياً وليس ظاهرياً، بالتمسك بقشور أديانه.

ويختتم محاضرته القيّمة بقول لشاعر عربي:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ　　فكلك عـــورات وللنـاس ألسن

وعينك أن أبدت إليك معايباً　　فصنها وقل يا عين للناس أعين

إضافة إلى هذه المحاضرات القيمة في اللاهوت والعقيدة والتي تبرز رأيه في المواضيع المطروحة بصراحة وجرأة، نجد عدداً من المحاضرات التي تناول فيها حياة بعض كبار الشخصيات التي تركت بصمات واضحة في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية أمثال:

❖ باسيليوس الكبير:

ولد باسيليوس الكبير في قيصرية الكابدوك، في آسيا الصغرى، ترعرع في كنف والديه. تلقن دروسه الابتدائية في القيصرية وفي الأستانة، ثم ما لبث أن ذهب إلى أثينا بهدف التعمق في درس ومعرفة اللغة اليونانية، التي تمكنه من نشر مبادئ الإنجيل السامية. وبعد انتهاء دراسته عاد إلى وطنه فزار سوريا وفلسطين ومصر، تعرف خلالها على النساك، ثم زار موطن أبيه «بوندوس» حيث مكث فيه فترة، انكب خلالها على درس اللاهوت.

سيم عام 364 كاهناً في القيصرية، بتكليف من الأسقف «آفسافيوس»، فعرفه الجميع، رجل فضيلة وعلم، وخطابة، أحبه الجميع مما جعل لديه أعداء خصوصاً جماعة «آريوس» الذين تمكنوا في بعض الأبرشيات بمؤازرة الإمبراطور، من خلع الأساقفة الأرثوذكس وإقامة الأريوسيين في مراكزهم.

ارتقى سنة 370 إلى سدة الأسقفية، خلفاً لافسافيوس، فواصل جهاده ضد الأريوسين، محارباً إياهم بالوعظ على المنابر، فلاقت عظاته ترحاباً من الكثيرين من الوثنين. مما حملتهم على اعتناق الدين المسيحي.

من اعماله: اهتمامه المفرط بالفقراء والمعوزين، الاهتمام بأوقاف الكنائس، العمل على إنعاش المشاريع الخيرية. ومساعدة المرضى وإطعام الجائعين، كذلك من أعماله بناء ملجأ اشتهر باسمه «باسيلياذا».

ومن ثمار علمه التي وصلت إلينا، مؤلفات عديدة تثبت انه كان ضليعاً بآداب اللغة اليونانيّة وخطيباً مفوّهاً ومتعمقاً في تفسير الكتب المقدّسة وفهم العقائد المسيحية. وهو في دراساته يوفّق بين الفلسفة اليونانيّة وتعاليم المسيحيّة.

ومن مؤلفاته: (نصائح للشبان) الذي وجهه إلى أفراد الشبيبة المسيحيّة الذين يدرسون في المدارس الوثنية. وفيه ينصحهم أن يطالعوا الفلاسفة القدماء الذين أوردوا حكما جليلة وصوّروا الفضيلة بصور جميلة أمثال سقراط وأفلاطون. فبسبب هذه الفضائل التي تحلى بها، أطلق عليه اسم «القديس باسيليوس الكبير». مشيراً المطران انه يستحق هذا اللقب[1].

❖ يوحنا الذهبي الفم

ولد يوحنا في إنطاكية عام 344 م، توفي والده وهو ما زال صغيراً، فربته والدته. تلقّن أصول الخطابة والفلسفة منذ صباه، فبرع فيها.

وبعد عمله وقتاً طويلاً في ميدان السياسة، تركها فجأة، وانسحب من المجتمع المدنيّ، وانكب على درس المبادئ الدينية وممارسة عيشة الرهبنة استعداداً للدخول في السلك الإكليريكي...

---

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،... ص 75.

سيم عام 384 م، كاهناً بتكليف من رئيس أساقفة إنطاكية «فلافيانونس»، الذي عيّنه واعظاً في الكنيسة الكاتدرائية التي كانت على رحبها تغصّ بجمهور المستمعين إلى عظاته.

بسبب غياب رئيس الأساقفة، عهد إلى الكاهن يوحنا بإدارة شؤون الأبرشية أثناء غيابه. فأفسح له المجال لإظهار مقدرته على إدارة أمور الرعية وشؤون الكنيسة...

سيم أسقفاً عام 397، على يد رئيس أساقفة الإسكندرية ثيوفيلوس، الذي سلمه عصا رعاية الكرسي القسطنطيني.

وقد جمع يوحنا في شخصه مواهب عديدة، ثقافة عالية وفضيلة كاملة ومقدرة نادرة وحنكة إداريّة فائقة وغيرة على الكنيسة خالصة. فنراه وقد عاش في ذلك العصر عيشة تقشف زائد وحياة راهب بسيط مرتدياً أوضع الثياب ومقتصراً على أبسط الأطعمة ومحافظاً على الأصوام والصلوات. كان يتجنب الظهور بمظاهر العظمة والأبهة ويخرج إلى الشوارع دون ما حاشية خلافاً لرؤساء الكهنة في عصره الذين كانوا يقطنون القصور الشاهقة ويجلسون إلى الموائد الأنيقة.

كان يعتقد أنه يجب على رئيس الكهنة أن يكون مثال البساطة والتواضع والتقشف والقناعة، وان يكون صاحب نفوذ ومسموع الكلمة لدى الشعب والزعماء... وقيمته الشخصية لا بمظاهره الخارجية الفارغة. وفيما كان يعيش ببساطة وتقشّف وقناعة، كان ينفق بسخاء على الفقراء والمعوزين وقد أنشأ مؤسّسات خيريّة من كل نوع في القسطنطينية.... كان يعتبر أن الوعظ هو من أهم واجباته الرعائية، كانت الجماهير تتدفق على الكنيسة للاستماع إلى خطبه وعظاته، حتى أنه نزل عن العرش الذي كان الأساقفة يعظون من فوقه وأن يعتلي المنبر ليصل صوته إلى الجماهير الغفيرة

المرهفة الآذان. وبتأثير عظاته البليغة رجع كثير من الهراطقة إلى الإيمان القويم واعتنق كثيرون من الوثنيين المسيحيّة...

ولم يغفل عن توبيخ رجال الإكليروس الخاضعين لرئاسة العائشين بالبذخ والترف والتنعّم... كما لم يحجم عن إرسال سهام نقده اللاذع إلى الحكّام والولاة والبلاط الملكي، وكانت الملكة آفذوكسيا وثلاث أرامل صديقات لها يمارسن حياة شاذة فيظهرن بوجوه مصبوغة بالألوان الكاذبة تنم عن شذوذهن الخلقي فانتقد يوحنا هذا الشذوذ في خطبه.

إن جراة يوحنا وصراحته وتوبيخه للأساقفة والحكّام والولاة والبلاط الملكيّ، قد جعل له أعداء كثر. فتألّفت في العاصمة عصبة منهم برئاسة الملكة آفذوكسيا. فواصلوا مساعيهم ضدّه، فاتهموه بأمور تافهة. على أثرها عقد مجمع في أحد أحياء القسطنطينية سنة 403 م فحكم على يوحنا بالإبعاد، وما إن بلغ الشعب الخبر، حتى هاج وهجم على الجنود الذين كانوا يسوقونه فاختطفه من أيديهم وأرجعه بالقوّة إلى عرشه. وعلى الأثر عقد مجمع ثانٍ، فبرأ يوحنا من التهم المنسوبة إليه.

لكن الملكة ظلت حاقدة عليه، وقد حرّك بواطن حقدها خطاب استهله بهذه الآية «وأيضاً هيروديا تضطرب وأيضاً تطلب رأس يوحنا على طبق» إذ قال لها الأعداء أنه يقصدها بهذا الخطاب فأقيمت عليه دعوة جديدة.... فصدر الأمر بنفيه خفية إلى بلاد أرمينيا دون أن يعلم الشعب بذلك.

بقي مبعداً هناك مدّة طويلة، احتمل خلالها ضروب العذاب بصبر أيوبيّ. ظلّ منفياً بسبب أعدائه، حتى وافته المنية 407م[1].

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول.... 87.

❖ يوحنا الدمشقي

ولد يوحنا في أواخر القرن السابع ميلادي، من والدين غنيّين وتقيّين، فتربّى التربية المسيحيّة الصالحة، ثم درس على يد راهب يدعى قوزما وانكب على الدرس والمطالعة فشبّ نابغة عصره.

فكان لا يجهل علماً من العلوم، وقد نبغ في المنطق والخطابة والموسيقى وتعمّق في درس أسرار الطبيعة ومكوّناتها فساعده كل ذلك على التوسّع في علم الإلهيات. وفضلاً على ذلك كان شاعراً كبيراً وموسيقياً متقناً. ولم يحتفظ بهذه العلوم لنفسه، بل نقلها إلى بني جنسه بمؤلفاته العديدة وقد دعم بها عقائد الكنيسة وظلت لفترة طويلة أساساً للاهوت في الشرق.

أما تآليفه فهي فلسفيّة، تاريخيّة، عقائديّة، دفاعيّة، خطابيّة، شعريّة، وموسيقيّة. ومن أعماله العلميّة ايضاً، التي يجب أن تذكر، أنه أدخل مخاطبات أرسطو إلى المدارس وساعد الذين أتوا بعده على التعمق في فلسفة ذلك الفيلسوف.

ويعود المطران ليؤكّد أن الدمشقي قد حدّد الفلسفة على أنها: «معرفة الكائنات أو معرفة طبيعة الكائنات» ودعاها «صناعة الصناعات وعلم العلوم»، وقسّمها إلى قسمين: نظريّة وعلميّة. وعدّ اللاهوت في القسم النظريّ منها.

وتطرّق في محاضرته إلى أهميّة يوحنا كشاعر في الشعر الكنسي المنظوم للترتيل حيث نظم لأكثر أعياد الكنيسة أشعاراً تمتاز بسموّ معانيها لمقتضى الحال.

وعن يوحنا كموسيقي فهو لم ينظّم الأشعار الكنسية فحسب بل وقّعها ووقّع غيرها أيضاً على الموسيقى وتفنّن في توقيعها وهو واضع العلامات للموسيقى البيزنطية، وله تآليف في هذا الفن. من القطع التي وقعّها هي قطع المديح الذي لا يجلس فيه .. وقد هذّب

الموسيقى التي كانت قبله وأدخل إليها كلّ الأنغام الرصينة التي تنطبق على العواطف الشريفة...

وأغنى محاضرته بقراءة بعض أشعار يوحنا الذي نقلها المطران عن الأصل اليوناني ونظمها على البحر العربي وقد جسدت سمو المعاني الأصلية رغم الكسر الموجود في الوزن.

قال في صهيون التي كانت مسرحاً لأعظم الحوادث الخلاصية:

سلام على صهيـون أم الكنائس

ومهبط كل الوحي قدس المقادس

وأول من نال الخلاص من الخطأ

بنهضة قهـار الردى والأبالس[1]

وقال في وصف أهواء النفس:

منذ الشباب أحارب الأهواء

لأزيد في سبل الكمال علاء

فانظر يا يسوع ضعفي وانتشل

نفسي وكن لي في الشجون عزاء[2]

وقال في وصف العيشة النسكية:

هنيئاً لسكان البراري البعيدة

إذ ابتعدوا عن مجلبات الخطيئة

---

(1) الترجمة النثرية هكذا: «السلام عليك يا صهيون المقدسة أم الكنائس ومسكن الله. فأنت أول من اقتبل مغفرة الخطايا بالقيامة». المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول...، ص 101.

(2) الترجمة النثرية هكذا: «منذ شبابي آلام كثيرة تحاربني لكن أنت يا مخلصي اعضدني وخلصني». المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 101.

وقد وجدوا الوقت الثمين ليصعدوا

بأفكارهم شوقاً لرب البرية[1]

وأنهى محاضرته بتظير أن للأشعار الكنسية عموماً مكانة سامية في تاريخ الآداب والمعارف، ولكي نقدر أن نفهمها ونقدّرها يجب أن ننتقل بالتصوّر إلى ذلك العصر الذي نظمت فيه ونعرف أيمان المسيحيين القدماء الذين نظمت لهم هذه القصائد[2] .

امّا الزواج فقد عّرفه بأنه ناموس طبيعيّ بموجب إرادة الله وهو أساس العائلة التي فيها تنمو أشرف العواطف البشرية، بل هو سر يتّحد فيه الرجل والمرأة لحفظ الجنس البشري. والكنيسة كانت في أول عهدها تتمشى على النظم المدنيّة، حتى نظّمت شؤونها، فتدخلت في الزواج وأول خطوة في إيجاد التفاهم بين الدولة والكنيسة على أحكام الزواج كانت في أواسط القرن السادس على عهد الإمبراطور يوستتيانوس، الذي أصدر أمراً يوجب على العروسين أن يتقدّما إلى الكنيسة مع شهود، ويعلنا اتفاقهما على الاقتران. فتدوّن الكنيسة اسميهما في سجلّ خاص، وتبارك قرانهما وتجعله شرعيّاً. وشرعية الزواج الكنائسي أخذت تقوى شيئاً فشيئاً في كلّ أنحاء المملكة، والذي زاد في استعمالها هو الأمر الذي أصدره الإمبراطور لاوون عام 893 والذي ينصّ على أن الزواج لا يعتبر شرعيّاً إلا إذا كان كنسياً. وبعد لاوون جاء بطريرك القسطنطينية إثناسيوس وعلّق عقد الزواج على إجازة أسقف الأبرشيّة. وهكذا صارت أحكام الزواج كلّها في قبضة الكنيسة.

وأغنى محاضرته بإطلاعنا على شروط الزواج وهي عبارة

(1) الترجمة النثرية هكذا: «أن عيشة أهل البراري المغبوطة جداً لأنهم بالعشق الإلهي يتطايرون دائماً». المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص101.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 98.

عن عشرة شروط[1]. ...

ونراه كعادته لم يغفل جزءاً إلا تكلم فيه، فيتكلم في موانع الزواج، المقصود بها الأحوال التي تمنع عقد الزواج قبل وقوعه، أو تعتبره غير شرعي بعد عقده. وتقسم هذه الموانع إلى قسمين:

❖ مطلقة[2]

(1) - نذكر منها:
- الاتفاق المتبادل بين العروسين على شرط أن يكونا في حالة صحية تامة جسداً وعقلاً.
- البلوغ: يجب أن يكون عمر الرجل لا أقل من ثمانية عشر عاماً، والفتاة لا أقل من أربعة عشر عاما.
- الصحة النفسية.
- الاقتدار الجسدي...
- رضى أهل العروسين: لا يؤخذ بهذا الشرط إلا إذا كان العروسان دون سن الرشد، أو إذا كانا غير مستقلين مادياً.
- الحصول على إجازة أسقف الأبرشية والتي يصدرها للمصادقة على عدم وجود مانع للزواج.
- إعلان الزواج قبل عقده: ففي الكنيسة الأرثوذكسية كروسيا يعلن الكاهن أثناء القداس على مدى ثلاثة آحادات.
- فحص ضميري العروسين من قبل كاهن الرعية قبل الاقتران. المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الثاني...، ص 20 و 21.

(2) بالإضافة إلى الشروط التي ذكرناها آنفاً هنالك شروط مطلقة تمنع عقد أي زواج نذكر منها:
- عقد زواج قانوني هو مانع لعقد زواج آخر. وإذا عقد زواج مع وجود زواج قبله: فالزواج الثاني يكون لغواً.
- حمل العروس قبل العقد، لأنه يعتبر نوعاً من الزنى.
- كل من ينذر نفسه العفة وينخرط في السلك الرهباني يفقد حق الزواج.
- الخطبة الكنائسية أو العربون والتي تعتبر من الموانع الحديثة ، لذلك منعت الكنيسة اليونانية عقد الخطبة كنائسياً.
- الوقوع تحت حكم مفقد للحرية الشخصية، كالسجن أكثر من خمس سنوات. وينطوي تحت باب الموانع المطلقة، موانع وقتية وهي: =

❖ نسبية [1]

إن الزواج القانونيّ يعتبر سراً وعقداً لا ينحل إلاّ تحت ظروف

= - الحداد، فلا يجوز أن يتزوج أحد الزوجين بعد وفاة الآخر، إلا بعد مضي مدة معينة.
- الاختلاف في المذهب، يجوز الزواج بين أبناء الطوائف المسيحية المختلفة، وهو ما يدعونه (الزواج المختلط)، ولكنه لا يجوز بين المسيحيين وغير المسيحيين. المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الثاني...، ص 23.

(1) هي تلك الموانع التي تمنع الزواج بين شخصين معينين، كالقرابة وهي على أربعة أوجه:
❖ القرابة الدموية، وهي أقوى القرابات، وهي القرابة بين اثنين تسلسل الواحد من الآخر.
❖ القرابة الكرشية، وهي القرابة الناتجة من المصاهرة، أي الناتجة من زواج حاصل بين عائلتين أو ثلاث عائلات.
❖ القرابة الروحيّة، وهي الناتجة من المعمودية بين العرّاب والفليون، وبين أشخاص محدودين من أقربائهما. وقد تولدت هذه القرابة عن اعتبار المعمودية ولادة روحيّة للمعمود، واعتبار العرّاب أباً روحياً له.
❖ التبني، إن القانون المدني يجيز للإنسان أن يتبنى أولاداً غرباء، ويسري عليهم نظام الأولاد الشرعيين. المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الثاني...، ص 24.
يصح التبني في الكنيسة الأرثوذكسية ضمن الشروط التالية:
- استدعاء من المتبني مرفوع إلى الرئاسة الروحية بإيضاح علة التبني وصدور حكم من المحكمة الروحية بقبول طلبه.
- أن يكون المتبني أكبر سناً من المتبنى نحو ثماني عشرة سنة على الأقل – أن يكون المتبني من ذوي السيرة الحسنة.
- موافقة المتبني الراشد أو موافقة أوليائه إن كان تحت ولاية أو وصاية – أن لا يكون للمتبني أولاد ولا أمل له بالحصول عليهم لسبب في السن أو مرض أو علة أخرى مؤيدة بشهادة طبية قانونية.
- أن تحكم المحكمة الكنسية بقبول التبني رسمياً وأن تجري الرئاسة الروحية الصلوات المناسبة ويسجل ذلك في سجل الكنيسة والأحوال المدنية. وزارة العدل: قانون الأحوال الشخصية لبطريركية إنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، أنظمة الأحوال الشخصية للطوائف في لبنان، الباب السابع، في التبني وأحكامه، المادة 93، ص 4258.

قاهرة كوفاة أحد الزوجين، أو بوقوع حدث ينقض صيغة الزواج كسرّ مقدّس، ويهدم الأسس الدينيّة والأدبيّة التي يرتكز عليها سرّ الزواج. لهذا نرى المطران بولس قد تكلّم على موجبات انحلال عقد الزواج، وتكلم عن الطلاق أيضاً [1]، بشكل مسهب ومفصل.

والجدير بالذكر أن المطران خوري كان دائماً يرفض منح الطلاق للطالبين، إلا في الحالات القصوى والضرورية، وكان يستعمل جميع الوسائل للوفاق بين المتخاصمين.

وهنا لا بد من ذكر أن لكل قاعدة شواذ ولكل جيد نقيضاً، وبالرغم من الحرص الدائم على إجراء الزواج ضمن القوانين الكنسية، نرى أن الكنيسة تضطر لعقد زواج، وذلك تفادياً لأمور... مثل الخطيفة، أو الحمل قبل الزواج وغيرها من الأمور.

❖ استنتاج

يظهر المؤلف من خلال هذا كلّه صاحب اطلاع واسع وعميق ومواقف خالصة ومخلصة بينه وبين هذه الأفكار والفلسفات. إلا أنه

(1) 1 - الزنى أو التصرفات التي توجب الشك.
2 - خروج أحد الزوجين عن دينه.
3 - قبول الوالدين لأولادهما من جرن المعمودية.
4 - شرطونية الزوج شماساً أو كاهناً بدون ارادة الزوجة.
5 - اقتراف خيانة عظمى.
6 - اختفاء أحد الزوجين لمدّة معينه.
7 - العجز الجنسي بعد اختبار سنتين.
8 - الجنون.
9 - الوقوع في مرض عضال (غير قابل للشفاء).
10 - العيشة الرهبانية التي هي بمثابة الموت الطبيعي.
بالإضافة إلى سبب آخر أضيف حديثاً وهو عدم الاتفاق في الأخلاق والميول، وهو ما يسمى عدم الانسجام. المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الثاني...، ص 26.

لا يعلن غير ما يتناسب مع ظروفه الاجتماعية والسياسيّة، فاعلان موقف فلسفي لا سياسي ولا قومي ولا تربوي شيء دقيق وحساس، يفرض على الإنسان أن يكون متوازناً ومعتدلاً على حساب آرائه الفكريّة وفلسفته الخاصة. وهذا ما يسجل انطباعاً في ذهنية كل مطّلع على كتاب «محاضرات» الذي يأتي على ذكر الرجال النوابغ، فقد رأى أنه من الواجب لفت الأنظار إلى الفوائد الجمّة التي يمكننا أن نقتسبها من سيرة القديسين، الذين قدموا الكثير من العطاءات مضحين بحياتهم من أجل الكنيسة والشعب. ونراه لا ينكر أن في بلادنا رجالاً قدموا للعلم والدين خدمات كثيرة، مع هذا كان يتمنى من أبناء بلدنا أن يدّرسوا سيرة حياة النوابغ الوطنيين لينشأوا عارفين فضل بلادهم على البلدان الأخرى في العلم والدين وليصبحوا كبار النفوس يحبون وطنهم وأبناءه، ويسعون للحرية والاستقلال.

واقترح في نهاية محاضرته "يوحنا الدمشقي" تأليف كتاب يضم سير نوابغ سوريا في كل فن، وإدخاله في برامج التدريس. متمنياً على وزارة المعارف الجليلة وحملة الأقلام إحلال اقتراحه هذا محل القبول[1].

وفي محاضرته، خاصة الجزء الثاني، معلومات قيّمة يجب على كل إنسان الاطلاع عليها، مثل تحديد أصول العلاقات بين الناس في المجتمع اللبناني، ووجوب احترام الأنظمة والقوانين الكنسية الهادفة إلى حماية الأشخاص من الوقوع في الشر، لأنها تعتبر جزءاً لا تتجزأ من حياتنا اليومية، فالعلاقات بين الأشخاص خصوصا تلك الهادفة إلى الزواج يجب أن تخضع لمقاييس معينة،

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،... ص 98.

واجبة في هذا الزمن المادي تفادياً لخلافات وانقسامات عائلية تنعكس سلباً على الكنيسة والمجتمع والوطن.

من هنا نرى أن شخصية المطران الخوري كانت متأثرة إلى حد بعيد بقيم تلك الشخصيات التي تناولها في محاضراته لا سيما يوحنا الذهبي الفم في سعيه إلى الانتقاد الإصلاحي ومواجهته للأخطاء والشوائب.

3 - **مقالات**، بقلم المطران بولس الخوري، ثلاثة أجزاء، يوزع مجاناً.

❖ تعريف

مجموعة مقالات متنوعة المواضيع، لا تختلف في مغزاها عن بقية المؤلفات وهي تتكون من ثلاثة أجزاء: الأول مفقود باستثناء نصوص قليلة حصلت عليها عن طريق بعض المقربين من المطران الخوري. أما الجزء الثاني فهو كتاب من القطع الصغير يضم 71 صفحة يتناول شخصيات لبنانية وعظات وأمثال ومنظومات وتمنيات.

والجزء الثالث هو أيضاً من القطع الصغير، يضم 120 صفحة وهو في أغلبه عظات قيمة توضح نظرة المطران الإصلاحية في الفلسفة والدين وتجارب الحياة، وهو يختتمها ببعض ما نشر في الصحف عن سيرة حياته. سأتطرق ضمن المضمون إلى الأجزاء مجتمعة.

❖ مضمون

❖ الحكمة

يبدأ الكلام عن الحكمة بالعودة إلى انطلاقها من أحاديث سقراط إلى أبي العلاء، إلى أفلاطون، ويبين أن الحكمة هي هدف الإنسان، الذي يبغي الوصول إليه منذ ولادته، ولكنه يظل مختبئاً

داخل جدران الهياكل فنسعى إليه دون جدوى، فكلما اكتشفنا سراً، خفيت علينا أسرار.

ويرى البعض أن الغاية من الحياة، هي إعمار الكون، ولكن بدراسة النصوص الدينية نجد أن الهدف من الحياة الوصول إلى السعادة الروحية في العالم الآخر بعد الموت[1].

ويرى المطران أن السعادة الأرضية التي يسعى إليها الكثير من أبناء الأرض تقوم على اللذة - اللذة الروحية - القائمة على التمتع بمناظر الطبيعة الفتانة، وعلى محبة الخالق الذي أعطانا هذا العالم الجميل، وبالابتعاد عن الغرائز الحيوانية.

ويتطرق بعدها إلى موضوع «الاعتراف» المتفق دينياً على تعريفه بالتوبة، التي تنطوي بدورها على الرجوع عن الخطأ، وبالتالي العودة إلى أحضان الدين وتعاليمه[2].

أما بالنسبة إلى «نظرته في الأديان» فنجد أنها متفقة في مضمونها مع الغاية المتوخاة من اعتناق دين ما، ولكنها تختلف من حيث الواسطة التي تربطنا وتساعدنا على الوصول لتلك الغاية الشريفة المتمثلة بسعادة الإنسان على الأرض وفي العالم الآخر[3].

ولمعرفة حقيقة الأديان يجب الابتعاد عن التعصب المذهبي، وبالتالي النظر إلى المذاهب الأخرى بعين الباحث الحكيم، فيرى أن لكل دين طقوساً وترتيبات وضعت في فترة محددة، وفي مكان معين، وكانت مناسبة لمن وضعت لهم. فإذا لم تتفق مع روح العصر

---

(1) المطران بولس الخوري: مقالة من الجزء الأول، وقد حصلت عليها من احد أصدقاء المطران بولس الخوري.

(2) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثاني...، ص 19.

(3) مقالة من الجزء الأول، حصلت عليها من أرشيف مطرانية الروم الأرثوذكس، جديدة مرجعيون.

فلا مانع من التعديل العادل في ذلك الطقس، شرط المحافظة على العقيدة الأساسية.

ويعود بعدها ليحصر كلامه في الدين المسيحي فيجد أن الطقوس المسيحية تنطوي على عادات وثنية وفي أن إكرام الأيقونات في الكنائس وخارجها هو من باب الإكرام فقط وليس عبادة. وينتقد بعدها حياة رؤساء الدين، فيجدهم متطرفين بعيدين عن حياة المسيح الذي عاش فقيراً.

ويلحظ أن العقول البشرية أصبحت ناضجة ومثقفة لا تقتنع بالكلام المجرد، بل أصبحت متطلبة للبراهين والحجج، ومن أمثال هؤلاء، الأدباء والمتعلمون الذين يبتعدون عن الأديان لأنهم يجدونها منطوية فقط على طقوس وترتيبات، فعندها يعرض المطران على هؤلاء التعمق في الحقائق الدينية والغاية المرجوة من هذه الطقوس والترتيبات لو أدركوا هذا الأمر لأصبحوا من أكثر الناس تديناً[1].

وبعد هذا الاستعراض المسهب، نجد أن المطران بولس الخوري، كان من دعاة الإصلاح في الكنيسة مدركاً أن العلم لا يختلف قط مع الدين على الحقائق كما يعتقد كثيرون، فالاختلاف بينهما هو في الظاهر.

يتطرق بعدها إلى «تاريخ الكرسي الإنطاكي»، فيعتبر أن كنيسة إنطاكية من أقدم الكنائس في العالم، التي أسسها القديسان بطرس وبولس، وهي المدينة الثالثة في العالم بعد رومية[2].

ويورد المؤلف بعض الأقاويل التي تنطوي على الحكمة والأمثولة مجسدة بقصة صغيرة، فيعتقد أن هذا النوع من الأدب

---

(1) المطران بولس الخوري: مقالة من الجزء الاول، وجدتها عند احد اقرباء المطران بولس الخوري.

(2) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثالث...، ص 21.

يحمل بين سطوره أهم الأساليب في عرضه للأمثولة وسندرج بعض الأمثلة المثبتة لكلامنا وهي:

❖ قصة «الثقة بالنفس»، التي يلفت فيها إلى انه على الإنسان أن يكون شديد التمسك بثقته بنفسه وإلاّ دفع ثمناً باهظاً قد يكون حياته [1].

❖ قصة «جميل وأديبة» يصور فيها حالة المجتمع وكيف أن الحق سيأتي بجانب القوي الذي هو الزوج «جميل»، وكيف أن المرأة «أديبة» مظلومة ومنبوذة في هذا المجتمع حتى لو كان الحق بجانبها [2].

❖ قصة «المسرف» الذي كان يسرف أمواله دون حساب، على المظاهر الخارجية، دون أن يفكر أن هناك يوماً أسود سيأتي عاجلاً أم أجلاً [3].

ينتقل بعدها إلى موضوع آخر يحمل رسالة إرشاد ووعظ للأدباء والكتاب تحت عنوان:

❖ «إلى حملة الأقلام في بلادي» يتحدث فيه عن واجبات المثقف نحو وطنه وكيف أن انحطاط المجتمعات والدول يكون المثقف أول المسؤولين عنه. لأنه هو المسؤول عن الوعي والانتقاد والتوجيه من خلال ما ينشر في الصحف والمجلات. فمن واجباته الأولى رفع مستوى بلده ناشراً بين بني قومه المبادئ الوطنية بواسطة قلمه وكتاباته منبهاً الناس إلى أن الفرد مهما تغرب وعاش في مجتمعات اخرى فإنه سيكون منبوذاً إن لم يكن له وطن ينتمي إليه وثقافة خاصة به يعتنقها ويجاهد مفاخراً بها [4].

---

(1) المطران بولس الخوري، مقالات، الجزء الثاني، ص 5.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 7.
(3) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثاني...، ص 10.
(4) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثالث...، ص 10.

ويتكلم أيضاً عن «واجبات المثقف نحو وطنه» الذي عليه يقع العبء الكبير لرفع اسم وطنه عالياً، فكل إنسان برأيه سيبقى محتقراً في نظر الأجانب أينما كان ما دامت ليست له دولة قوية ينتمي إليها ووطن عظيم يفاخر به [1].

يبدو هذا الكتاب غنياً فأفكار المطران بولس الخوري، حين يقدم المؤلف تحت عنوان «نبذة عن علم السلوك»، سلسلة من النصائح والتوصيات هي غاية في أدب السلوك وقواعد التعامل المهذب بين الناس في المجتمع [2].

وقد تكلم عن «الأمانة» واصفاً إياها أنها الصدق سواء بالقول أو العمل [3].

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 12.
(2) من جملة هذه التوصيات المقتطفات الأدبية التالية:
● إذا طلب إليك جارك على المائدة أن تناوله رغيف خبز لا تمسكه بيدك بل قدم له سلة الخبز وهو يتناول الرغيف بيده.
● إذا تحدثت لا ترفع صوتك عالياً ولا تمدح نفسك ولا تكثر من أخبار أمجادك.
● إذا دخلت بيتاً لا تجلس حيث تشاء أنت بل حيث يدعوك صاحب البيت أن تجلس. وإذا جلست لا تمد رجليك على طولهما.
ومن النصح المهم الذي يعطيه الكتاب في ما يتعلق بالذين يطلبون أن نحبهم نذكر:
● أن تكون نظيف الجسم والثياب واللسان.
● أن تكون خفيف الدم.
● أن لا تحمّل الناس همومك فكل إنسان عنده همومه.
● لا تعتز بما يقوله لك الناس في وجهك، لكن سل أصدقاءك المخلصين عما يقوله الناس عنك أثناء غيابك. لأن الناس عادة يجاملون بعضهم البعض. المطران بولس الخوري، مقالات، الجزء الثالث، ص 91 و92.
(3) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثاني...، ص 21.

وفي مقالة أخرى يرى أن «المحبة» تفرض على الإنسان أولا أن يتخلى عن أنانيته وأن يشعر مع الغير إلى حدود بعيدة ويحاول أن ينصح غيره بما هو خير له وصلاح. ويضع مثلاً إن الواعظ مهما أسهب في وعظه لن يفلح إذا لم يكن قلبه عامراً بمحبة من يعظهم وكذلك المعلم إن لم يكن قلبه عامراً بمحبة تلاميذه فلن يستطيع أن يدخل العلم في عقولهم والتربية إلى قلوبهم ونفوسهم، وكذلك الوالدان إن لم يحبا أولادهما فلن يستطيعا أن يربياهم، والدولة التي لا تحب شعبها لن يكون لها شعب قوي يرفعها ويعلي من شأنها[1].

أما «وطن المستقبل» الذي هو لبنان المستقبل ففي ذهنية الكاتب صورة واضحة عنه يرسمها شارحاً وواضعاً شكل مستقبله. تقول هذه الفكرة إن الاستقلال لا يكون فقط بإخلاء الوطن من المستعمرين وإبعاد الجيوش المحتلة عنه بل في التحرير من كل ما هو غريب وأجنبي ومن ذلك الاستغلال المادي أي التحرّر من نير الشركات الأجنبية والرأسمال الأجنبي، والتعاليم الأجنبية والجامعات والسفارات الأجنبية وغيرها[2].

يطرح بعدها مجموعة آراء واقتراحات تتعلق بالأحوال الشخصيّة والأوضاع التربويّة والتدريسية وفيها نزعة قوية إلى إحلال الثقافة العربيّة المحليّة الأصليّة مكان الثقافة الأجنبيّة المستوردة.

ولا نستطيع أن نغفل حكم المطران القويمة وأفكاره السديدة وممنوعاته، فهو كيفما اتجه أو وعظ أو حاضر أو ناظر نراه يطالعنا

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 25.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 53.

«إياك»، «إياكم»، «إياك»[1].

ويوجه المطران الخوري، نداء إلى إخوانه العرب عامة واللبنانيين خاصة، أن يتحسسوا مسؤولياتهم، لوقف المجازر، ويتضرع إلى الله أن يستقبل أرواح الشهداء الأبرار، وأن تكون دماؤهم ثمناً للاستقلال الذي نلناه عام 1943، مجاناً دون إراقة دماء أخرى، وأن يرد أرض فلسطين إلى أصحابها العرب، ويدحر العدو الإسرائيلي المدنس في أرضنا وشعبنا، المغتصب لأرض فلسطين، لما لهذه البقعة من رموز مقدسة مسيحية وإسلامية في القدس الشريف، خاتماً وعظته «أن الله على كل شيء قدير»[2].

اخترنا هذا النداء من مجموعة من النداءات التي كان يوجهها المطران الخوري، في المناسبات كافة، ونلاحظ أن هناك فكرة واحدة كانت تسيطر على الموضوع وهي وجوب اتحاد العرب، للمحافظة على أرضهم، مذكراً دائماً أن خلافات العرب تزايدت بسبب المستعمرين الأجانب، الذين زرعوا بذور التعصب الديني الذميم

---

(1) من هذه «الإياك» نذكر:

- إياك أن تتسرع وتتهم زميلك بشيء فيك، لأن الاختيار سيبرهن أن ما اتهمت به زميلك ينطبق عليك فكان الأفضل لك أن تسكت.
- إياك أن تدّس على الناس فأن أمرك سينفضح عاجلاً أو آجلاً. وعندئذ لا يعود أحد يصدقك وإن قلت الصدق.
- إياك أن تترك صديقاً ضحيت في سبيله وضحى في سبيلك مهما اشتدّ بينكما الخلاف لأن الصديق أثمن شيء في الدنيا.
- إياك أن تبوح بأسرارك إلى أحد زملائك لأن مصلحته قد تصطدم بمصلحتك فينشر ما انطوى من أخبارك. مقالة من الجزء الأول، نشرتها زينب حمود، تحت عنوان الوجه الآخر لهم...، دراسات وحوارات في السيرة، دار الرشيد، بيروت، 1993، ص 287.

(2) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثاني...، ص 51.

بين مختلف المذاهب والأديان عملاً بالقاعدة «فرق تسد».

وفي مقالاته يأتي على ذكر علاقاته مع إخوانه الذين واكبوا مسيرته ونذكر منهم المتروبوليت ابيفانيوس زائد، وبالرغم من تعرض المطران الخوري للإساءة من المطران زائد[1] ولكن هذا لم يمنعه من إعطاء حقه عندما طلب من المطران الخوري الاشتراك مع أبناء عكار في تكريمه، بمناسبة يوبيله الذهبي. فنراه يتكلم عنه مبدياً إعجابه بأدبه الظاهر في مؤلفاته العديدة، وفي قريحته بنظم الشعر البارزة في ديوانه النفيس، وفي صوته الجميل الذي كان يتمنى لو انه قام بتسجيله، معترفاً بأنه لم يسمع أرخم منه في ترتيل الإنجيل المقدس، يسمعه كل صباح ومساء[2].

❖ **إستنتاج**

من خلال قراءة لكتاب مقالات، يظهر الكاتب نزّاعاً إلى عقائد ومبادئ القوميّة العربيّة، شديد التعصب لها حيث يرتفع بها على طريقته إلى مستوى الإنسانية الجامعة. وان كانت هذه العقائد

(1) خلال عقد اجتماع للمجمع المقدس في 19 أيار 1964، حين قام المطران ابيفانيوس زائد باقتحام الباب وتوجيهه إلى صاحب الغبطة والى الحاضرين كلمات نابية. وما أن استقر به المقام بينهم حتى فقد أعصابه وامتدت يداه إلى وجوه الحاضرين وطبعاً من بينهم المطران بولس الخوري. على الأثر نظم محضراً بالحادث، موقعاً من الجميع إلى جانب توقيع صاحب الغبطة البطريرك ثيوذوسيوس معلنين رغبتهم بإخضاع المطران ابيفانيوس للمحاكمة لأنه لا يجوز عقد المجمع المقدس في هذا الجو المحموم والمشحون بالضغائن، لان أي محاولة لعقد المجمع المقدس أو اتخاذ قرار قد تكون نتائجه خطرة على مجرى سير الكنيسة الأرثوذكسية. المطران بولس الخوري: بيان إلى أبناء الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة في الكرسي الإنطاكي، مطبعة النور، لبنان20 أيار 1964، ص 1-2.

(2) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثاني.... ص 62.

والنزعات تحمل بعض السلبيات في طياتها كالتخلي عن المؤسسات المالية الأجنبية والابتعاد عن الثقافات الأوروبية والاعتماد المطلق على ثقافة واحدة هي الثقافة العربيّة.

من هنا يخال القارئ للوهلة الأولى أن المطران الخوري هو ضد الانفتاح وهو متعصب، جداً للقومية العربية. ولكن نظرة ثاقبة ومدققة إلى مواقفه تبين أنه كان متعصباً للإنسانية جمعاء وانه ضد الغرب الاستعماري الذي يلغي الآخر سواء أكان هذا الإلغاء ثقافياً أم حضارياً أم سياسياً.

بالرغم من أن في هذا بعض المبالغة في الحماس ولكن هذه المقالات هي في الإجمال راقية الأهداف. ولغة الكتابة فيها متينة ومتسلسلة كما هي في سائر مؤلفات الكاتب.

4 – **ذكريات**، بقلم المطران بولس الخوري، صيدا، 1985/1/20

❖ **تعريف**

كتاب من الحجم الصغير يضم 188 صفحة، ويحتوي على مجموعة مواضيع متنوعة العناوين، هي ذكريات الكاتب وقد وضعها في قصص قصيرة ممتعة وحوادث طريفة لها مغزاها الأخلاقي وقيمتها التاريخية وفي أسلوب سلس جميل. وفي ما يلي سأذكر بعض هذه القصص التي قد لا يجد القارئ رابطاً بينها إلا أنها تدور حول مركزية واحدة هي شخصية المطران بولس الخوري في أفعاله وردود هذه الأفعال.

ونكتفي بإثبات وسرد الأحداث والأخبار التي وردت فيه حفاظاً على الأمانة التاريخية والموضوعية تاركين لمن أراد الاطلاع أكثر العودة إلى هذا المرجع لأن أي تحليل أو تعليق على هذه الذكريات سيردنا إلى ما ذكرناه في مواقفه السياسية والاجتماعية والدينية.

❖ مضمون

هذه القطع الأدبيّة القصيرة المتقنة السبك والمحكمة السرد يظهر من خلالها الكاتب واسع الثقافة له من حضور البديهة وطرافة التعليق على الأمور ما يجعله بطلاً لكل قصة يرويها من هذه القصص.

ولا يستوقف القارئ منها عنصر واحد دون غيره من العناصر، الفكرة والأسلوب واللغة والصياغة كلّها متكاملة فيما بينها وعلى مستوى واحد من الجودة، يبدو الكاتب من خلالها كأنه يرتدي مسحة من الغرور اللطيف المقبول، وهي تعبر في آن واحد عن نرجسيّة مقبولة لديه غير أن لهذه الأقاصيص أهميّة تاريخيّة لا تقلّ عن تلك التي تقرأها في وثائق المراجع التاريخية التي تعرّفنا على الأجواء الاجتماعية التي كانت سائدة في عصر هذا الرجل، وكعادته تكلّم عنها بجرأة ووضوح تام. وكعادته لم يسردها لمجرد السرد بل أراد أن يظهر من خلالها العبر. ففي معرض حديثه عن الجوع الذي حلّ في الحرب العالمية الأولى أراد أن يظهر أن هناك العديد من الناس يسرقوا لكي يزيدوا كمية أموالهم، ولكن الضعيف تظهر جريمته، أمّا القوي فلا جرم عليه. فالولد الذي كان يسرق الخبز، بعد أن سدّت بوجهه أبواب الرزق لم يبق أمامه غير الموت جوعاً، فدفعه حب الحياة إلى أن يقصد بيتاً يسرقه لكي يفوز بلقمة عيش، ولم يفكر ما إذا كان تصرّفه حلالاً أو حراماً[1].

وحملت ذكرياته الكثير من أحداث اليونان التي كان يذكرها بفخر واعتزاز منها:

ما ورد في الكلمة التي ألقاها في أثينا في 10 آذار 1923،

(1) المطران بولس الخوري: مذكرات...، ص 9.

أثناء انتخاب السيد خريسوتوموس بابا ذوبولوس مطراناً ورئيساً للمجمع اليوناني المقدّس: «إن الكنائس الأرثوذكسية تغتبط بارتقاء العالم والمؤرّخ الكبير إلى سدّة رئاسة الكنيسة اليونانية لأنها تأمل من المطران الجديد أن ينهج طريقاً جديداً لرفع شأن الكنائس الأرثوذكسية. وإجراء الإصلاح الضروريّ فيها لأنّه كان من أوّل الداعين إلى الإصلاح وطالما سمعناه، نحن تلاميذه، يلقي علينا الدروس التي تخطّط للإصلاح.

والآن أصبح الأرثوذكس في اليونان وفي جميع أنحاء العالم ينتظرون من المطران الجديد، وهو اللاهوتيّ الكبير، أن يبدأ حركة الإصلاح التي ينتظرونها. وخاصة العمل من أجل اتحاد الكنائس الأرثوذكسية في العالم. لتكون صالحة لاتحاد العالم المسيحيّ كلّه»[1].

وفي ذكرياته يروي العديد من الطرائف التي حصلت معه ومنها: اتهامه أنه على اتصال بهتلر وموسوليني لمعرفته المسبقة بأخبار الحرب العالمية الثانية، التي كان يتداولها مع بعض القضاة والمحامين، وأساتذة الجامعة الأميركية... وسبب معرفته يعود إلى العلاقة التي كانت تربطه بالسيد جورج واكيم من البربارة، الموظف في مكاتب أحد المسؤولين، والذي كان يزوره كل مساء متأبطاً البرقيات التي تتضمّن أخبار الحرب، الواردة من جهات مختلفة ويترجمها عنده، وكان يساعده في بعضها[2].

وعرف عن المطران بولس أنه كان يثور بسرعة، فنراه في خلال زيارته لأميركا الشمالية عندما كان يؤخذ منه تصريح سأله أحد الصحافيين: هل أنت لبنانيّ أم عربي؟ فما كان من المطران بولس

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 20.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق ، ص 97.

الخوري، إلا أن حمل عصاه الغليظة وهجم عليه قائلاً: «لا شك في أنك يهودي لأن سؤالك هذا يتضمن اللؤم والخبث، نحن اللبنانيين عرب شئت أم أبيت»[1]. هذه الحادثة تظهر سرعة انفعاله وتعصبه للبنانيته وقوميته العربية.

أما أطرف ما سمعه خلال زيارته لأميركا فحادث يرويه عن لسان ابنة خاله إميلي أسعد العازار»: أنّ مغترباً لبنانياً في بوسطن، كان يرسل مبلغاً من المال محدوداً لشقيقه في لبنان، ومّرت الأيام وبقي المبلغ هو اياه ... فكتب الشقيق المقيم في لبنان إلى شقيقه المغترب معترضاً «إن هذا المبلغ الزهيد الذي ترسله لي لا يكفي لمعيشتي فأرجوك أن تزيده لي حتى يكفيني وإذا لم تزد المبلغ ستجبرني أن أشتغل». وهنا يغمز المطران من قناة اللبنانيين الذين اعتادوا الاتكالية من دون إجهاد أنفسهم مهما كان هذا الجهد يسيراً وضرورياً[2].

أما عن «رأيه في السياسة الأميركية» في لبنان فنراه يقول بكل صراحة للسفير الأميركي الذي وجّه اليه سؤالاً أثناء زيارة المطران للسفير، وهنا تجدر الإشارة إلى المطران بولس الخوري هو من ضيعة صغيرة نجد أكثر من مئة عائلة منها تعيش في أميركا الشمالية، أما في جديدة مرجعيون مركزه الرسمي كمطران فإن نسبة المغتربين المقيمين في أميركا يعدون بالآلاف». ومما قاله: «برأيي أن تنصرفوا إلى الصناعة والتربية والتجارة وتستأجروا رجال سياسة من الإنكليز لأنهم اقدر منكم في السياسة. هذا إذا شئتم أن تتدخلوا في السياسة أما أنا شخصياً فأنصحكم أن تتركوا السياسة لأنكم لستم أهلاً لها....» ويذكر المطران الخوري أن

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 158.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 162.

السفير تأثّر بصراحته وودّعه حتى السيارة... وكانت أول وآخر مرة يزور فيها السفارة الأميركية. وهكذا تظهر لنا جرأة المطران بولس الخوري بأبهى صورة، فهو رغم الإفادة المادية والاقتصادية لرعيته (جديدة مرجعيون) ولضيعته (بتعبورة) إلاّ أن ذلك لم يمنعه من إبداء رأيه في كل صراحة في السياسة الأميركية وقد جاء هذا الرأي منسجماً مع مواقفه اللبنانية وانتماءاته القومية[1].

ومن الأمور التي كان يتقنها، الترجمة من اليونانية إلى العربية وبالعكس. والجدير بالذكر أن المطران الخوري كان يترجم الخطاب أو الكلمة بعد انتهاء صاحبها من إلقاء خطابه، ومن الأمور الجديرة بالذكر هي الترجمة التي قام بها، المطران بولس عن اليونانية لخطاب البطريرك اثيناغوراس خلال زيارته لمدينة بيروت، وهذه الترجمة كانت قد نشرتها الصحف تحت عنوان: «يجب على بابا روما أن يأتي إليّ»، وفي جملة ما ترجمه من خطابه: «قبل أن نبحث في الاتفاق مع قداسة بابا روما علينا نحن الأرثوذكس في العالم، وعددنا كبير، جداً أن نتفاهم وأن نزيل ما بيننا من خلافات أو فروقات عقائدية لنصبح كتلة واحدة قوية إذا قالت كان لقولها وزن. وعندئذ قداسة بابا روما سيطلب من تلقاء ذاته الاتفاق معنا».

عندما اطّلع البطريرك على هذه الصحف استدعى الصحافيين الأرثوذكسيين، ومن بينهم الأستاذ غسان تويني وسألهم عن سبب هذا الكلام، فأجابوه: هكذا ترجم كلامك المطران بولس. فقال لهم عرفت المطران بولس منذ عشرات السنين وخبرته وأنا واثق بأن المطران بولس كان صادقاً في ترجمته إن من اليونانية إلى العربية أو العكس.

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 149.

ولإزالة الالتباس لا بد من الإشارة إلى أن المطران بفكره الدقيق وسرعة خاطره لم يكن يلتزم الترجمة الحرفية، بل كان يفهم المعاني الخبيئة للخطاب المترجم فيظهره بفكرة واضحة مباشرة. وهذا الأمر هو من نقاط القوة عند المطران الخوري، فالبطريرك هو الذي طلبه لترجمة خطابه لما يعرف عنه من دقة وتمكن[1].

وهو الذي ظل يردد باستمرار: «أتيت إلى الجنوب عام 1948 مع الفلسطينيين» هل كان من كل هذا الإشارة فقط إلى التوافق الزمني أم انه كان يشير أيضاً إلى أنه هو الآخر «نازح» من جبل لبنان إلى الجنوب، لأنّ جهة ما حالت بينه وبين سيامته مطراناً أصيلاً على أبرشية جبل لبنان؟

والمطران بولس الخوري لا يتحدّث مباشرة عن هذه «الواقعة»في ذكرياته لكنّه يلجأ كعادته إلى «الحوادث» للإشارة إليها، فهو يروي مثلاً وبشيء من العزاء، انه عندما انتخب مطراناً على الجنوب أقام له الشيخ بشارة الخوري، رئيس الجمهورية يومئذ (1948) مأدبة تكريميّة ودعي إليها البطريرك غريغوريوس حداد وسائر مطارنة الكرسي الإنطاكي الأرثوذكسي. وإلى المائدة قال لهم الشيخ الرئيس ما معناه «انتم اعتبرتم المطران بولس الخوري مطراناً بعد سيامته أما أنا فقد اعترفت به مطراناً إدارياً

(1) منذ كان المطران بولس الخوري طالباً في أثينا كان البطريرك أثينا غورس شماساً عند المطران ملاتيوس متكساكي رئيس أساقفة اليونان يومئذ. وكانت بينهما صداقة متينة وكان أحياناً يكلفه بالخدمة بدلاً عنه في كاتدرائية أثينا. وعندما أصبح بطريركاً على القسطنطينية زار دمشق وكان المطران بولس في استقباله مع باقي المطارنة، وعندما جاء إلى بيروت كان مرافقاً له، حيث أقام له المطران ايليا الصليبي حفلة تكريمية، ألقى فيها هذا الخطاب. المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 143.

منذ سنة 1929، عندما كنت وزيراً للداخلية وكان وكيلاً لأبرشية جبل لبنان»[1]...

ونراه لا يخفي إعجابه بالبطريرك غريغوريوس فيحدثنا عن وقائع الزيارة الرسوليّة فيقول:

«خلال إقامة البطريرك في دير صيدنايا زاره كبار وصغار من جميع الملل والنحل، ومن الجملة زاره رهبان لاتين بصفة لجنة رسوليّة مرسلة من بابا رومية لتفقد أحوال الطوائف الشرقية التابعة لها. وكان معهم ترجمان يتقن اللغتين الإيطالية والعربية، ولما قال الترجمان للبطريرك أن هذه اللجنة يطلق عليها اسم (لجنة الزيارة) قال البطريرك: في لغتنا العربية مصدران الواحد زار يزور زيارة. والثاني زيّر يزيّر تزيراً. فقل لحضرات الآباء الأجلاء أعضاء لجنة الزيارة: أن قداسة أخينا بابا روما يرسلهم لا ليزوروا إخوتنا رؤساء وبطاركة الكنائس الشرقية التابعة لروما بل لكي يزيّرهم»[2].

وكان لهذه النكتة القاسية أثرها في أنفسهم ولكنهم كتموا تأثرهم وضحكوا.

وهذه الحادثة تظهر بوضوح اختلاف وجهات النظر بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، والحساسية المفرطة تجاه البعثات الغربيّة إلى الشرق التي تخفي أهدافها السياسيّة وراء المظاهر الدينيّة.

ومن حكايات البطريرك غريغوريوس يخبرنا:

- كان وكيل أملاك «خواجه» من آل سرسق يقدم له كل سنة كشفاً بالحساب فيدفع له المتوجب عليه دون أن يدقق فيه.

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 124.

(2) المطران بولس الخوري، ذكريات، ص 38.

وذات يوم كان رجل أعمال في مكتب الخواجا سرسق ووقع نظره على كشف الحساب. فقرأ فيه (بيطرة جمال) فقال «للخواجه» سرسق: «الجمال لا تتبيطر»، وللحال استدعى «الخواجه» وكيله وقال له: «الجمال لا تتبيطر»، حينئذ قال الوكيل: «ما دام عرفت أن الجمال لا تتبيطر. فلم يعد يوافقني أن أشتغل عندك»[1].

في هذه القصة الطريفة يشير إلى ظاهرتي الغنى والذكاء، والفرق بين الناس في استعمال هاتين الموهبتين حيث أن الغني الغبي يجمع حوله الخبثاء والطامعين والذكي المخادع يستغل كل شيء لتحقيق مآربه.

- ومن الحوادث الطريفة التي حصلت مع البطريرك حادثة تحت عنوان «قف في القلمون»:

«في صيف 1927، قدم من أثينا الشماس مخائيل الحاج، من بيترومين، بعد أن نال شهادة كلية اللاهوت العليا. وكان البطريرك يحبّه ويريد له الخير. وبعد أن انتهت زيارته التقليدية وجاء ليودع البطريرك ليذهب إلى قريته في الكورة. قال له البطريرك: «يا ميخائيل سأكلفك بمهمّة ترفع من شأنك. سأعطيك منشوراً بطريركيّاً لتقرأه في كنيسة دير البلمند يوم عيد نياح السيدة الذي هو عيد الدير. وأريدك أن تقف في كرسي البطريرك وتقرأ هذا المنشور بصوت جهوري وبلغة عربية صحيحة لكي يراك أهلك وأصدقاؤك وأبناء بلدك ويفرحون لك...».

أخذ الشماس المنشور ووضعه في جيبه وقال للبطريرك: يا سيدنا عندي أشغال كثيرة وربما لن أستطيع أن أصل إلى دير

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 39.

البلمند في 15 آب عيد السيدة... فظهرت علائم الحزن على وجه البطريرك الذي تنهد كأنه يأسف لما سمع وقال: يا إبني في تقديرك إلى أين يمكنك أن تصل في عيد السيدة؟ أجابه: أعتقد إذا عملت جهدي أصل إلى القلمون. عندئذ قال له البطريرك: إذن حال وصولك إلى القلمون قف في ساحتها واقرأ هذا المنشور[1].

ومن نصائح البطريرك لبولس

- إذا زرت قرية وبت في بيت. قم باكراً وخذ كتاب الصلاة بيدك واذهب إما إلى الكنيسة وإما إلى البرية. وهناك اقرأ صلاتك لكي تترك وقتاً لأهل البيت ليكّنسوا بيتهم وينظفوا ويحضّروا لك الأكل ويأخذوا حريّتهم.

- إذا جلست إلى مائدة الطعام إياك ثم إياك أن تطلب نوعاً من الطعام أو الشراب من غير الموجود على المائدة. لأن القرويين إذا أقاموا مأدبة يضعون على المائدة كلّ الأنواع الموجودة في القرية. وإذا طلبت شيئاً تكون أحرجت موقفهم وأجبرتهم أن يرسلوا رسولا إلى المدينة ليحضروا لك مطلوبك[2].

- وعن عزة نفس البطريرك وتمسّكه بمبادئه الأخلاقية، يخبرنا هذه الحادثة:

عندما كانت فرنسا منتدبة على سوريا ولبنان. عرضت المفوضيّة الفرنسيّة على الوكيل البطريركيّ المطران زخريا مساعدة ماليّة للبطريركيّة في دمشق.

ولما عرض الأمر على البطريرك غريغوريوس رد عليهم: «من

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 42.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 54.

يمد يده لا يمد رجله»، ورفض المساعدة[1].

وفي رواية أخرى عن «العلاقات بين الضيع»، يسرد في قصة تحت عنوان «عين حرشا وعين عطا» تفاصيل الخلاف الذي وقع بينهما حول نبع ماء، ما أدى إلى الاقتتال بين سكان القريتين. وعن دوره في حل هذا الخلاف بطريقة سلمية. إذ أقترح أن يكون النبع مشاعاً للقريتين فلاقى الاقتراح قبولاً من الطرفين بعدما أشار المطران إلى عينيه مشبهاً بهما هاتين القريتين[2].

وتحت عنوان «هل يوجد وفاء» يروي لنا الأحداث التالية[3]:

❖ عندما تسلم أبرشية صور وصيدا وتوابعهما، طلب منه قائمقام مرجعيون آنذاك المرحوم نجيب نادر، إرسال برقية لرئيس الجمهورية (الشيخ بشارة الخوري) يطلب منه العفو من حكم الإعدام على شاب من منطقة راشيا الفخار - وهي ضمن صلاحياته - فلبي الطلب وعفا رئيس الجمهورية عن المحكوم. وأبدل العقوبة بالسجن. وبعد مرور بضع سنوات خرج ذلك الشاب من السجن وعاد إلى قريته، ولم يذكر المطران بالشكر.

❖ حادثة أخرى: حصلت له مع المطران ثيوذوسيوس ابو رجيلي، الذي صار بطريركاً بصوته، لأن الأصوات تساوت في الانتخاب فأعطاه المطران بولس الخوري صوته، حتى فاز بالبطريركية، وبعد تسلمه العرش عاد إلى ما كان عليه قبل أن يصير بطريركاً أي محاربته للمطران بولس.

❖ ويعطي مثلاً آخر: قيل أن أحد أنصار كليمنصو جاءه

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 38.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 152.
(3) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 172.

يوماً يخبره أن أحد نواب حزبه يشن عليه حملات عنيفة. فالتفت كليمنصو إلى مخبره وقال: «أستغرب كيف يحاربني هذا الإنسان مع أني لم أحسن إليه» هذه الحوادث تبين عمق وألم تجربة المطران مع بعض الناس الذين قابلوا جميله بالنكران وهي حالة إنسانية عامة تبين مدى ضعف الإنسان الذي يلجأ إلى محاربة الذين احسنوا إليه كي يتناسى ضعفه في مرحلة معينة من حياته.

وفي هذا المعنى قال الشاعر العربي:

أما الوفاء فشيء قد سمعت به
وما رأيت له أذناً ولا بصرا
فمن تبصر في الدنيا أخا ثقة
فإنه بشر لا يعرف البشرا

وعن «طريقة الانتخاب» في فترة من حياة لبنان يروي:

عندما انتخب الأستاذ شارل الحلو، رئيساً للجمهورية اللبنانية، دعا بعض أهالي جديدة مرجعيون لمشاهدة الانتخاب، على شاشة التلفاز. وما أن بدأت جلسة الانتخاب ظهر على الشاشة المذيع كميل منسى معلناً أنه «الآن سيجتمع المجلس النيابي اللبناني لينتخب الأستاذ شارل الحلو رئيساً للجمهورية».

وكعادته لم يسكت المطران فعلق: «انظروا إلى هذا العمل الذي سماه كميل منسى انتخاباً. كيف يكون انتخاباً وكميل منسى يقول سلفاً أنهم سيجتمعون لينتخبوا شارل الحلو رئيساً؟. هذا تعيين وليس انتخاباً»[1].

وبعيداً عن الجنوب والسياسة كان بولس الخوري أديباً

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 157.

وصديقاً للأدباء وصحافياً وصديقاً للصحافيين ومحبّا ودارساً للموسيقى...

ومن الأدباء الذين صادقهم عمر فاخوري الذي تهرّب منه أوّل مرّة لأنّه لا يحبّ مصادقة رجال الدين، وإبراهيم المنذر النائب والكاتب والشاعر الأديب الذي قدّم له سبحة ليلعب بها بدلاً من أن يلعب بلحيته، أثناء زيارته له في أوائل عام 1928، في دير مار الياس شويا[1].

أمّا العلاقة الحميمة فقد خصّ بها الشاعر الشعبي الساخر عمر الزعني، الذي كان يقرأ له أناشيده قبل أن ينشدها ويذهب معه إلى بتعبورة لقطاف الزيتون وفي العودة يجلب معه حصته من الزيت واكثر ما يحفظ له قوله:

عشاق المبادي كثار ... مـا أكثرهـم هالمدي

والميدان كلو أخطار ... والشاطر هاللي يهدي

ومـن أصـدقـائـه الموسيقـيـين فـي بيـروت مـتـري المـر، وفي القـاهـرة محمد عبد الـوهـاب، كـان يذهـب المطـران إلـى استديو «بيضافون»ليستمتع بعزف عبد الوهاب بيده على عوده ويأتي عبد الوهاب إلى كنيسة رؤساء الملائكة ليشارك في قداس «أبونا» فيها، لأن عبد الوهاب شديد الإعجاب بالموسيقى البيزنطية، و«أبونا» درس أصول الموسيقى البيزنطية الشرقية في البلمند، واليونانية في أثينا.

وصادق أيضاً الرسامين والفنانين وأخصّ بالذكر الأستاذين عبد الله القبرصي ومصطفى فروخ[2].

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 56.

(2) الذي انغرم بابنة شقيقته جورجيت التي أصبحت فيما بعد زوجته.

ومن أصدقائه أيضاً أنطون سعادة مؤسس وزعيم الحزب السوريّ القوميّ، وكان المطران معجباً بذكائه ونشاطه وبعد نظره وشعوره القومي ومحبته لوطنه، ويقول المطران: قرأت كتابه «نشوء الأمم»، الذي يضعه في مصاف العباقرة، وبقيت صداقتي معه إلى أن أصبحت مطراناً"، وقد حضر الزعيم حفلة سيامته مطراناً، حيث كان جالساً بالصف الأول. وفي حادثة تدل على عمق العلاقة بين الرجلين نذكر ما دار بينهما من حوار سنة 1949 في بيت أنطون سعادة في رأس بيروت، حين سأله الزعيم: هل تعتقد أن الوقت قد حان ليتسلم حزبنا الحكم في البلاد؟ أجابه المطران على الفور: «أنا لست رجل سياسة بل رجل دين وعليه أنا أجيبك على سؤالك من الإنجيل».

يقول السيد المسيح: ما معناه «أي ملك يشهر حرباً على ملك آخر قبل أن يحصي ما عنده وما عند الملك الآخر حتى إذا كان ما عنده يفوق ما عند الملك الآخر يشهر عليه الحرب وإلاّ فلا؟» فاستغرب الزعيم أن يكون المسيح قال هذا القول، مصارحاً إياه بأنه كان آخر من وجه إليه سؤاله وأول من أجابه هذا الجواب. فوضّح له المطران: «أنا يا حضرة الزعيم صريح ولا أقول إلا ما أعتقد به والذين سألتهم وشجعوك كما أفهم من لهجتك هم لا يحبونك أما أنا فأحبك»[1].

كذلك من أصدقائه علي ناصر الدين، وصلاح بيهم، وفؤاد نكد وقسطنطين يني مؤسسو عصبة العمل القومي، التي تولى أمانتها العامة شقيقه المحامي فهيم. والصفة التي تربطهم هي انهم كلهم ثوار وطلاب وحدة واستقلال.

---

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، 127.

ومن أصدقائه أيضاً الأمير ميشال لطف الله، وبدأت صداقتهما منذ كانا في مصر، حيث كان الأمير رئيس وكلاء كنيسة الأرثوذكس في القاهرة. من الحوادث التي يحفظها المطران بولس عنه، هو تمنّعه عن زيارة الملك فؤاد بالرغم من الصداقة القوية التي جمعت بينهما، والسبب يعود إلى أن الملك فؤاد كان قد أصدر مرسوماً يمنع لقب الأمير لغير أبناء العائلة المالكة، والأمير لطف الله أراد أن يحتفظ بلقبه الذي كان الناس ينادونه به خارج القصر[1].

كذلك نراه في ذكرياته لا يبخل بإبداء رأيه بكبار كتاب جيله. فجبران في التاريخ الكنسي أشبه بالرسول بولس وفي التاريخ المدني هو ثائر على كل قديم وربما اصبح يوماً ما قديساً في نظر المعجبين.

وخلال زيارته لقبر جبران في بلدة بشري، كتب على السجل المخصّص للزائرين الفقرة التالية: «عندما دخلت بلدة بشري أدركت السبب الأول في نبوغ جبران. وعندما زرت دير مار سركيس حيث أنزلوا جثمان جبران شعرت بالرهبة من الخالق العظيم، تلك الرهبة التي رافقت جبران في حياته. وسترافق روحه بعد مماته. وستبقى توجيها للزائرين المؤمنين» ...

ومن المعلومات التي جمعها من أهالي بشري حول دير مار سركيس وعلاقة جبران هو أن دير مار سركيس كان يخصّ وقف بلدة بشري. فاتفق البشراويون مع الرهبان الكرمليين على أن يمتلك الرهبان هذا الدير مقابل إعطائهم صيدلية يكون فيها طبيب يطبّب الأهالي مجاناً ويعطيهم كذلك الأدوية مجاناً إلى الأبد. ولكن بعد

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 81.

أن تملّك الرهبان الدير نقضوا تعهّدهم ولم يعطوا لا صيدلية ولا طبيباً.

إذا كان هذا الحادث صحيحاً فلا شكّ في أنه أثّر على جبران في حملته على الأكليروس.

أشار إلى أنه فهم أيضاً من أهالي بشري أن جبران في حياته فاوض الرهبان الكرمليين ليشتري دير مار سركيس ولكنه لم يفلح.

وبعد وفاة جبران تمكنت شقيقته مريانا من شراء هذا الدير، إلى جانب توكيلها شقيقه المحامي إبراهيم، الذي اشترى الدير ووضع قانون لجنة جبران[1].

وعن أرز لبنان، كتب في السجل الخاص بالزائرين، وذلك خلال زيارته في 24 أيلول 1932 الفقرة التالية:

«أشكر الله الذي أهلني لزيارة الأرز. ولطالما تقت لهذه الزيارة. وأسأله أن يلهم القائمين على العناية به أن يغرسوا من هذه الشجرة المباركة للأجيال الآتية كما غرس الأقدمون لنا. وحبذا لو أن القائمين بإدارة الأرز ينشطون لزيادة الاهتمام به والمحافظة عليه لما له من الأهمية في التاريخين الديني والمدني. وعسى أن أوفق بزيارة ثانية ليفرح قلبي بالأحداثات المنتظرة منهم إن شاء الله».

وعندما سأله بعض الأساتذة والأدباء عن عظمة الأرز أشار إلى «أن عظمة الأرز كامنة في الأرز ذاته. هذه الشجرة التي تنمو كثيراً وتعيش طويلاً وتمتاز عن شقيقتها شجرة الصنوبر بأنها أصلب منها وأقوى. كما أن شجرة الأرز تمتاز بشكلها الجميل وبتحملها للعواصف والثلوج والأمطار وعظمة كل شيء كامنة في ذاته. وبعبارة اخرى: إن عظمة الأرز الذاتية سابقة لعظمته التاريخية. لأنه لو

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 71.

لم تكن شجرة الأرز عظيمة بذاتها لما اتخذ سليمان الحكيم من أشجارها خشباً لهيكله»[1].

وفي ذكرياته التي تظهر بعض الأمور الشخصية الدقيقة في حياته يتحدث عن أمرين لم يعملهما[2] «التدخين لأن صدره ضيق ولا يتحمل الدخان، والثاني لعب الورق أو لعب الطاولة أو غيرها من أدوات التسلية. لأن اللعب يحتاج إلى وقت فراغ. وهو لم يكن عنده أي وقت فراغ في حياته» [3].

ولطالما شكر الله على أمرين: أولاً أنه خلقه ذكراً، أي لا يستطيع أن يحمل جنيناً في بطنه؛ والثاني أنه خلقه أرثوذكسياً لأنه يبغض الدكتاتورية ويحب الديمقراطية. «فنظامنا ديمقراطي. بعكس نظام الكنيسة الغربية الديكتاتورية» [4].

كلها مواضيع مشوقة تدل على سعة إطلاع المؤلف وعمق ثقافته وعلاقاته الاجتماعية الحميمة.

❖ استنتاج

هذا الكتاب لا يختلف في صياغته عن بقية مؤلفات المطران الخوري فهو متمم لمجموعته من حيث الأسلوب اللغوي، والروحية والفلسفة الشخصية ونظرته الخاصة إلى الحياة. وقد جعل من هذه القصص القصيرة متعةً للقارئ تجنبه فيها طول السرد والانتظار فيما لو طالت إلى أكثر من خمسين أو أربعين سطراً.

هذه المجموعة من الذكريات تسلّط الضوء على بعض التفاصيل في حياة المطران بولس الخوري، مما يرسم ملامح

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 73.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 178.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 178.
(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 186.

شخصيته التي تبدو لطيفة رغم نرجسيتها البارزة. فالقارئ الذي لا يجد في هذه الذكريات أخباراً لا تعنيه إنما هو مخطئ لأن الهدف الأكبر منها هو تعميم الفائدة من خلال التجربة الشخصية.

5 - **كلمات**، بقلم المطران بولس الخوري، ثلاثة أجزاء، يوزع مجاناً

❖ تعريف

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء من القطع الصغير، يبلغ مجموعها 260 صفحة، تسرد مواضيع عديدة ومتنوعة من المبادئ الفكرّية والاجتماعيّة الدينيّة. وقد صدرت تباعاً، فكان الجزء الأول في 3 شباط 1981، وقد تبرع بنفقات الطبع ابن شقيقة المطران السيد فؤاد بربر وابنته السيدة عائدة وزوجها المهندس مخايل الحلو. وظهر الجزء الثاني في 1 آذار 1981، وقد تبرع بنفقات الطبع صهره السيد عصام فارس وعقيلته السيدة أميمة فرح. وطبع الجزء الثالث في سنة 1985. هذه الأجزاء كانت توزع مجاناً مما يدل على ترفع سيادته عن المادة وسعيه إلى نشر الفكر والمبادئ التي يؤمن بها وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كل جزء على حدة.

❖ مضمون

شاء المؤلف في هذا الكتاب أن يعرض في بحثه مواضيع اجتماعية وتربوية دقيقة وحساسة جداً وقد أعطاها الكثير من الاهتمام والسعة في المرجعية، ولنبدأ بعرض هذه المواضيع فنتناول أولاً موضوع «الإنسانيّة المسيحيّة» [1].

وفيها يعرض الكاتب ما للمسيحية من فضل على الإنسانية في مدى تطوّرها ورقيّها. فقد جعلت هذه الأخيرة تقفز قفزات واسعة

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثاني...، ص 53.

وسريعة في المفهوم النسبي للمراحل التاريخية، ففي ظلّ المسيحيّة ارتقت العلوم والعلاقات البشريّة من شرائع قانونيّة وتعاملات فرديّة وجماعيّة تحكمها المصالح إلى علاقات روحية معنوية تديرها عاطفة الدين وعلى الصعيد الأخلاقي أيضاً. كل هذا بفضل التعاليم التي قام بها السيد المسيح ومن بعده الرسل، والكنيسة والتبشير المسيحي، وان للمسيحية الفضل الكبير في ما وصلت إليه حضارة اليوم من الرقي على جميع الصعد، وكيف أنها عملت على إعلاء شأن الإنسان ووضعته في المقام الأدبي اللائق على وجه هذه الأرض، ومن أهم التعاليم التي أرست قواعد الحضارة قول السيد المسيح إن الناس كلهم اخوة «إن أباكم واحد وهو الذي في السماء وأنتم كلكم أخوة» [1].

ويتطرّق البحث إلى موقف المرأة من الدين وكيف تكون علاقاتها به، ويعرض هنا بقوله إن الله بعد أن خلق الكون وفيه الأجرام السماوية والأرض بكل ما فيها من حيوان ونبات خلق آدم كممثل للإنسانية، ولكنه وجد أنّ هذا المخلوق ليس كاملاً بل يجب أن يكتمل بوجود شقّه الآخر، الذي هو حواء، فيها اكتملت الإنسانية لأنها هي عنصر الأنوثة في الكون وهي الحنان والأمومة والمحبة، فأخذ من ضلع آدم ضلعاً ونفخ فيه وجعله امرأة أنثى. وقد كرم الله بها الإنسان فهي كريمة ولها مستوى هام في الدين والفكر والإنسانية [2].

ثم يتكلّم عن السيّد المسيح وكيف أعطى المرأة مقاماً سامياً في هذا الوجود فبعض النساء كنّ يرافقنه مع تلاميذه في جميع

(1) الكتاب المقدس: متى، الإصحاح 23، عدد 8-9، والمطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثاني،... ص 43.

(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث،... ص 52.

تحرّكاته ورحلاته التبشيرية وبينهنّ القديسة مريم المجدليّة التي باركها يسوع وأخرج منها سبعة شياطين، ويونا زوجة خازن هيرودس، وسوسنا وأخريات كثيرات كنّ يخدمنه وينفقن عليه من اموالهن، ثم يؤكد بأنّ السيد المسيح أعلى شأن المرأة لتكريمه لأمه مريم العذراء عليها السلام عندما أوصى تلميذه يوحنا الحبيب، قائلا له: «هذه أمك» وكيف أنّها مقدّسة في التسابيح الإلهية الصلاوتية حين نقول: «يا من هي اكرم من الشاروبيم وارفع مجداً بغير قياس من الساروفيم».

وعن السيدة مريم العذراء وعن موقفها من معاصريها يقول بكل شجاعة أن مريم العذراء كانت فتاة عذراء، حملت، ولو لم تكن مريم مؤمنة بالله ومقتنعة بأنها لا تعيش لنفسها ولا لعصرها بل تعيش لغيرها من الأجيال الآتية لكانت انتحرت. ولكن بما أنها كانت تؤمن بالله تعالى، وبنفسها وبأنها تعيش لغيرها وللأجيال أحنت رأسها للملاك الذي بشرها وقالت: «أنا أمة للرب فليكن لي حسب قولك».

وهكذا أصبحت تلك الفتاة المتّهمة أمّاً للإله المتأنّس وأصبحت تكرّم في جميع أنحاء العالم. وأصبحنا نحن المسيحيين نسجد أمام صورتها.

امّا في حديثه عن «الأرثوذكسية» ونشأتها وأهمّيتها فهو يرى أنه عندما دخل الناس في الدين المسيحي أوّل نشأته حاولوا أن يدخلوا إلى هذا الدين فلسفات متنوّعة فحصل كثير من الاختلافات والبلبلة الفكريّة داخل هذه المجموعات وبعدوا في أفكارهم ومعتقداتهم عن الدين المسيحيّ الصحيح، لذلك شاء الإمبراطور قسطنطين - وهو أول المسيحيين الأرثوذكسيين - أن يطهّر الدين المسيحيّ من الهرطقات التي تشوّهه بسبب هؤلاء المتفلسفين فدعا

إلى إقامة مجمع مسكوني في أول سنة 320، يحدد فيه مبادئ الدين المسيحي ومفاهيمه، واسماه دستور الإيمان وعقده في نيقيه رافضاً كل الأفكار التي لا تتفق مع هذا الدستور ودعاها الهرطقات أما الذين وافقوا على قرار هذا المجمع فهم المسيحيون الحقيقيون وأوّلهم الأرثوذكس. ولذلك كانت الأرثوذكسية بتعاليمها الصحيحة للمسيحية والثبات على مبادئها الأصلية قد نشرت الحضارة وحافظت عليها وأبرزت من الأرثوذكسيين أشخاصاً كباراً في هذا العالم صانوا مبادئها واغنوا المجتمعات بصلاحهم وحسن سيرتهم وكانوا على مستوى المسؤولية. وان هؤلاء الأرثوذكسيين سواء أكانوا في فرنسا أو سائر أوروبا وأميركا وفي المشرقين والمغربين هم مدعاة للفخر والاقتداء بحسن سيرتهم[1].

وقد عبّر المؤلف عن «الفكرة الإصلاحية» في ما يتعلق بالدين بدعوته إلى أمرين اثنين. الأول الإصلاح في المبادئ، فدعا رجال الدين إلى التقيّد بالمسلكيّة الإلزاميّة التي تفرضها روحيّة الدين الأرثوذكسي وتشبّهها بمسلكيّة شخصيّة السيّد المسيح عليه السلام ثم دعوة ثانية إلى الإقلال من الترديد في الصلوات ممّا يبعد المصلين عن الغاية الأساسية في صلواتهم ويطيل مدة القداس تطويلاً لا لزوم له مما يبعث السأم والملل فالاختصار واجب وضروري. ويدعو إلى نبذ القشور المظهريّة للدين وإلى الإصلاح داخل الكنيسة مما لا يبقي من الدين سوى الأعمال. فالدين المسيحيّ أهمّ ما فيه الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة لا المظاهر الطقسيّة والتمسّك الكبير بالصور والأيقونات والرموز وإقامة الطقوس من ركوع وسجود، والمبالغة في الصلوات لأن الله أهمّ ما يعنيه هو العمل الإنساني

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 25.

والمسلكيّة. وان الكنيسة في لبنان لا تخلو من الشوائب التي تتطلب إصلاحا وإصلاحاً كبيراً لكثرة ما فيها من الشوائب وهذا يقتضي ظهور أفراد جريئين يبادرون بإصلاحاتهم، غير هيّابين[1].

وينتقل إلى الأمر الثاني من الاصلاح في الناحية الماديّة فيطلب من القيّمين على شؤون الصرف المالي في الإدارات والمؤسّسات الدينية إلى وضع هذا الصرف في مكانه الضروري وعدم التبذير به على أمور ليست ذات منفعة. أمّا أهم النواحي التي يلزم فيها صرف المال فهي مساعدة الفقراء والمحتاجين وإقامة المناسبات الضرورية لسدّ حاجاتهم وتعليم أبنائهم ومساعدة كلّ محتاج وفقير، بدل أن تصرف هذه الأموال على شؤون أخرى لا علاقة لها بالوضع الإنسانيّ الدينيّ[2].

وعن أهميّة «الشهداء الفدائيين» وعلاقة الأرثوذكسيين بهم تبين من خلال الكتاب أن الدين المسيحي الذي سمي دين المحبة والسلام، قام على أجساد الشهداء. والمسيحيّون الأوّلون كانوا يؤرّخون ولادة الشهيد يوم وفاته. ونزلت الآية الكريمة : «ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون». وبهذا المعنى أيضاً جاء في الإنجيل المقدس: «هكذا أحبّ الله العالم حتى أنه بذل ابنه الوحيد فداء من أجل العالم» فالفداء عقيدة من عقائد الدين، والفدائي انسان أحبّ العالم... أحبّ وطنه... أحبّ أمته حتى أنه بذل نفسه من أجل وطنه وأمته.

والأرثوذكسيون في العالم كما سجّل تاريخهم كانوا وما زالوا في كل بلد عاشوا فيه في مقدمة المضحّين في سبيل الله وأمتهم. فالإخلاص للوطن وللدولة عقيدة من عقائد الدين المسيحي

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 19.

(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 23.

الأرثوذكسي، والعروبة رفع لواءها رجال أرثوذكسيون.... واللغة العربية جدد شبابها رجال ارثوذكسيون في جميع أقطار العالم العربي. ونفاخر بأننا من الفدائيين في سبيل عروبتنا ووطننا ولغتنا[1].

وعن «العلاقة بين المدرسة والكنيسة» يشير إلى أنهما كلمتان مترادفتان، فالكنيسة هي مدرسة والمدرسة هي كنيسة. وكما أن الكنيسة لا تقوم بجدرانها ورسومها هكذا المدرسة لا تقوم بقانونها ونظامها بل تقوم الاثنتان بالتعليم والتهذيب وبثّ الأخلاق الطيبة والمبادئ القويمة[2].

أما من خلال «الكلمة» وما تحمل من أبعاد فلسفيّة فهو يرى أنها بحد ذاتها صورة، وهذا دليل على أن اصلها صورة كما أثبت ذلك علم فلسفة اللغة. لذلك وجب اختيار الألفاظ اختياراً، فيمكن أن تبني ما تهدّم، وأن تضمّد جراحات، وأن تدافع عن حدود الأوطان. كما يمكن أنّ تهدم إذا استعملت بشكل سلبي فقد قال السيد المسيح: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فمه».

ولكن أي كلمة هي التي تفعل كل هذه الأفعال السحرية؟ هل هي كلمة المنافقين، الدجالين، أو كلمة المتاجرين بالوطن، أو كلمة اللصوص؟ لا بل هي كلمة الصادقين المخلصين الذين يجوعون ليطعموا الجائعين[3].

ويتحدث المؤلف أيضاً عن «العلم والرقي» فيفصل بينهما ويقول ليس المتعلم راقياً بالضرورة فهناك الكثير من المتعلمين غير

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الأول،... ص 29.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 12.
(3) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثاني،... ص 100.

الراقيين لأن العلم وحده يقتضي معرفة الإنسان بناحية واحدة أو أكثر من نواحي الحياة كالعلم في الكيمياء أو الفيزياء أو الطب أو اللغات وهذا يقتصر على الإلمام بناحية صناعية واحدة من المعرفة. أمّا الرقي فهو النمو السامي لجميع القوى الإنسانية في الفرد وهذا ما يسمى أحياناً بالثقافة وكلمة الثقافة تعني تهذيب النفس وترقيتها[1].

ويقارن ضمنه بين «الدين اليهودي والدين المسيحي»، فاليهود يؤمنون بأنّ هناك مخلصاً سيولد لليهود ليخلصهم من اضطهاد الشعوب، ويحقق لهم أحلامهم بالسيطرة على العالم، وانه ليس السيد المسيح الذي يؤمن به المسيحيون. «وان اليهود يضمرون العداء لكل شعوب العالم فهم عنصريون من الدرجة الأولى يحملون حقداً دفيناً في قلوبهم».

والتوراة في نظر المسيحيين هي تمهيد لمجيء المسيح، ولا يجوز أن نفهمها إلا على ضوء الإنجيل، وهي ظل المسيح، وعندما جاء الشخص الحقيقي بطل الظل.

أمّا التلمود، الكتاب الآخر لليهود، فالمسيحية لا تعترف به، وهو كتاب مشحون بالكذب والافتراء، فالتلمود يقول: «أن مريم العذراء هي زانية، وأن يسوع ابنها هو ابن زنى».

والتلمود يفرض على اليهود أن يسيئوا إلى الشعوب الأخرى، ويعتبر استنزاف دم المسيحيين ذبيحة وقرباناً لله، لذلك أريد أن اقول إنّ المسيحيّة واليهوديّة ضدان لا يجتمعان».

هذا قوله كرجل دين، أمّا رأيه كمدنيّ وقوميّ عربيّ فهو أن اليهود أو الصهاينة هم أعداء أمته العربية الشرسون والظالمون

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الاول،... ص 7.

والمحتلون للأرض، وإنهم أعداء الإنسانيّة جمعاء ولا يتوقف ظلمهم وعداؤهم عند شعب دون آخر لأنهم عرقيّون وعنصريّون ويجب الحذر والحيطة من شرهم ومن ثم مكافحتهم. مضيفاً، إن الكثيرين من المسيحيين المتعاملين مع إسرائيل لا يعرفون هذه الحقيقة، فأرجو من الله أن تنار دروبهم ويسلكوا طريق الخير، مبتعدين عن التعامل معهم[1].

وعن «رسالة الميلاد» يؤكد بأنها ليست رسالة المسيح فقط بل رسالة المسيحيّة والإنسانيّة، لأن المسيح لم يأت لأمة خاصة ولا لوطن معين بل جاء للناس أجمعين.

ويتساءل هل تحققت رسالة ميلاد المسيح؟ عائداً بالزمن إلى العصر الذي ولد فيه المسيح فيرى أن الحالة كانت على الوجه التالي:

- النسر الروماني كان يبسط جناحيه على الشرق والغرب.
- اللغة اليونانية كانت تسيطر على لغات العالم.
- الأمة اليهودية كانت تحصر الله فيها.

أمّا في عصرنا هذا فنرى:

- دولتين تبسطان نفوذهما على الشرق والغرب (أميركا وإسرائيل).
- لغتين تسيطران على لغات العالم (الإنكليزية والفرنسية).
- طوائف تحصر الله وتدّعي أن الخلاص لن يكون إلا على يدها وحدها (اليهودية) .

فالعيد برأيه ليس بحضور الحفلات، بل بعمل شيء مما علّم

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث....، ص 17.

المسيح به، «فنحن نلبس الثياب الجديدة وبطوننا ملآنة، فلنفكر بالذين ليس عندهم ثياب وليس عندهم طعام، ولنبذل شيئاً في سبيل امثال هؤلاء لنكون بالفعل قد فهمنا رسالة الميلاد»[1]...

ونراه في كلمة أخرى عن «الميلاد» يردّ معارضاً أحد الأدباء اللبنانيين الكبار الذين القوا محاضرة كان عنوانها «ماذا يفعل المسيح لو حضر احتفالات عيد ميلاده؟» والذي أجاب نفسه قائلاً: «شأن المسيح لو جاء وحضر عيد ميلاده لكان أخذ سوطاً وضرب بابا نويل به». فما كان من المطران الخوري إلاّ أن وجه له انتقاداً لاذعاً مؤكداً أن بابا نويل ينفذ إرادة المسيح في توزيع الهدايا على الأطفال، لأن المسيح يقول: «دعوا الأطفال يأتون إلي ولا تمنعوهم» وقال أيضاً: «إن لم تعودوا مثل هؤلاء الأطفال لن تدخلوا ملكوت السماوات» ولأن إرادة المسيح أن يشترك الأطفال في فرحه في عيد ميلاده الذي هو عيد ولادة الطفل يسوع.

والسيد المسيح كما هو معلوم كان يحدثّ الناس بالأمثال. ومن أصغر أمثاله هو مثل «الأب والابنين» وخلاصته: أب عنده ولدان كلفهما بالذهاب إلى الحقل ليشتغلا فيه فقال الأول: سمعاً وطاعة يا أبي. ولكنه لم يذهب. أما الثاني فاعتذر من أبيه لأسباب طارئة. ولكنه ذهب واشتغل في الحقل.

المسيح يسأل: مَنْ مِنَ الولدين نفذ إرادة أبيه؟ وهو نفسه أجاب على سؤاله فقال: الابن الذي أعتذر وذهب.

ويضيف المطران: الابن الأول الذي قال سمعاً وطاعة ولم يذهب يرمز إلى الفريسيين الذين يصّلون ويصومون ولكنهم لا يفعلون فعلاً صالحاً. والابن الذي اعتذر وذهب واشتغل يرمز إلى

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 34.

الذين يصلون ولا يصومون ولكنهم يعملون الأعمال الصالحة.

فهذا المثل يصوّر لنا رأي المسيح في الدين، بل رأي الدين المسيحي في الحياة التي يريدها من أتباعه. بعكس الديانة اليهودية التي هي ديانة الطقوس الخارجية والتي شن عليها المسيح حرباً شعواء كان من نتيجتها تعليقه على خشبة الصليب[1].

وكعادته يعطينا الأمثولة على شكل حكاية صغيرة، فيها المتعة والفائدة بحيث يمكن لكل إنسان أن يجد نفسه فيها فيتّعظ بها ويقف للحظات أمام الحقيقة المزينة بأخبار طريفة تصّور الحياة اللبنانيّة في مختلف أبعادها. لذلك تضمنت كلماته جزءاً كبيرا من الأخبار الطريفة والنصائح أذكر منها:

❖ حكاية «الإنسان والوحش» فهي إلى جانب السرد الذي يشوق القارئ إلى الاسترسال في القراءة ليماشي الرجل بالوصول إلى كيفية التغلب على الوحش، ترينا كيف استطاع الكاتب أن يعطينا مغزى من هذه الأقصوصة، وأن العقل الراجح يمكنه التغلب على الخبث والمكر وباستطاعته السيطرة حتى على الأعداء وتسييرهم للغاية المرجوّة[2].

أما حكاية «الأسد السجين» فأراد الكاتب أن يظهر لنا حكمة أن الجوهر ثابت لا يتغيّر مهما قست الظروف وعملت على إلغاء شخصيته. فالأسد الذي اجتمع أخصامه الكثيرون، ومنهم من يشبه الثعلب في الحيلة ومنهم كالأفعى في الدهاء وتكاتفوا عليه وسجنوه في قفص، فالأسد لم يزل حتى ضمن القفص أسداً وأخصامه لا يزالون وهم خارج القفص ثعالب وأفاعي[3].

---

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 70.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 78.

(3) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 79.

وتحت عنوان «عبادة الأصنام» يوّجه المطران نقداً لاذعاً على المستوى السياسي والاجتماعي حيث يعبد الناس المراكز والكراسي خدمة لمصالحهم ويضعون الدين في الموضع الثاني من اهتماماتهم وهكذا يصبحون أصناماً لا رحمة ولا رأفة في قلوبهم فيتخلون عمّا يميزهم كبشرٌ وهو التعاطي الأخلاقي في المجتمع، ويؤكد ان اللبنانيين ما زالوا حتى اليوم ينتخبون الرئيس (الروحي أو المدني) ويرفعونه إلى المقام العالي ثم يسجدون له طالبين منه كل ما يحتاجون إليه.

وعن الحرب بين «المسيح واليهود»، يؤكد أن هناك أملاً كبيراً في أن ينتصر المسيح على اليهود مهما طال الزمن، لأنّ المسيح ليس اللحم والدم اللذين صلبهما اليهود بل المسيح هو مبادئ الحرية والعدل والمساواة وهذه المبادئ ستنتصر بإذن الله.

والكاتب أراد أن يعيرنا انتباها إلى أن هذه الحرب لم تنته بصلب المسيح، بل ما زالت قائمة. ولكن الفرق بين تلك الحرب القديمة والجديدة، إن المسيح كان يحارب اليهود وحده حتى أن تلاميذه لم يعاونوه في حربه. أمّا الحرب القائمة - والتي ستدوم - فإن كثيرين فيها يحاربون اليهود مع المسيح مع الفرق أن المحاربين الجدد ليسوا مسيحيين، إشارة منه إلى الإسلام والمسلمين.

ونجد أن الخريف اقرب إلى نفسه من الربيع لأنّ الربيع يكسو الجبال بالأعشاب فتظهر كأنّها فعلاً مزهرة. أمّا الخريف فإنه يجرّدها من لباسها الكاذب فتيبس الأعشاب وتظهر الجبال بطبيعتها الحقيقية[1].

ودلالة منه على «الصدق مع الذات» والوقوف أمام مرآة

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 84.

الغير. نراه يصرح بكل تجرد انه كلما يعود إلى بيته ويخلع ثياب الخروج، مرتدياً ثياب البيت، يتصور الحياة رواية وكل إنسان يمثل دوراً فيها.

أما «الزمن» فإنه بالنسبة إلى الأشخاص كالعداد بالنسبة إلى السيارة الذي يعدّ عليها سيرها شاءت أم أبت. فكم هم الذين يتجاهلون هذه الحقيقة ولا يعيرون عداد الزمن انتباهاً [1]...

والمطران حتى في أدبياته الرومنطيقية لا يتخلى عن حسه العربي، ففي قطعة له بعنوان «لبنان» يصرّح بأن لبنان الذي من مياهه العذبة أرتوى ومن ثماره تغذى ومن نسيمه العليل تنشق، ومن أرزه الخالد أخذ روح الإباء. ومن جباله الشامخة أخذ الصلابة في العقيدة، هو شامة في جبين الوطن العربي [2].

وعن «الغاية من الحياة» نراه يستشهد بأقوال لرجال مهمين أمثال:

- إبراهيم الحوراني: إن غاية الغايات في الخلق ابتغاء النفع واتقاء الشر وإصابة الخير ودفع الشر.

- أمين الريحاني: غاية الحياة السعادة والسعادة هي اللذة التي يجدها كل صانع في صنعته.

- أستاذه جرجي شاهين عطية: إن الغاية من الحياة هي التعمير في هذه الأرض [3].

وهذه بعض التعاريف التي تنم عن خبرة وذوق سليم مرهف.

- من يقضي نصف أيامه مفكراً والنصف الآخر عاملاً هو

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 85.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 82.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 86.

فيلسوف... أما من يقضي كل أيامه مفكراً فهو مجنون.

- الصديق الصدوق إذا رأى فيّ عيباً ستر، وإذا أخطأت إليه غفر، وإذا قصرّت في واجباتي نحوه عذر» [1].

- إذا لم يحترمنا الناس أوجدوا لأنفسهم أعذاراً. ولكن إذا لم نحترم أنفسنا فأي عذر لنا؟ [2]

- الدنيا أم، ندوسها بالأقدام فتحملنا على الهام، نلطخ وجهها بالدماء فتغسل وجوهنا بالماء. نقذفها بالأقذار فتتفحنا بالأزهار [3].

وفي «ترويض النفس» يرى أن من العار على الإنسان أن يعجز عن ترويض نفسه بينما هو يروض الوحوش [4].

أمّا «الإحسان المقبول عند الله» فيتمثل في أن تعطي بيدك اليمنى دون أن تعرف اليسرى. فإذا نشرت الإحسان ضاع أجرك عند الله وعرّضت بكرامة الإنسان الذي أعطيته [5].

وأما «الفرق بين الكتّاب» فهو كالفرق بين الطباخين. فكلهم يشترون المواد من السوق. ولكن بعضهم يقدم طعاماً شهياً. وآخر يقدم طعاماً غير شهي [6].

وهذا تعريف رائع «للمنافق»:

- هو الذي يظهر غير ما يضمر، هو الذي يتفق معك اليوم

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 86.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 96.

(3) المطران بولس الخوري، كلمات، الجزء الثالث...، ص 107.

(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 106.

(5) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 103.

(6) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص97.

على شيء وغداً ينكر ما سبق واتفق معك عليه.

- هو الذي يخلق لك كل يوم مشكلة لكي لا تطالبه بما لك عنده من حقوق.
- هو الذي يتقرب منك لينال مأربه وبعد أن يناله يبتعد عنك.
- هو الذي يصادقك لغاية ويخاصمك لغاية.

باختصار: المنافق هو الكذّاب[1]..

وعن «الفرق بين الراحة والتعب»: تكون الراحة أثقل حملاً من التعب على أصحاب

الشعور الحي، لأنّ التعب ينسي المفكر بعض همومه بينما الراحة تذكره بهمومه. وهناك صديق أمين ينسيني الهموم وهو القلم[2].

وفي «كذبة أول نيسان» يعبّر المطران عن كرهه للتعامل مع الناس بوجهين منتقداً أصحاب الشأن العام العاملين في المجالين الاجتماعي والسياسي، خصوصاً أن المطران قد ذاق المرّ من الجانبين نتيجة وضوح مواقفه بعيداً عن المواربة، معتبراً أن الأشخاص الذين يكذبون في أول نيسان هم صادقون، لأن الناس لا يصدقونهم باعتبار انهم يكذبون كذبة أول نيسان، بينما الذين يكذبون طوال السنة هم الكذّابون الحقيقيون لأن الناس يصدقونهم وهذا ما يسبب أضراراً للكثيرين[3].

ولنسمع هذا النقد الأخلاقي الراقي:

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 87.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 88.

(3) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث....، ص 88.

يقول زيد من الناس أنه فقير ونراه يبني القصور والعلالي، ويدعي عمرو انه عالم ولم نقرأ له كتاباً. ويتظاهر بكر بالتقوى وحسن العبادة ونراه يأكل أموال الأوقاف والأرامل واليتامى. فمتى يفهم الدجالون أن أعمالهم تكذب أقوالهم[1].

إضافة إلى هذه الأمثال والحكم التي تدل على عمق النظرة ورجاحة العقل كان يصوغ أفكاره بشكل خواطر وصلوات قريبة من الشعر لسلاستها وجمال التعبير فيها ومن هذه الخواطر:

«ابعدي عني»

ابعدي عني أيتها الشراهة لأنك تورثينني السقم والألم.

ابعدي عني يا محبة الشهرة لأنك تعرضينني لانتقادات الناس الذين ينشرون السيئات ويطوون الحسنات.

ابعدي عن أيتها القيود التي ذكرتها والتي لم اذكرها. فانا أريد أن أعيش حراً ضمن دائرة حريتي الشخصية سائراً إلى الأمام سيراً حثيثاً إلى أن أدفع ما علي للأرض وأخرج منها بسلام.

ومن الصلوات:

«يا الله لا تنسَ أبناءك المعذبين في الأرض

ارحم الذين سلخوا عن أحبائهم ولا يجدون لهم عزاء

ارحم المناضلين من أجل تحقيق المثل العليا ولا تدع اليأس يتسرب إلى نفوسهم إذا فشلوا.

ارحم الذين أنعمت عليهم بخيراتك فصاروا محسودين من الآخرين

ارحم الذين كانوا يحبوننا وانقطعوا عنا ولا يعرفون مقدار

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 94.

الحزن الذي سببوه لنا.

يا الله لا تحرم أحداً نعمتي الصبر والأمل»[1]...

بالإضافة إلى كلمات أخرى متفرقة نشرت له في عدد من المجلات، كتبها حين كان رئيساً لكنيسة السوريين الأرثوذكس ومنها العبارات التالية:

– الإنسان الطمّاع: «إذا رأى كلباً ينهش عظماً يتصور أن في قلب ذلك العظم نخاعاً لذيذاً فينزع العظم من بين يدي الكلب»[2].

– وعن الفكرة الجميلة: «إذا شرحناها بقليل من الكلام تشبه قطعة السكر، إذا أذبناها في قليل من الماء فإنها تجعله حلواً. أمّا إذا أطلنا الكلام بشرح فكرة واحدة فكأننا أذبنا قطعة سكر صغيرة في برميل من الماء»[3].

وضمن فقرة «الدين المسيحي»، تظهر بوضوح النزعة الجبرانية الثائرة على الفساد الذي سببه بعض رجالات الدين، فنرى الكاتب يعرف الدين المسيحي فلسفة روحية عليا إذا أخذناه عن المسيح رأساً أما إذا أخذناه عن الرهبان فإننا لا نجده كذلك. فهو يشبه مياه النبع الصافي إذا شربتها من النبع وجدتها لذيذة وباردة. أما إذا شربتها من السواقي فلا تجدها كذلك. فاشرب من النبع واترك السواقي[4].

– إنّ الذين لا يفكرون بك إلا عند حاجتهم إليك، هم قوم لا

(1) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث... ص 86.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 90.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 90.

(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 91.

يستحقونك[1].

– الخفاش يعيش في الظلمة. والبلبل يعيش في النور. فهل يكون الخفاش أكثر طهارة من البلبل؟[2].

– إذا كنت صاعداً تذكر أنك ستنزل يوماً ما فلا يقتلك الغرور. وإذا كنت نازلاً تذكر أنك ستصعد يوماً ما فتتعزى[3].

– كل المصلحين اضطهدوا من أبناء عصرهم لأن الناس لم يستطيعوا أن يهضموا تعاليمهم. والمسيح لأنه أراد أن يرفع الناس من التمسّك بالمادة إلى مستوى روحي أعلى، لم يستطع معاصروه أن يرتفعوا إلى ذلك المستوى الروحي. والأنبياء من قبله والرسل من بعده اضطهدوا كذلك. فهل يأتي زمن ترقى فيه البشرية إلى مستوى لا يعود المصلحون فيه يضطهدون؟[4].

هذا التساؤل يهدف إلى تحريك العقول تجاه قضية قديمة جديدة ولا تزال نقطة جدل على المستوى العالمي وهي الحرية المطلقة في التفكير وإبداء الرأي من دون أن يكون هناك رقابة حذف أو تعديل لمسايرة الواقع.

وأجمل ما أختتم به "كلمات" هذه الحكمة تحت عنوان «النفس والدهر»، «ذهبت إلى سوق الصاغة ورأيت الصائغ يضع الذهب في البوتقة ويحرقه بالنار ويضربه بالمطرقة ليصوغ منه قلادة»[5] هنا نرى المطران وقد شبّه نفسه بالذهب والبوتقة الحياة والنار التجارب والمطرقة الأعداء والصائغ الدهر، مؤكداً أن كل نفس لا

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 95.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق...، ص 95.

(3) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث...، ص 101.

(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 102.

(5) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 102.

تحرق في بوتقة الدهر بمطرقة الأعداء، لا يمكنها أن تصير ذهباً صافياً تصاغ منه قلادة في عنق الإنسان.

❖ استنتاج

لا يسعنا ونحن نعرض انطباعاتنا الخاصة عن آثار هذا الأديب العزيز المعطاء إلا إن نشير إلى ناحية في نفسيته هي القدرة على التفكير والنشاط الذهني. فهو لا يذكر أمراً إلا ويذكر نقيضه. ولكن هذا لا يلغي رأيه السليم أبداً لأن النقيض الذي يذكره سيزيد في أهمية منقوضة ويقوي إيجابيته وهذا بقصدٍ مقصود من الكاتب للإحاطة والشمولية.

لقد أعلى من مقام المرأة وجعلها في رتبة كونية تقترب من الألوهية، ولكنه عاد يتحدث عنها قائلاً "فتش عن المرأة" وهذا يعني أن رأيه لا يخلو من الشك، هو يشك في تصرفاتها الآنية غير الواعية فيدعوها للرجوع إلى أصالتها ملقياً اللوم على الفتيات اللواتي يتحن المجال والفرص للعبث مع زملائهن من الشباب ممّا يقلّل من مقامهن ويبعد عنهن طالبي الزواج، وكذلك يبعد الشبان عن الزواج بغيرهن وإنشاء العائلة المسيحية السليمة المقدّسة.

فهو يدعو الفتاة إلى الرجوع لمقامها السامي الفاضل الذي كرّسته الأديان، ورب العالمين حين أوجدها لآدم كرّمها ورفع من شأنها وكذلك رفعها السيد المسيح إلى المقام الأسمى وليس هذا تناقضاً في كلام المؤلف وآرائه بل هو سعة في التفكير والإلمام ودعوة إلى الصلاح والصراط المستقيم .

ويحدونا هذا إلى القول أن للمطران بولس شخصية مجّربة وحكيمة وهذا ما يضفي على مؤلفاته قيمة علميّة تجعلها جديرة بان يطّلع عليها كل من أراد أن يتثقّف ويتنوّر في الناحية الأدبية الخلقية.

إن كتاب «كلمات» الذي يتألف من ثلاثة أجزاء يترك لدى القارئ أهم الانطباعات لا يستطاع أن يعلّق عليها بغير الإعجاب والقول أنها مدرسة تاريخية واجتماعية وأخلاقية قائمة بذاتها. خاصة عندما نقرأ الجزء المعنون «كلمات متفرقة» حيث نجد القيمة الأخلاقية إلى جانب الأمثولة والحكمة.

6 - **الفروقات بين الكنائس المسيحية**، بقلم المطران بولس الخوري، صيدا، 1 أيلول 1989.

❖ تعريف

أثناء وجود المطران الخوري في أثينا (العاصمة اليونانية) سنة 1925 كلفه البطريرك غريغوريوس حداد ببحث يتناول «الفروقات بين الكنائس المسيحية» فأنجزه المطران وأرسله إليه، لكن البطريرك لم يستطع نشره في ظل الانتداب الفرنسي، فاحتفظ به إلى أن عاد إلى دمشق سنة 1926، فأعاده إليه. ولم يتمكن المطران من نشره إلا أول أيلول سنة 1989.

وهو عبارة عن كتيب صغير، يقع في 55 صفحة من القطع الصغير ويحمل عنوان «الفروقات بين الكنائس». وقد اهدى هذا الكتيب عربون محبة واحترام وتقدير ووفاء، إلى غبطة راعي الرعاة النبيل الياس الرابع بطريرك إنطاكية وسائر المشرق.

❖ مضمون

من الطبيعي عندما يقرأ القارئ الكتاب يتأثر بسرد وقائع هذه السلسلة من الأحداث والمنازعات التي حصلت بين الكنيستين الغربية والشرقية في القرن العاشر. لان الكاتب يورد من المعطيات التاريخية الدينية الكثير الكثير. فهي القرائن والأدلة على صدق ما كان يحصل بين فريقي الكنيستين مؤيداً بها أحكامه وآراءه. فيقول: «لم يكن نزاع روما والقسطنطينية إلا نزاع عالمين: عالم

الشرق وعالم الغرب، بل نزاع مبدأين: مبدأ السيادة ومبدأ الحرية. ومن المحزن أنه كان نزاعاً بين شقيقتين من أم واحدة هي الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية»[1].

موضحاً أن البطريرك فوتيوس الكبير (الذي انتخب بطريرك القسطنطينية بدلاً من البطريرك أغناطيوس)، هو من عظماء الكنيسة الشرقية، وهو لم يسبب الانشقاق بين الكنيستين، بل ان من سببه هو بابا روما. ولم يكن بإمكان فوتيوس أن يفعل غير ما فعل، لأن القضية تتعلق بمصير الكنيسة الشرقية كلها. وأن فوتيوس وقع بين شرين: شر الانشقاق، وشر الاستعباد، فاختار أهونهما. ولو أن فوتيوس سكت عن عمل البابا لكانت الكنائس الشرقية مستعبدة لبابا روما إلى الأبد[2].

لكن هذا الموقف الذي اتخذته الكنيسة الشرقية، لم يردع باباوات روما عن التدخل في شؤون الشرق، حتى اضطر البطريرك مخائيل كيرولاويس إلى عقد مجمع القسطنطينية عام 1054، الذي وضع حداً لتدخلات بابا روما، وحكم على الكنيسة الغربية بالانفصال عن الكنيسة الشرقية، وصادق على هذه القرارات كل بطاركة الشرق[3].

غير أن القارئ سوف يتابع القراءة والتأمل مواكباً المطران في مشاعره وأحكامه ليجد أن للكنيسة الغربية مواقف قاسية وعدائية في معاملتها للكنيسة الشرقية.

---

(1) المطران بولس الخوري: الفروقات بين الكنائس المسيحية، صيدا، 1 أيلول 1989، ص 8.

(2) المطران بولس الخوري: الفروقات بين الكنائس...، ص 10.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 11.

فيعود الشماس بولس ليؤكد لنا أن الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية، هو أكبر مصيبة أصابت العالم المسيحي منذ نشأته. ومما ثبت الانشقاق وزاد العداوة بين الكنيستين أمران هما:

أولاً: دخول الصليبيين الكاثوليك كنيسة «آيا صوفيا» وهتك حرمتها الدينية وإهانة مقامها بإدخال الخيول إليها (وربطها في الأيقونسطاس)، وسفلة الناس وارتكاب الموبقات في الهيكل. ثم ذهابهم إلى إنطاكية وإقالتهم للبطريرك الأرثوذكسي، وإقامتهم بدل منه بطريركا لاتينياً.

ثانياً: كانوا ينزلون انتقامهم وظلمهم في كل أرثوذكسي يجدونه في طريقهم كأنه محسوب من المسلمين. بالإضافة إلى أنهم اندسوا في المدن والقرى السورية واللبنانية، يبثون روح التفرقة والشقاق بين المسيحيين والمسلمين، وبين المسيحيين أنفسهم، جرياً على سياسة (فرق تسد)[1].

وقد فككوا الدولة البيزنطية وأقاموا على أنقاضها مملكة لاتينية. وبقيت مملكتهم من 1204-1261 حينما حلّها مخائيل باليولوغوس، وخلال هذه المدة اضطهدوا الأرثوذكس إكليروساً وعلمانيين، وقتلوا أعداداً كبيرة من الأبرياء. وأقاموا بطريركاً وأساقفة لاتين بدل الأرثوذكسيين وأعلن بابا روما نفسه رئيساً أعلى على الكنيستين الشرقية والغربية .

ولما هدد الأتراك قياصرة بيزنطية استنجد هؤلاء بالبابا الذي كان له نفوذ كبير على ملوك أوروبا في ذلك الحين. ووعدوا البابا بإقناع الشعب الأرثوذكسي بالخضوع لسلطته. ولكن البطاركة

---

(1) المطران بولس الخوري: الفروقات بين الكنائس...، ص 11.

الأرثوذكس رفضوا الخضوع للبابا. وكان جوابهم تلك العبارة المشهورة: «عمامة محمد ولا تاج البابا»[1].

إنها في الواقع مسألة مهمة جداً عالجها المطران بولس الخوري بدقة وموضوعية ولا يسعني هنا سوى إظهار أفكاره التي كان يؤمن بها ويدافع عنها.

ويبقى في الذهن أن الحقيقة التاريخية لا تعرف إلا بالمقابلة والبحث والتركيب مع العلم أنه ليس هناك حقيقة مطلقة فيما يتعلق بالأحكام المطلقة على الأحداث التاريخية.

وفي نهاية بحثه، يتكلم عن الفروقات العقائدية، والطقسية، والإدارية بين الكنيستين الأرثوذكسية والبابوية. هذا إلى جانب ذكره للمساعي في سبيل الاتحاد بين الكنيستين.

في ما يخص الفروقات العقائدية اذكر[2]:

- الانبثاق

❖ الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية كنيسة المجامع المسكونية، تؤمن وفقاً لأقوال الإنجيل بأن الروح القدس ينبثق من الآب[3].

❖ الكنيسة البابوية قد أضافت إلى البند الثامن من هذا الميثاق كلمة و«الابن». فأصبحت العبارة هكذا: «وبالروح القدس المنبثق من الآب والإبن».

---

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 12.

(2) المطران بولس الخوري: الفروقات بين الكنائس...، 13-16.

(3) استناداً إلى قول السيد المسيح: «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله إليكم من الآب، روح الحق الذي من الآب ينبثق فيه يشهد لي». إنجيل يوحنا، إصحاح 15 عدد 26.

- المطهر[1]

❖ الكنيسة البابوية تعتقد أن الأرواح بعد الموت تذهب إلى مكان يدعى المطهر، حيث تطهر من خطاياها الصغيرة بعد أن تخضع لتعذيبات متنوعة. وبعد تطهيرها تذهب إلى الفردوس[2].

❖ الكنيسة الأرثوذكسية تعتقد أن الأرواح بعد الموت تنتظر يوم الدينونة في مكان وسط لا هو نعيم ولا هو جحيم.

- الحبل بلا دنس

❖ الكنيسة البابوية تعتقد إن القديسة حنة حبلت بالعذراء مريم بلا دنس[3].

❖ الكنيسة الأرثوذكسية تعتقد إن القديسة حنة حبلت بالعذراء مريم حبلاً طبيعياً.

---

(1) وهذه البدعة اخترعتها الكنيسة البابوية منذ القرن الثاني عشر، كما اخترعت بدعاً كثيرة حزّمتها وربطتها بشخص البابا كأنه وحده صاحب الامتيازات فيها، وهي بدعة المطهر، وبدعة فضائل القديسين وتوزيعها على المحتاجين ، معتقدة أن الصديقين يحصلون على كامل المكافأة قبل القيامة العامة والدينونة. خريسوستمس بابادوبولس: تاريخ كنيسة إنطاكية...، ص 834.

(2) الباباويون يعتقدون أن البابا له السلطة في أن يعين مدة بقاء النفس في المطهر، وذلك بموجب أوراق الغفرانات التي يشتريها الخاطئ. حتى أن له السلطة أن يعفيه من المطهر نهائياً. ويرتبط ذلك بكمية المبلغ المالي الذي يدفعه الخاطئ، ويستطيع الإنسان أن يخطئ على مدى حياته دون أن يخاف عقوبة جهنم إذا اشترى أوراق غفرانات بثمن غال.

(3) أن الكنيسة البابوية ابتدعت من مدة لا تزيد عن الأربعين سنة، واعتقدت اعتقاداً جديداً بالحبل بلا دنس بوالدة الإله مريم الدائمة بتوليتها. وهذه العقيدة لم تعرفها الكنيسة القديمة بل حاربتها. أفضل علماء اللاهوت عند الباباويين أنفسهم مثل توما الأكويني. خريسوستمس بابادوبولس: تاريخ كنيسة إنطاكية، تعريب الأسقف أستفانس حداد، منشورات النور، 1984، ص 834.

- عصمة البابا

قرر مجمع رومية في سنة 1870 عقيدة جديدة، لم يسبق لها مثيل في تاريخ الكنيسة ألا وهي عصمة البابا. أي أن البابا معصوم عن الخطأ، وقد احتج على هذا القرار المخالف للإنجيل المقدس[1] عدد من المسيحيين الغربيين. وخرجوا من الكنيسة البابوية ، وسموا أنفسهم (الكاثوليك القدامى).

ومن الفروقات الطقسية أذكر[2]:

- استعمال الفطير في سر الشكر

❖ الكنيسة الأرثوذكسية تقدس على الخمير، مؤيدة وجهة نظرها استناداً إلى عدة أمور منها: إن السيد المسيح أكل خبزاً مخمراً مع تلاميذه في العشاء السري[3]، وأن كلمة «أرطوس» اليونانية الواردة في الإنجيل تعني الخمير وليس الفطير. بالإضافة إلى أن المسيحيين القدماء كانوا يحضرون معهم إلى الكنيسة خبزاً وخمراً. وعند الانتهاء من خدمة القداس كانوا يوزعون الفضلات على الفقراء.

❖ بينما الكنيسة البابوية أو الغربية تقدس على الفطير[4].

---

(1) السيد المسيح رفض أن يقال له «أيها المعلم الصالح»، عندما سأله شاب: «ماذا أعمل أيها المعلم الصالح لأرث الحياة الأبدية؟» قال له يسوع: «لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد. وهو الله» (إنجيل لوقا، الإصحاح 18 عدد 18).

(2) المطران بولس الخوري: الفروقات بين الكنائس...،19-23.

(3) الكتاب المقدس: انجيل يوحنا، عدد 1:13.

(4) هذه البدعة الجديدة قامت الكنيسة البابوية بإدخالها في سر الشكر منذ القرن الحادي عشر. خريسوستمس بابادوبولس: تاريخ كنيسة إنطاكية...، ص833.

- المعمودية

❖ الكنيسة الأرثوذكسية تعمد بالغطس[1].

❖ الكنيسة البابوية تعمد بالرش[2].

- بتولية الإكليروس

هي ليست إلا ليستسلم الإكليروس بكليته إلى البابا، ويكون جندياً دائماً للكفاح من أجله. مع العلم أن الكنيسة القديمة لم تكن تمنع زواج الإكليروس حتى الأساقفة. فالقديس غريغوريوس اللاهوتي الكبير كان ابن أسقف. ولكن الكنيسة في ما بعد ولأسباب

---

(1) تؤكد صحة تصرفها وعدم الرجوع على التعليم الرسولي وعلى عمل كنيسة المجامع المسكونية السبعة، استناداً إلى أن الكلمتين أعمد ومعمودية تعنيان في اللغة اليونانية التغطيس وليس الرش. ووردت الآية «ولما اعتمد يسوع صعد من الماء» (متى عدد 3:16) و (مرقص عدد 1:10)، فالكلمة صعد تعني أنه نزل في الماء. هذا إلى جانب اكتشاف في روما، في سرداب القديس كليستوس صورة من القرن الثاني تمثل المسيح غاطساً في الماء، ومنتشلاً منه بيد يوحنا. كذلك في دير «دفني» قرب أثينا، أكتشفت صورة قديمة منقوشة بالفسيفساء تمثل المسيح غاطساً في الماء ومعمداً من يوحنا. والقديس باسيليوس الكبير في مقالته عن الروح القدس يقول: «بثلاث غطسات ويجب أن يكمل سر المعمودية». هذا بالإضافة أن الكنيسة القديمة لم تكن تسمح بالتعميد بالرش إلا في حالة الخطر الشديد. فإذا عاش من عمد بالرش وهو في حالة الخطر كان يمنع من سر الكهنوت. في رسالته الـ243 إلى الأساقفة الإيطاليين والأفرنسيين. خريسوستمس بابادوبولس: تاريخ كنيسة إنطاكية...، ص 832.

(2) إن الكنيسة الغربية كانت في العصور الأولى تعمد بالتغطيس، ولم تسمح بالرش إلاّ من القرن السادس عشر وما بعده. امّا سر الميرون المقدس فمحصور بالأساقفة وليس بعد المعمودية رأساً عندما يصبح الولد في سن الرشد. وليس بالميرون المقدس بل بوضع اليد. خريسوستمس بابادوبولس، المرجع السابق، ص 832.

اجتماعية، الأغلب هي بسبب الإرث، حددت أن يكون الأساقفة غير متزوجين لينصرفوا عن الاهتمامات الدنيوية إلى الاهتمامات الروحية. ويؤكد الشماس الخوري اسفه أن نتيجة البتولية الإجبارية كانت وخيمة. طبعاً استناداً إلى اطلاعه على التاريخ.

- درجة الكردينالية

إن الغربيين أضافوا إلى درجات الكهنوت الثلاث درجة جديدة سموها درجة الكردينالية. فالكاردينالات يعتبرون أمراء الكنيسة الغربية، يلبسون ثياباً مزخرفة ويديرون وزارات الفاتيكان وينتخبون البابا، وبنظره هم سياسيون اكثر مما هم كنسيون.

ويعلق الشماس بولس أن البابا يريد أن يكون ملكاً على العالم كله، فهو يعين أساقفة حيث لا يوجد أحد من أتباعه وحيث لا يوجد مسيحيون على الإطلاق.

- التماثيل

❖ الكنيسة البابوية أدخلت التماثيل دور العبادة.

❖ أما الكنيسة الأرثوذكسية فقد رفضت هذا الأمر، مستندة إلى قول السيد المسيح: «الله روح وبالروح والحق يجب أن يسجد له»[1].

وهناك فروقات طقسية أخرى منها:

❖ الكنيسة الأرثوذكسية استناداً إلى الكتاب المقدس[2] تصلي على الزيت لشفاء المرضى ولغفران الخطايا.

❖ الكنيسة البابوية تعتبر أن مسحة الزيت هي المسحة الأخيرة وتمسح بها الموتى. كذلك لا تناول الأطفال، فإذا مات طفل يموت بدون

(1) الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا، عدد 4: 5.
(2) الكتاب المقدس: يعقوب، الإصحاح 5، عدد 14: 15.

مناولة. كما أن الكنيسة البابوية لا تناول الأطفال من كأس واحدة كما يقول بولس الرسول[1]، بل كل واحد يتناول برشانة[2] الخ... كذلك الكنيسة البابوية تعتقد أن فعل الأسرار الإلهية يتوقف على شخصية الكاهن وعلى حفظ الترتيب الخارجي. فالكاهن يقول: «أنا أعمدك، أنا أكللك، أنا أمسحك». بينما الكاهن الأرثوذكسي يقول: «يعمد عبد لله، يمسح عبد لله، يكلل عبد الله...» لأن الكنيسة الأرثوذكسية تعتقد أن الفاعل في الأسرار هي النعمة الإلهية، وليس الكاهن الذي هو أداة للنعمة ليس إلاّ.

كذلك تطرق الشماس بولس إلى الفروقات الإدارية. والمقصود بها الرئاسة العليا في الكنيسة[3].

❖ فالكنيسة الأرثوذكسية تعتبر المجمع المسكوني، الرئاسة العليا للكنائس كلها[4].

❖ أمّا الكنيسة البابوية فتعتبر البابا رئيساً أعلى للكنائس كلها أي فوق المجامع المسكونية[5].

(1) رسالة بولس الأولى إلى كورونتوس رقم 10: 17.
(2) الكنيسة البابوية ابتدعتها منذ القرن التاسع ، فحرمت الشعب المناولة الكأس المقدسة خلافاً لوصية الرب، وعرف الكنيسة القديمة. خريسوستمس بابادوبولس: تاريخ كنيسة إنطاكية.... ص 833.
(3) المطران بولس الخوري: الفروقات بين الكنائس،... 24-28.
(4) الارثوذكسيون يعتبرون الباب بطريركاً على الغرب ورئيساً أعلى على كنائس الغرب التابعة له. فإذا تنازل عن الرئاسة على جميع الكنائس المسيحية في العالم، حينئذ يعتبرونه الأول بين البطاركة. وبعده يأتي بطريرك القسطنطينية. ثم البطاركة الآخرون. ويومئذ يصبح قداسته المتقدم بين متساوين.
(5) الكنيسة البابوية تبرر رئاسة البابا على الكنائس كلها. بادعائها أن البابا هو خليفة بطرس. وأن بطرس كان رئيساً على الرسل ويستندون بذلك إلى الآية الواردة في إنجيل متى، الإصحاح 16 عدد 13. أما عن حق الأولية، التي هي قضية زمنية=

وقد أختتم كتابه بأهم المساعي في سبيل الاتحاد بين الكنيستين الارثوذكسية والبابوية.

❖ استنتاج

الكتاب شيق البحث، تاريخي الموضوع، غني بما ينطوي عليه من ذكر الأحداث بشكل دقيق، فيذهب القارئ بأفكاره في مواكبة الكاتب إلى مجاهل الماضي وغياهبه، مما يحدث في النفس ارتياحا وميلا قويا إلى متابعة القراءة .

أما الأسلوب فشيق وكذلك اللغة سلسة ومتينة. وغاية المطاف أن كتاب الكنيستين له من براعة التأليف والكتابة ما لبقية مؤلفات الكاتب.

7 - **منظومات**، المطران بولس الخوري، صيدا، آذار 1975

❖ تعريف

هي مجموعة شعرية من القطع الصغير تتألف من أربع وخمسين صفحة، تضم ثلاثاً وأربعين قصيدة، سندرج ضمن المضمون بعض أبياتها. نظمها الشاعر المطران الخوري في مراحل متعددة من عمره. تضم هذه المجموعة قصائد متنوعة المواضيع والألوان التعبيرية منها: الوصف، الحكمة والوطنية والعواطف الإنسانية والفخر وأكثر ضروب الشعر، تختلف القصائد بحجمها،

= أو سياسية، فقد نشأت من مركز العاصمة، فعندما كانت روما عاصمة الغرب وكان أسقفها يجلس عن يمين الملك أو الإمبراطور، أكتسب من هذا المركز الزمني حق التقدم على غيره من أساقفة الغرب. وبالتالي عندما أصبحت القسطنطينية عاصمة الشرق وكان أسقفها يجلس عن يمين الإمبراطور أو الملك. أكتسب من هذا المركز الزمني حق التقدم على غيره من أساقفة الشرق. اما إعلان بابا روما نفسه رئيساً لدولة زمنية «الفاتيكان»، فيتعارض مع قول السيد المسيح الذي قال عن نفسه: «مملكتي ليست من هذا العالم».

منها كثيرة الأبيات ومنها قليلة الأبيات ومختصرة.

❖ مضمون

لا يستطيع الباحث في هذه القصائد إلاّ أن يرى روحاً ملتهبة وثّابة تنزع إلى الأهداف والمثل السامية. يسكبها الشاعر في قوالب شعريّة هي أوزان وقواف جميلة التنسيق بديعة في انسجامها الموسيقي، سواء كان ذلك في الوصف أو التعاطف الوطني والقومي مع القضايا الإنسانية ثم لا يسع القارئ إلا أن يعود لمطالعة الديوان مرةً ثانيةً وكأنه عطش مشتاق إلى قراءته من جديد. مما يعبّر عن الروح الوطنيّة العربيّة التي كان يحملها الشاعر بين ضلوعه حيث يبدو واضحاً وجليّاً في قصيدته مولد النبي[1]:

حيّ الرسول الذي قد عزّز العَربا
ومجده في الورى قد جاوز القُطُبا

فهو الذي لاح في الصحراء كوكبه
قد استنارت به الدنيا وما غربا

وهو الذي وحّد الفصحى وخلّدها
فصار قرآنهُ أمّاً لها وأبا

ونراه أيضاً في قصيدة يا نفوس الجدود حيث يتّقد حماساً ووطنيّة[2]:

---

(1) قالها في صيف 1949، حين حضر شقيقه الأديب والصحافي والخطيب الدكتور نسيم الخوري بعد غياب نصف قرن في الولايات المتحدة، وجرى ذكر الشعر والشعراء، فإذا بسيادة المطران يسمعنا في النبي العربي أبياتاً بليغة . هنري أبو عراج: أوراق مرجعيونية عتيقة...، ص 308.

(2) نظمها تلبية لطلب تلميذه نايف سابا، من عيتا الفخار، فانشدها في حفلة القديس يوحنا الدمشقي في دمشق عام 1926. المطران بولس الخوري: منظومات...، ص 32.

يا نفوس الجدود زوري الشآما

وأقيمي من الرموس نياما

ليُعيدوا لنا زماناً مجيداً

فيه كان السوريُّ ينحو الأماما

يا زمان الهُدى عليك سلام

من نفوس إليك تصبو هُياما

وننتقل إلى قصيدته في لبنان التي مطلعها [1]:

لبنان يا وطناً عرفتك أولا

يا مرتع الخلان إخوان الولا

في قربك العيش المنغَّص طيّب

وببُعدك العيش المنعَّم ما حلا

إن كنت تحفظ في المحبة عهدنا

عُدنا إليك كما وعدنا أو فلا

وكذلك شعوره بأهمية أبناء أمته من الشعراء والأدباء، إذ يعبّر عنها في عدد من القصائد كالقصيدة التي أنشدها في الشاعر المرحوم شبلي ملاط [2]:

سرّ شبلي بعقلهِ وبقلبه   وبحبّه لغيره ولربّه

(1) نظمها في الباخرة "بالكس" أثناء رحلة رجوعه من لبنان إلى أثينا ، وقد نشرها في جريدة «الهدية» عدد 1 و 2 تشرين الثاني 1923، تحت عنوان «رحلة طالب». المطران بولس الخوري: منظومات...، ص 29.

(2) حين كان الأب بولس الخوري، رئيساً لدير مار الياس شويا، زاره يوماً الشاعر شبلي ملاط، وكان ذلك عام 1928 فأنشده هذه الأبيات. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 28.

أنت شبلٌ وكلنا لك صخبُ   قوّة المرء في محبّة صحبه

فتحكّم بذى القلوب وتابع   خدمة العلم لا تُبال بصَعبة

ونفس تتارجح بين الياس واليقين أحياناً، يعبر عنها بقصيدة رثاء عطالله قطيني، مطلعها [1]:

هو العمر مهما طال آخرهُ القبرُ

فلا طوله يجديك نفعاً ولا القصرُ

وفي الكون أسرار يحاول حَلَّها

فتى هو في عرفي بكامله سرُّ

يجيء إلى هذي الدُنى لا مخيَّرا

ويتركها قسراً متى صدر الأمرُ

كذلك نراه في قصيدة بعنوان على قبر رفيق حيث يقول فيها [2]

رفيق انهض لقد تمّ المرامُ

وحلّ بأرض سوريّا السلامُ

قضيتَ لكي يعيش العُرب فأنظُر

شعوب العُرب قد بعثوا فقاموا

أهيل العُرب لا تنسوا رفيقاً

وأنداداً له قُتلوا فداموا

(1) نظمها بناءً على طلب من المطران ملاتيوس قطيني. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 24.

(2) هو رفيق رزق سلوم، أحد خريجي مدرسة البلمند، أستشهد مع معلمه الإمام عبد الحميد الزهراوي وكلاهما من مدينة حمص، نظمها المطران بولس عام 1918، أثناء وجوده في دير مار جرجس الحميراء. المطران بولس الخوري، منظومات...، ص 13.

ويعود إلى التنويه عما لرجال الدين الأوفياء من الفضل في التقوى، فنجده يوجه قصيدة عصماء إلى المطران مسرة يعدد فيها فضائل هذا الرجل ومحاسنه الأخلاقية[1]. اذكر منها بعض الأبيات:

المجد ملك أَبي الحجى اليقظان

خدنِ الهدى والعلم والعرفان

المجد يعرف أَهله وأجلَّهم

أَهل التقى والفضل والإحسان

هؤلاء أَبطال الشعوب ولي منَ

قتلوا الألوف بساحة الميدان

ولم يخلُ شعره من النرجسية الصوفية أحياناً فها هو ينظر إلى نفسه فيوجه إليها من الشعر القيم ما تستحقه فاليكه[2].

شاب رأس الحليم[3] قبل الأوان

وانحنى كاهلي وجفَّ جناني

وذوى ورد وجنتيَّ وغارت

فيَّ عيناي والتوت أجفاني

فرأيت السماءَ سوداءَ والأرض

جحيماً يزيد بي أَشجاني

(1) نظمها لتقديم التهنئة للمطران مسرّة، بمناسبة منحه وسام المخلص، من قبل ملك اليونان إسكندر الأول عام 1920، المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 17.

(2) نظمها في القاهرة، لأول مرة شاهد الشيب في رأسه، وعلى أثر فشله في انتخابات مطرانية جبل لبنان عام 1935. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 38.

(3) حليم اسمه قبل الرهبنة.

خلتُ في الرأس مبدأً وصلاحا

فإذا الرأس بؤرة الأدران

وحسبت الأعضاء تُصلح ما

أفسد الرأس فلم يُصب حسباني

والمطران منذ شبابه أحب العلم وتعشقه، وله فيه مواقف ووقفات وها هو في رسالة إلى الياس إسكندر من بتعبورة أرسلها من أثينا عام 1920 ومطلعها[1]:

ذكرتك يا لياس وكيف أنسى

زماناً قد قضيناه سعيدا

ذكرتك حينما فتشت حولي

ولم أرَ ذلك الخلّ الودودا

عرفت مبادئي وعرفت قصدي

وآمالي وهاتيك البنودا

وفي فصول الحياة كتب فلسفة حياتية منها[2]:

أرأيت زهر اللوز غصناً كلّلا

وعبيره الفوّاح قد ملأ الفلا

أرأيته يذوي ويترك خلفه

شيئاً إلى ثمر تراه تحوّلا

أرأيته والريح قد عصفَت به

فغدا على البطحاء يعتنق الكلا

(1) المطران بولس الخوري: منظومات، ص 19.

(2) نظمها عام 1912، أثناء وجوده في أثينا، المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 30.

وفي المال نظم قصائد منها: أيها المال[1]:

أيها المال لا عليك السلامُ

فسد الخلق مذ حواك النظامُ

أيها المال لا تريدك جيبي

وهي للكتب واليـــراع مقـامُ

إنما الناس يعبدونك حتى

إن كفرنا بك التقانا الحمام

كم أديب من الدنانير خلو

ثوبه البؤس والشقاء طعـــام

وعن الوعود في نيسان يقول[2]:

يا شقيقاً غرامـه قد لهانـي

عن غرام المحصّنات الحسان

كل يـوم أزيـد فيك غرامــاً

وسهام البعـاد تشوي جنانـي

كل يوم يقول عقلي لقلبــي

كـن صبوراً إلى حلول الأوان

(1) كان الاب بولس الخوري، يعتمد على شقيقه الأكبر نسيم، لكي يرسل له (من بوسطن) إلى أثينا مبلغاً من المال شهرياً. وحدث أن تأخرت الحوالة مرة، فارسل له هذه الأبيات، كان ذلك عام 1920. المطران بولس الخوري: منظومات،... ص 20.

(2) كان شقيقه إبراهيم وعده بإرسال مبلغ من المال في شهر نيسان ولما مضى الشهر ولم يصله المبلغ أرسل إليه هذه الأبيات. وكان ذلك عام 1920. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 13.

إنما القلب في الشدائد طفل

والرزايا تفـلُّ حـدَّ السنـان

ونقرأ من منظوماته «الاسم والرسم» التي كتبها عام 1922 المطلع التالي[1]:

نمرُّ بهذي الأرض يحملنا الجسمُ

نعيش ونقـى والفنـاء لنـا حتـمُ

ونتركها قسراً إلى غيـر عالـم

ويبقى بها من بعدنا الاسمُ والرسمُ

كما نظم الشعر على نهر الجوز وقال[2]:

يذكرني ذا النهر عهداً تقطّعا

وخير رفاق قد قضينا الصبا معا

فكنا نرود النهر حيناً لنرتوي

وحينـاً لنلقــى للتنـزّه مرتعـا

فيا نهرُ هل تدري بأنك ثابت

وأنّـا تغيّرنـا زمانــاً وموضعـا

كما نراه قد نظم بيتين من الشعر في نهر الصفا فقال[3]:

نهر الصفا هيَّجت بي أشجاني

وجعلتني أبكـي علـى أوطانـي

(1) بيتين من الشعر، كتبها الاب بولس تحت رسمه سنة 1922. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 19.

(2) نظمها على نهر الجوز، تلبية لطلب اصدقائه منهم علي ناصر الدين، وكان ذلك عام 1929، المطران بولس الخوري: منظومات، ص 14.

(3) نظمها تلبية لطلب الشيخ ابراهيم أبو حيدر، حينما كانوا مجتمعين على نهر الصفا، وكان ذلك سنة 1930، المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 15.

الماء في وديانها يجري وكَم

في سهلها للمـاء من ظمـآن

كذلك نراه قد نظم أبياتاً من الشعر بهدف المداعبة نذكر منها: اليأس[1]

إلى اليأس بي شوق وبي وجدُ

يزيدان ما دامت حياتي تمتد

يقولون إن اليأس فيه تعاسةُ

وإنَّ بأذيال الرجاء هو السعدُ

فلم أرَ هذا القول إلا مهدِّئاً

لواعج مشتاق وطال به البُعدُ

ومما قاله وفيه شيء من الشعر وحلاوته وواقعيته ومعاناته هو في قصيدة هم هم[2]:

لا ترج خيراً منهم فهم همو

أشباح من أخذوا الزعامة عنهم

زعموا بأن الله قد أوصى لهم

بزعامــة موروثــة فتزعمـوا

حكموا البلاد تعسفاً واستضعفوا

شعباً ينام على الطوى فتحكموا

(1) أرسلها إلى صديق له، من قرية كفتون يدعى الياس كرم، وكانت بينهما مراسلات شعرية، فقام ووضع الهمزة على اسمه «الياس» فصار «اليأس»، وأرسلها له على سبيل المداعبة وكان ذلك عام 1919. المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 15.

(2) ألقاها في صيدا عام 1980. المطران بولس الخوري: منظومات، ص 17؛ والمطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الثاني،... ص 56.

ثوروا على ظلامكم وارموا بهم

بطن السجون عساهم أن يندموا

يا شعب لبنان استمع هذا الندا

واقبل نصيحـة شاعـر يتألـم

مــاذا فعلت بثـورة اشعلتهـا

مات البريء بها وعاش المجـرم

وعن البيتين من الشعر اللذين أرسلهما له الأستاذ جورج أطلس[1]، على أثر نشره سلسلة مقالات تحت إمضاء مستعار هو «القسقاس»[2] وكان وقتها شماساً:

سلام لأثينا القديم ومن بها

تردّى الثيابَ السودَ في شكل شمّاس

وخاف انتقاد الحاكمين بأرضه

ففرّ إلى الغابات في ثوب قسقاس

فأجابه المطران بالأبيات التالية:

أيخشى انتقاد الحاكمين بأرضه

فتى قد تردّى ثوب قس وقسقـاس

وليس ليرعى البهم في البيد إنما

ليرعـى المؤمنـين مـن النـاس

إذا كان إنكاري لإسمـي خطيئـةً

فكل الخطايـا بعد هـذا كقدّاس

(1) هو صاحب جريدة «الاتحاد العربي» في سان باولو سنة 1921. هنري أبو عراج: أوراق مرجعيونية عتيقة...، ص 307.

(2) ومعناها الراعي الصالح الذي لا يغفل عن شيء.

من الناس مَن يهوى انزواءً ببيته

ومنهم من يهوى الخروجَ بأجراس

أما شعره الزجلي فيتميز أيضاً بنفس الروحية والنكهة الشعرية وله في الشعر العامي الكثير من المنظومات. وكان يحضر حفلات الزجل في بتعبورة التي كان يتبارى فيها القوالون أمثال مخايل صعب ويوسف بربر والياس فياض، وسنة 1935 على أثر إسقاطه في انتخابات مطرانية جبل لبنان نظم هذه الأبيات تحت عنوان «أنا والزجل»[1]:

عقلي يا إخوان حيران   في ها الدُنيا والإنسان

بيقضّيها بالأحزان   وبيختمها بالأكفان

❖ ❖ ❖

بني آدم انت مجنون   عقلك بالدنيا مفتون

بتجينا بفنون فنون   وبتنسى يوم الديان

❖ ❖ ❖

وان كنت صاحب مَبدَا   ما بتظلم ما بتتعدّا

بتسالم كل الأعدا   وبتبادلهم بالإحسان

❖ ❖ ❖

ما بتصادف اعتبار   لا من كبار ولا من صغار

بيعطوك لَقَبْ حمار   وبينفُوك من الأوطان

أما ما لم ينشره المطران من شعره في ديوانه وهو كثير، فانه محفوظ في ذاكرة أصحابه وأبناء منطقته، وكذلك نجد الكثير من

(1) نظم هذه الأبيات الزجلية عام 1935، أثناء تفشيله في انتخابات مطرانية جبل لبنان. المطران بولس الخوري: منظومات...، ص 53.

الأبيات التي كان ينظمها في مناسبات عدة، نجد داخل مؤلفاته ومنها:

قصيدة تحت عنوان «الأمل» ومطلعها[1]:

سئمت الحياة وطول الأجل

وهذا قطاري أراه وصل

كرهت الرياء وحب الظهور

وطرق النفاق وسبل الدجل

خبرت الرجال وكنت صديقاً

لمن قد تعالى ومن قد سفل

كذلك نظم قصيدة بعنوان الفيحاء ومطلعها[2]:

يا تائهاً في هذه الغبراء

متحملاً في التيه كل عناء

إن كنت تنشد في الحياة سعادة

وتريد أن تحظى بكل هناء

عرّج على لبنان فردوس الصفا

وزر الشمال وحُط في الفيحاء

❖ استنتاج

يتميز شعر المطران الخوري بالوضوح ومتانة التركيب، وقد تكون القطعة عنده أحياناً محدودة الأبيات إلا انه قد ينظم القصيدة الطويلة أيضاً.

كان من المستحسن أن يطيل الإسهاب عندما يتطلب الموضوع

(1) نظمها عندما رزق أبن شقيقه إبراهيم فهيم الخوري وزوجته رندا عزّام طفلة سميت (أمل)، المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثاني...، ص 69.

(2) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثاني...، ص 70.

التفصيل كما جاء في قطعة أيها الشعر:

أيها الشعر ما عشقت سواكا

لا لعمري ولا نويت نواكا

إنما الله قد قضى بظروف

أشغلتني بكل شيء عداكا

إذ يتوجب على الشاعر أن يشرح ببضعة أبيات يضيفها إلى البيتين الأولين الأسباب التي شغلت صاحب النظم عن الشعر، ولكننا سنبرر له هذا التقصير كما برره هو نفسه بقوله معترفاً «بأن هذا ليس شعراً بل منظومات وقد اسميته كذلك حتى لا أسيء لنفسي بادعائي الشاعرية» [1].

8 - **ضحية المبادئ الحرة و فلسفة الحياة**، بقلم المطران بولس الخوري

❖ تعريف

كتيب من الحجم الصغير يضمّ قصتين ومجموعة من أقوال الصحف والانتقادات التي تناولتها. يقع هذا الكتيب في 39 صفحة. وفيما يلي سنعرض لهاتين القصتين:

❖ ضحية المبادئ الحرة:

في خمس وعشرين صفحة كتبها في أثينا باللغة اليونانية ونشر قسماً منها في مجلته اليونانية «الأمل» عدد تشرين الأول سنة 1922، ونقلها إلى اللغة العربية، وطبعها سنة 1932 في بيروت بتوقيع (ب.خ) ثم أعاد طبعها في صيدا بتاريخ 10 أيار سنة 1976 [2].

---

(1) المطران بولس الخوري: منظومات...، ص 3.

(2) المطران بولس الخوري: ضحية المبادئ الحرة، المقدمة....، ص 2.

هي رواية متتابعة الفصول فيها دروس أخلاقية. جعل بطلها شاباً من كفرون أسماه «رفيق» ينتقل من مرحلة الطفولة الأولى إلى مدرسة القرية ثم إلى المدرسة الفرنسية فإلى الجامعة الأميركية، ويخرج عن مقاعد الدراسة إلى بحر العالم فيزجّه كاتبنا في عالم الصحافة ويشهده الحرب الكونية وويلاتها. ويعرفه إلى جمال باشا السفاح ثم ينقله إلى روما وجنيف وأثينا ويجعله ممثلاً في جامعة الأمم، بعدها يرده إلى لبنان مريضاً بداء السل تأكل العلة رئتيه ويميته.

وقد أهداها إلى الروح التي أملت عليه فحبّرت هذه الصفحات، روح الوطنية المجردة عن الأحزاب. روح المحبة لكل العالم بعد وطنه. بل روح المبادئ الحرة [1].

❖ مضمون

في موضوع «القرية»، وإلى جانب الوصف الذي يشوق القارئ للاسترسال في القراءة ليماشي «رفيق» في ترهات هذه الحياة، استطاع الكاتب أن يظهر لنا مبادئ العمل والاقتصاد والاعتماد على النفس ويبرز ذلك بقوله: «الله يساعد الفقير»، «بعرق جبينك تأكل خبزك»، «ما اعظم أعمالك يا رب كلّها بحكمة صنعت» [2]. ثلاث جمل قصيرة يرى القارئ خلالها، الحياة، حياة اللبنانيين الهادئين الديّنين الورعين. وداخل إطار «العائلة» الواحدة يظهر لنا «مبادئ العدل والتديّن والمحبة المتبادلة بين الزوجين وواجباتهما وأصول التربية، فعمل الزوج كان الاهتمام بأملاكه والاعتناء بحراثتها واستغلالها وقد أمتاز بحرية أفكاره وابتعاده عن التعصّب واحترامه لجميع الناس على اختلاف أديانهم. أما الزوجة فكان عملها

---

(1) المطران بولس الخوري، ضحية المبادئ الحرة،...، ص 3.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 5.

تدبير المنزل، وكانت تعتبر أن من أقدس واجباتها توفير أسباب السعادة لزوجها ولولدها الوحيد بنفسها[1]. ثم ينتقل إلى «مدرسة القرية» حيث يكتسب منها مبادئ التعليم الأساسية[2]. ثم تأثير الأم في ولدها حين أقنعته بأن يلتحق «بالمدرسة الفرنسية» حيث ينشأ التلامذة على مبادئ معلميهم بعدها يدخل «الجامعة الأميركية» حيث يتلقى مبادئ العلم الصحيح، وتهذيب النفس قبل التطلّع إلى تهذيب الغير[3].

ويعطينا مثلاً عن الإصلاح الحقيقي من خلال انخراط «رفيق» في المجال الصحافي وكذلك التضحيات في سبيل الوطن - «لبنان أثناء الحرب» - حين تكلم عن العناية في الزراعة والصناعة الوطنية والابتعاد عن التحدّيات السياسيّة[4].

أمّا في حديثه عن جمال باشا السفاح فأراد بذلك إظهار مبادئ الحرية والدعوة إلى نبذ العبودية ثم الاندفاع في سبيل التقدّم[5].

ولعل قصة ولادة شخصية «رفيق» وتشكلها بهذه الصفات والظروف كانت تعزية لكل لبناني عند الشدائد، فقد أجاد الأديب كل الإجادة في إظهار هذا اللون من الحياة التقية في لبنان - وما أحوجنا اليوم إلى هذا النوع من الحياة - . والأديب هو من الذين يرون في الدين كلّ تعزية وراحة[6].

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 6.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 7.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق ، ص 8 و 9.
(4) المطران بولس الخوري: ضحية المبادئ الحرة...، ص 11.
(5) المطران بولس الخوري: ضحية المبادئ الحرة...، ص 14.
(6) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 15.

أمّا في الفصل المعنون «الدير» فيقول: «الدير قطعة نفيسة في قلب كلّ لبنانيّ حقيقيّ. ألم تر الأديان، أينما توجهت، ترصّع هذه الجبال الخضراء وترنّ أجراسها في بطون الأودية فتردّد أصداء الجبال وتولد في قلب كلّ لبنانيّ حنيناً إلى الحياة المثلى التي يعجز أي قلم عن وصفها»[1].

أمّا «بعد الحرب» فهناك مبادئ الوطنية الحقّة والشعور القوميّ والطموح والترقيّ والثبات في المبدأ. في مرحلة سفره إلى جزيرة «ثيرا»، إحدى جزر اليونان، يتجلى هناك مبدأ محبة الوطن. وفي «أثينا» اتحاد الأمة تحت لواء الوطن الواحد واللغة الواحدة والدين الواحد[2]. وفي «جمعية الأمم» ظهرت المبادئ التي شاء الواضع نشرها إذ قال عن بطل قصته أنه «يحترم كل الناس على اختلاف مذاهبهم، ويعتبر الأرض وطنا لجميع الناس كما أن الإنسانية جنسيتهم جميعا». وهناك مبدآن: «الأول اتحاد الأديان والثاني نشر السلام» وهذا ما صرّح به تحت عنوان «المجمع الكنائسي» إذ قال: «وما دام الناس في هذه الأيام يفكرون في توحيد الأديان. وما دام المسيح واحداً والإنجيل واحداً والقوانين واحدة. فالعالم المسيحي ينتظر من رؤسائه أن يسعوا للاتحاد»[3].

أمّا تحت فقرة «آخر أيام رفيق» فالسرد يجعلنا نتأمل كيف ينتهي الإنسان الذي أعطى الناس اكثر مما أعطى نفسه، وكيف غدرت به الأيام فأوقعته في حالة يائسة وشقيّة حتى انه لزم وحدته فكان الناس يضعون له الطعام ويبتعدون خوفاً من عدوى المرض (السل) فيأتي هو إلى موضع الطعام ليتناوله. وفي هذه الحالة أيضاً

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 16.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 20.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 22 و23.

تعبير عن وضع اجتماعي أليم فنرى رفيقاً في آخر أيامه يترك هذا العالم، حاملاً في نفسه الكثير من الألم ضد أبنائه لأنه رأى الأقوياء والأغنياء يهضمون حقوق الضعفاء. وهؤلاء يحتالون على الحياة والكل يتمتعون بخيرات هذه الدنيا الزائلة ما عدا أصحاب المبادئ الحرة، متضرعاً إلى الله تعالى ليسامحه لأنه أضاع شبابه بنشر المبادئ البشرية فلم يدرس ولم ينشر قاموس الله المقدس، «فماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه» [1].

وهنا ينتهي الكاتب إلى التعبير عن الفكرة الأساسية التي هي التضحية في سبيل المبادئ الحرة.

❖ استنتاج

تجدر الإشارة إلى بعض التشابه بين قسم من حياة الكاتب وما عاناه بطل القصة فالعطاء والنضال والتمسّك بالمبادئ الإنسانية ثم المردود السلبي الذي قابل به المجتمع هذا العطاء وهذه التضحية هو القاسم المشترك بين الاثنين وكأن الكاتب يسقط من ذاته ومن معاناته الكثير على شخصية بطل القصة مع بعض التحوير والتغير في العناصر الثانوية لتأمين الحبكة القصصيّة.

أمّا العبارة فلا تختلف عما سبقها في الأسلوب الكتابي للمؤلف، فالروح الجياشة في تلك السطور القليلة، يحلو لكل ذي روح وطنية وإنسانية ملتهبة، وخلق كريم أن يقرأها.

- فلسفة الحياة

❖ تعريف

قصة «فلسفة الحياة»، كتبها في أواخر سنة 1926، حين

(1) المطران بولس الخوري: ضحية المبادئ الحرة،... ص 24.

كان في دمشق وقرأ في جريدة «النديم» البيروتية أنها خصصت جائزة لمن يكتب احسن قصة صغيرة فكتب هذه القصة وأرسلها إلى الجريدة المذكورة بتوقيع (جورج خوري)[1].

وهي أقصوصة في خمس صفحات تتناول قصة كاهن تقي انتقل مع عائلته المكونة من زوجة وولدين للعيش في المدينة فاختلفت عليهم الأمور وعانوا الكثير نتيجة تغيّر الوضع الاجتماعي وشعورهم بوحدة الإنسان وعزلته رغم هذه الكثرة العددية التي تحيط بهم.

وفيها أيضاً يعبر عن المآسي التي يخبئها القدر للانسان، وبنتيجة الحال العزاء الوحيد هو باللجوء إلى الله.

❖ مضمون

أمّا العبرة من فلسفة الحياة فتتلخص بأهمية القناعة وضرورتها للحفاظ على الكيان الشخصي واستمرارية وجوده. فعلى المرء أن لا يتنكّر لجذوره وأصوله، فان القرية هي القاعدة والمرتكز الأساسي لشخصيّة الإنسان واستمراريتها قبل المدينة ومغرياتها الجوفاء. فمهما أحدثت مغريات المدينة للفرد من المتعة ووفرت له من أسباب الشهرة والمجد والملذات فانّ في قريته ما هو أثمن منها وألذ.

فالقرية مآب الإنسان وبيته الأصلي وهي أيضا عشيرته وحبيبته ولسوف يخسرها إن هو دفعها ثمناً لما تعطيه المدينة من المغريات، وأنها خسارة كبرى لا تقدر بثمن.

❖ استنتاج

القصة فيها الكثير من المثاليّة والتمسّك التراثي بالقرية الأم وتجنّب الاعتدال في النظرة إلى خصائص كلّ من القرية والمدينة

(1) المطران بولس الخوري: فلسفة الحياة، المقدمة، صيدا، 10 أيار 1976، ص 2.

وفي عطاءات الاثنتين للإنسان.

أمّا الأسلوب التعبيري فواحد كما هو في سائر مؤلفاته.

9 – **عظات**، المطران بولس الخوري، يوزع مجاناً

❖ تعريف

كتاب العظات يضم عشرين عظة موّزعة على 79 صفحة من القطع الصغير، وهو كسائر كتب سيادته كان يوّزع مجاناً.

يتناول آيات بيّنات من أقوال السيد المسيح في الإنجيل فيعرضها محللاً، مناقشاً ومستشهداً بأقوال الرسل، وقد ارتجل بعضها في الكنائس، والبعض الآخر في مناسبات أخرى، وأذيع معظمها من راديو الشرق «الإذاعة اللبنانية حاليا». وجميعها نشرت في مجلة «الأرثوذكسية». وقسم كبير من مواضيعها نجده قد تناولها في كتبه السابقة كموعظة الميلاد ورأس السنة والعلاقة بين الشعب والكنيسة وغيرها.

وأهدى المطران هذا الكتاب، إلى الروح التي لطالما رافقته، إلى روح شقيقه المرحوم فهيم خوري، وقد طبعه في صيدا بتاريخ 31 آذار 1976[1].

❖ مضمون

ركّز على أن الإنجيل هو البشرى السارة التي لطالما أنتظرها الناس من يهود ووثنين أجيالا طويلة. فجاءت لتشيد ملكوت الله على الأرض ولتجدد العالم روحيا وأخلاقيا، وهذه البشرى حملها الرسل ونشروها في العالم. في البدء كانت شفوية ثم رأوا أن يثبتوها في كتب فكان من الطبيعي أن تتضمّن هذه الكتب أقوال السيد المسيح

(1) المطران بولس الخوري: عظات، صيدا، ص 2 و3.

والرسل وأعمالهم.

ويذكر أن الإنجيل كتب في الشرق وباللغة اليونانية، بلغة الكنيسة الأرثوذكسية، وأولا في إنطاكية، والدلالة على ذلك أن صوره شرقية مأخوذة عن طبيعة الشرق وعن حياته فمثلا حين يقول في مثل الزارع : «سقط بعض الزرع على الصخر وبعضه على الطريق» فهذا المثل لا ينطبق على الغرب لأن الأراضي الصالحة للزراعة في الغرب هي بعيدة عن الصخر وعن الطرقات.

والإنجيل حمل في ثناياه حقيقة الدين ولكن لا يستطيع المرء فهم هذه الحقيقة إلا إذا كانت روحه خاضعة لجسده وليس العكس، ولفهم الإنجيل يجب أن يؤخذ كوحدة لا تتجزأ لأنّ حقيقته تكمن في جميع أجزائه فالأمثلة كلها مرتبطة بعضها ببعض مثلاً:

لا نستطيع أن نفهم مثل الزارع بدون أن نقرأ مثل الزؤان وكذلك الأمر بالنسبة لمثل السامري فهو لا يكتمل إلا بمثل الفريسي والعشار والأمر نفسه بالنسبة لمثل الخروف الضال فهو لا يكتمل إلا بمثل الابن الشاطر. إذن أمثال الإنجيل كلها تؤلف مثلاً واحداً.

وقد أراد المطران رسم صورة رمزية للإنجيل مثلما يراه هو أو أراده وقد رسم الصورة على الشكل التالي:

هنا كوكب ساطع وهناك كرة آهلة وما بينهما غيوم كثيفة فالكوكب الساطع هو الإنجيل والكرة الآهلة هي الأرض، أما الغيوم الكثيفة التي تحول دون وصول نور الإنجيل إلى الأرض فهي:

غيوم محبة الذات وقد قال الإنجيل:

«لا تستطيعوا أن تخدموا سيدين الله والمال»

غيوم المجد وقد قال الإنجيل:

«من أراد أن يكون منكم عظيماً فليكن للكل خادماً».......

ثم نراه يختم عظته بتقديم النصح للجميع عن كيفية تبديد الغيوم التي تحول دون وصول نور الإنجيل إلى كل زاوية من زوايا حياتنا اليومية وذلك بالعمل الصالح والنيات السليمة [1].

وفي عظته عن نهاية العالم والدينونة تتركز فكرته على الانفصال والاتصال في الوقت نفسه فنحن كمسيحيين جزء من هذا العالم ولكننا مختلفون بالنعمة الإلهية. وهنا يصل إلى الدعوة للتخلي عن المادة والتعلق بما يخلّص المرء وهو الروح فنسمعه يقول: «إن تذكرنا نهاية العالم والدينونة يخفف كثيراً من غلوائنا ويحدّ من تهافتنا على المادة» [2].

ثم ينتقل بنا إلى موضوع آخر وهو مناسبة أحد توما مشيراً أن الرسل الذين كانوا يهوداً ماديين بعد أن حل عليهم روح القدس، أصبحوا روحيين، وصاروا أبطالا بعد أن كانوا جبناء حتى أنهم بذلوا أجسادهم في سبيل عقائدهم الجديدة، داعياً المسيحيين الاقتداء بهم خصوصاً أنهم أخذوا الروح القدس بالمعمودية، مشجعاً إياهم بأن يرتفعوا بأفكارهم عن المادة ويتجهوا نحو الله، لأن طريق الله هو الطريق الصحيح. وفيها يشير إلى أهمية الإيمان المطلق بعيداً عن الشك الذي لا يوصل الإنسان إلاّ إلى الضياع لأن مبدأ الشك طريق اليقين يعمّ على الأمور القياسية العلّمية ولا ينطبق أبداً على أمور الدين [3].

وهذه الفكرة تناولها أيضاً في عظة الإيمان حيث أوضح الفرق بين الإيمان الخالص المنزّه، والإيمان الذي يداري المصالح ويتبع الحاجات «الإيمان هو نفسية مصدرها الضمير الحي والشعور

(1) المطران بولس الخوري: عظات،صيدا، 31 آذار 1976، ص 5.

(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 15.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 19.

الداخلي بقطع النظر عن كل برهان» [1].

أمّا في أحد حاملات الطيب فنراه واعظاً مرة أخرى بأن الكنيسة الأرثوذكسية تعيد في 30 نيسان من كل سنة ليوسف التقي ولحاملات الطيب، ويوسف كان رجلاً باراً وتقياً ينتظر ملكوت الله وكان عضواً في المجلس الملي اليهودي الأعلى (السنهدري)، وهو لم يكن غريباً عن المعلم السيد المسيح بل كان من أتباعه السريين الذين كتموا إيمانهم خوفاً من أن يطرد من الجماعة. هذا بالإضافة إلى صديقه نيقوديمس.

ويوسف هو الذي دافع عن السيد المسيح أثناء محاكمته مع صديقه عندما خالفا الأعضاء السبعين في الرأي ولكن الغلبة طبعاً كما نعلم كانت للأكثرية الساحقة، وهو الوحيد الذي تجرأ وطلب من بيلاطس جثمان السيد المسيح بعد أن تشتت تلاميذه، بالرغم من معرفته بالعقوبات التي ستنزل به معرضا نفسه للعقاب فنراه يحمل الجثمان ويدفنه في قبر جديد كان قد هيأه لنفسه في بيت جميل اشتراه حديثا في أورشليم.

أمّا حاملات الطيب فهن اللواتي تبعن يسوع منذ كان يطوف في المدن والقرى داعيا إلى ملكوت الله الحقيقي، يقدمن له الأموال وهن اللواتي رافقن يسوع أثناء موكب الآلام حتى الجلجلة، وكذلك هن اللواتي أسرعن إلى القبر باكرا يحملن الطيوب ليدهن به جسد الحبيب المخلص كما يليق بالاموات، لذلك نرى أن الملاك بشرهن أولاً بقيامة الفادي وأوصاهن أن يخبرن الرسل، وكذلك هن اللواتي ظهر لهن الرب قبل أن يظهر لتلاميذه.

وهنا نرى المطران بولس الخوري وقد أراد من المؤمنين الرجال

(1) المطران بولس الخوري: عظات،...، ص 29.

أن يقتدوا بتقوى يوسف وجرأته وبما أبداه من أخلاق وكذلك أراد من المؤمنات النساء أن يفخرن بإخلاص ومحبة حاملات الطيب وأمانتهن للسيد المسيح ولتعاليمه[1].

وكذلك نراه متحدثاً في أحد العنصرة مؤكدا أنه في الوقت الذي كان السيد المسيح ينشر رسالته السماوية وتعاليمه الدينية على الشعب كان الكتبة والفريسيون يحيكون الدسائس له وذلك بمساعدة الخدم المتفقين لكي يصطادوه عند أول كلمة يعبر فيها عن نفسه: «أنا نور العالم من يتبعني لا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة».

إن نور المسيح هو النور الروحي فهو مضيء إلى الأبد يضيء الفكر الذي يقود الحياة، ومتى كان الفكر مضيئا كانت الحياة كلها مضيئة.

وإذا كان هناك أمر كبير حال دون وصول نور المسيح إلى أعماق الناس بحيث تبديد هذه الغيوم بالتضحية ونور الله لا يستطيع أن نراه إلا إذا نقينا الأنفس من الشر والقذارة خصوصا قذارة المادة، وان كل شخص يحمل بقلبه نور الله فهو يتجه نحو الحق والحياة المسيحية الصحيحة التي لا وجود للشر فيها[2].

❖ استنتاج

يحاول الكاتب في مؤلف عظات أن يخرج أقوال السيد المسيح وآياته البينات الواردة في الإنجيل المقدس ببيان جديد، يكون مؤثرا في النفوس وناقلا حكمة السيد المسيح وعظاته إلى قلوب السامعين والقارئين وقد كان المطران بولس الخوري خطيبا مفوها تظهر مقدرته

(1) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 43.
(2) المطران بولس الخوري: عظات...، ص 46.

الخطابية عندما يلقي هذه العظات في المناسبات بشكل خطابي رائع، يلقي التهيب في النفوس والاستمتاع إلى الاستزادة من سماع كلامه وبيانه الذي تظهر موهبته الخطابية على أكمل وجه.

10 - **أقوال وأمثال مأثورة**، جمعها المطران بولس الخوري، صيدا، 1982/12/22.

❖ تعريف

كتيب صغير نشره الكاتب تلبية لطلب الأصدقاء، يقع في 39 صفحة وقد تبرّعت بنفقات الطبع ابنة شقيقته فريدة بربر، وكان يوزّع مجاناً، وقد جمعها خمسين في المئة من جده ووالده، والخمسين الباقية من سائر الناس.

والغاية منها، النصح بالاستفادة مما تحوي هذه الأمثال من الحكم والنصائح[1].

❖ مضمون

إن هذه الأمثال كثيرة ومتنوعة، وفيها الطرافة المعهودة في الأمثال العربية الشعبية منها والخاصة، وهي على كثرتها قد تتناقض في الموضوع الواحد، ويقرن بعض هذه الأمثال بالتفسير والتعليق، منها:

مجموعة الأمثال الشعبية ونقتطف منها:

1 - اللي ما بتتعب عليه الأيادي ما بتحزن عليه القلوب.

2 - الناس ما بتساق بفرد عصا.

3 - ابنك لا تعلمو الدهر بعلمو.

4 - المال السايب يعلم الناس الحرام.

(1) المطران بولس الخوري: أمثال وأقوال مأثورة، صيدا، 1982، ص 5.

5 - اجى الغراب حتى يمشي مشية الحجل نسي مشيتو.

6 - طب الجرة عاتما البنت بتطلع لأمها.

7 - خذوا البنات من صدور العمات.

8 - شرط بالحقلة ولا قتال على البيدر.

9 - ارض الواطية بتشرب ماءها وماء غيرها.

10 - ما طار طير وارتفع إلاّ كما طار وقع.

11 - العنزي الجرباني ما بتشرب إلا من راس النبع.

12 - إن كنت سدان بدك تلقى وان كنت مطرقة بدك تضرب.

13 - هالشيبي مش غبرا هيدي خبره.

14 - ركبناه ورانا مد ايدو على الخرج.

15 - الفرس الأصيلة لا يعيبها جلالها.

مجموعة الأمثلة الفصيحة نقتطف منها:

1 - من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

2 - ازرع جميلاً ولو في غير موضعه
فلا يضيع جميل أينما زرع

3 - صاحب الحاجة أرعن
لا يرى إلاّ قضاها

4 - إذا أنت لم تنفع فضر فإنما
يراد الفتى كيما يضر وينفع

5 - رب من ترجو به دفع الأذى
كان يأتيك الأذى من قبله

6 - ضاقت ولما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

7 - معللتي بالوصل والموت دونه
إذا مت ظمآنا فلا نزل المطر

مجموعة الحكم الفلسفية نقتطف منها:

1 - تحابوا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب.

2 - لا تندم على ما فات.

3 - الطبع غلب التطبع.

4 - لا تكن يابساً فتكسر، ولا ليناً فتعصر.

5 - المتأخر خير من العدم.

6 - كل ضربة تصيبني ولا تقتلني هي قوة جديدة لي.

7 - كثير من العسل يضر، وقليل من السم ينفع.

8 - صديقك من صدقك لا من صدقك.

9 - لكل جواد كبوه ولكل عالم هفوة.

هذا القليل من الكثير الذي جمعه، وكان يستشهد به في أحاديثه اليومية.

كذلك الكتاب يتناول العديد من النصائح التي كان يتبعها المطران بولس الخوري، في حياته المديدة، المفعمة بالنشاط. فكان إذا سئل عن صحته، يجيبك الحمد لله، الصحة هي أساس كل شيء. وهي أثمن من كل شيء. وقد صدق من قال: «إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى». والمطران بولس الخوري، منذ أوائل الحرب العالمية الأولى وهو يتبع نظام حميّة معيّناً، مؤكداً أن المعدة بيت الداء. وعلى هذا الأساس كان يختار طعامه بنفسه، فنراه يكثر من تناول الخضر والفواكه، ويقلل من أكل اللحوم والسمن

والدهن، وبشرب كوباً أو كوبين من الماء الزلال كل صباح. بالإضافة إلى الاستحمام بعد الأكل، وعدم الخروج من الغرفة بعد الحمام مباشرة، وكان يعمل بالمثل المأثور «تغدى وتمدد تعشى وتمشى».... ولطالما كان يردد أنه هناك ثلاثة أمور ساهمت في إطالة عمره وهي:

أولاً: النظافة [1].

ثانياً: عدم تناول الطعام بين الوجبة والوجبة [2].

ثالثاً: تنظيف اللسان بالسكين [3].

ولطالما كانت نصائحه مفيدة، فعندما كنت تراه، تقول في قرارة نفسك «يخزي العين» و «دق على الخشب»، فالمطران لطالما كان بصحة جيدة، كلاماً ونطقاً وطعاماً ونكتة ودعابة وكياسة ونظراً وكل مستلزمات الصحة والعافية والهناءة.

---

(1) عام 1903 كان المطران بولس الخوري يبلغ من العمر سبع سنوات، وكان جده يكلفه دائماً أن يحمل إبريق الماء والطشت، ويسكب له الماء ليغسل يديه ولحيته بعد كل وجبة طعام. عندما سأله حليم لماذا كل هذا التعب، شرح له جده بأن فضلات الطعام تعلق في شعر الشاربين واللحية فتفوح منهما رائحة كريهة، ثم إن الشعر عموماً يحمل ميكروبات. وتجنباً لوجود الميكروبات والرائحة الكريهة على أصحاب اللحى أن يغتسلوا دائماً.

(2) أثناء وجوده في دير البلمند عام 1916 شعر بألم في بطنه، ففحصه الطبيب الأميركاني المشهور (كراهام) فأعطاه النصيحة التالية: اجعل طعامك كل يوم مرة، واحذر طعاماً قبل هضم الطعام. أي يجب أن تمتنع عن تناول الطعام بين الوجبة والوجبة أمّا السوائل فتناول منها ما تشاء".

(3) أثناء وجوده في القاهرة عام 1936 تعرف على طبيب شاب اسمه أحمد، خريج كلية القصر العيني، وفي سياق الحديث معه نصحه بأن ينظف لسانه بالسكين كلما نهض من النوم صباحاً أو بعد الظهر.

❖ استنتاج

لا نستطيع أن نأخذ هذا المؤلف بالتقويم نفسه الذي أخذت به بقية المؤلفات لأنه يختلف عنها موضوعاً وبنية، فقد اعتمد أسلوب الجاحظ القاضي باستعمال الكلام تبعاً للموقف ذلك أن «لكل مقام مقال» من هنا لجأ إلى التنويع بين العامية والفصحى فحافظ على ما للهجة واللغة من رونق خاص بكل منهما على حدة. من هنا نجد الطرافة والإعجاب بطريقة الشرح والتفسير للأمثال التي أعتمدها المؤلف في هذا الكتاب.

بهذا نكون أضأنا على كافة مؤلّفات المطران بولس الخوري من ناحية مضامينها وأساليبها ولو بلمحة موجزة. ننتقل بعدها إلى عرض إنجازاته الإنمائية في إطار مسؤولياته كراعٍ لأبرشية صور وصيدا وتوابعهما.

الفصل الخامس

إنجازاته الإنمائية على مستوى الأبرشية

كانت أبرشية صور وصيدا وتوابعهما - ولا تزال - فقيرة بأوقافها، ولكنّها غنيّة برجالها الذين رفعوا اسم لبنان والعروبة عاليا في الوطن والمهجر. وأكثر أبناء الأبرشيّة مثقفون ثقافات عالية، ومنفتحون على العالم، يعيشون بين أكثرية ساحقة من جميع الطوائف غير الأرثوذكسية بمحبة وسلام واتفاق، عملاً بالقول المأثور «الدين لله والوطن للجميع».

لذلك كان من السهل على المطران بولس الخوري الانسجام معهم والسير وإيّاهم على طريق الحركة الوطنيّة التقدميّة، وهو الذي كان يردد دائما: «إن الأرثوذكس في الوطن العربي كانوا، وما زالوا، مخلصين لوطنهم وصادقين في قوميتهم. لذلك لا نستطيع إن ننسى المواقف الوطنية والعربية لبعض الرجالات المهمين أمثال المثلث الرحمة البطريرك غريغوريوس حداد»[1] ...

وبالرغم من صعوبة الظروف التي تسلم فيها أبرشيّته، سعى المطران بولس الخوري إلى تنظيم شؤونها وإيجاد أوقاف تغطّي بإيراداتها معاشات الكهنة، وفتح المدارس وترميم الكنائس ودور المطرانيات وغيرها من الأمور. ومسيرته الإنمائية ابتدأت منذ توليه الولاية وللأمانة، نراه قد نشر في مجلته الأرثوذكسية، وفي الأعداد

(1) المطران بولس الخوري: من ذكريات .... ص 11.

كل أسماء الذين تبرعوا للمشاريع الإنمائية مع رقم المبلغ. من هذه الأعمال نذكر:

1 - ترميم الكنائس

❖ ترميم كنيسة مار جاورجيوس في جديدة مرجعيون سنة 1948 [1]، إلى جانب إصلاح دار المطرانية

(1) كما جرى ترميمها على عهد سيادة المتروبوليت الياس كفوري عام 1995، وقد ورد أن هذه الكنيسة قديمة العهد. بناها أهالي جديدة مرجعيون أو على الأقل جددوا بنائها القديم عام 1860، بمشاركة جميع أبناء البلدة، ويروى عن الخوري سليمان الخوري، من بلدة جديدة مرجعيون، أنه حمل حجراً ضخماً على ظهره ليضعه في الزاوية الشمالية الشرقية في مكان عالٍ، فزلت قدمه وهوى على الأرض فانكسرت رجله، غير أنه تمالك نفسه واحتمل الألم ووقف ثانية ووضع الحجر في مكانه المعد. وحين وفاته وضعت عصاه في هيكل الكنيسة في مكان رطب ومع الأيام شعر الناس أن العصا قد اخضرت وأن أوراقاً تفتحت على جنباتها. الأب فيليب حبيب العقلة: عن مركز أبرشية مرجعيون للروم الأرثوذكس، مقابلة أجريت معه، تاريخ 25 تموز 2003؛ وهو من بلدة غصم السورية. ولد في 1970/4/4 في الأشرفية - لبنان - والده حبيب العقله، والدته مريم شديد. انتقل في سن السابعة مع عائلته إلى موطنه سوريا، تلقى علومه الابتدائية في مدرسة ابي زيد الأنصاري في دمشق أما علومه الثانوية فكانت في مدرسة العناية للبنين باب شرقي الدويلعة. وهو الذي نشأ ضمن عائلة مسيحية متواضعة تأسست على الايمان والمحبة، نرى ان حبه للكهنوت بدأ يظهر منذ عرف قراءة الكتاب المقدس وفهم معانيه. فقد غُمر قلبه بحب السيد المسيح وادرك حقيقة ما فعله من اجله وتمنى لو يستطيع ان يكون خادماً له. منذ الصف الحادي عشر كان عضواً في جوقة الترتيل (مار الياس الحي) باب شرقي في الدويلعة ومرشد طفولة وأمين سر الكشاف. التحق عام 1990 بجامعة دمشق، كلية الحقوق، في هذه الأثناء كان يرتاد الدار البطريركية بين الحين والآخر، وهو في السنة الجامعية الثالثة التقى الوكيل البطريركي آنذاك المطران الياس كفوري وشرح له رغبته في الانتماء للكهنوت، فما كان من المطران كفوري إلا ان اخذه لمقابلة غبطة البطريرك الذي نصحه بالعودة لاتمام دراسته الجامعية لأن رغبة المجمع الانطاكي المقدس كانت تقوم على شرطنة الاشخاص بالاضافة إلى دراستهم=

سنة 1964 [1]، وبناء خمسة مساكن، بهدف تأمين موارد للكهنة، وطبعاً كل ذلك بأموال المؤمنين من أبناء الأبرشية المقيمين في البلدة وخارجها [2].

❖ ترميم كنيسة القديس مار جاورجيوس في بلدة برج الملوك (تسمى أيضاً الخربة) سنة 1953 [3]، التي تهدمت سنة 1941، وساهم رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك الشيخ بشارة الخوري، بالتبرع بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة لبنانية، مساهمة منه في عملية

=الكهنوتية يجب ان يكونوا على مستوى عال من التحصيل العلمي، سيم عام 1996 ابيوذياكون في كنيسة السيدة في راشيا الوادي من قبل المطران الياس كفوري، ثم شماساً انجيلياً في 1997/7/5 في كنيسة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس في جديدة مرجعيون. ارسله المطران كفوري عام 1998 إلى مركز اعداد الكهنة في بيروت - المكلس - التابع لابرشية جبل لبنان فبقي فيه مدة ثلاث سنوات. سامه راعي الابرشية المطران كفوري في 25 آب 2001 كاهناً في كنيسة القديس جاورجيوس، جديدة مرجعيون ليمارس مع خدمته في الكنيسة مهنة التعليم الديني في المدرسة الارثوذكسية التابعة لراعي الابرشية هذا بالاضافة إلى تعليم مادة العلوم الاجتماعية منذ 1999/10/1 وحتى تاريخه. الاب فيليب هو عضو في اللجنة التابعة لمجلس كنائس الشرق الأوسط في الجنوب، من اهتماماته «البحث التاريخي» وهو متزوج من اللبنانية الأصل كاترينه اميل الطيار وله ولدان.

(1) المعلومات محفورة على بلاطة فوق كل من الكنيسة ودار المطرانية.

(2) جمع هذه الأموال، أثناء زيارته لتفقد أبناء رعيته سنة 1964، في كل من أميركا الشمالية والجنوبية، كندا والمكسيك. المطران بولس الخوري: من ذكريات ....، ص11.

(3) كما جرت إعادة ترميمها على عهد المطران الياس كفوري سنة 1995، إلى جانب بناء منزل للكاهن وقاعة الاحتفالات الدينية. ويعود تاريخ بنائها إلى عام 1903. الاب نايف أسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا وتوابعهما للروم الأرثوذكس، بيروت، لبنان، ص 106؛ والأب فيليب حبيب العقلة، مقابلة أجريت معه، تاريخ 15 أيار 2002.

الترميم[1].

❖ ترميم كنيسة القديس جاورجيوس في بلدة الخيام، سنة 1953[2].

❖ ترميم كنيسة مار نقولا صيدا[3]، وبتحويلها من التراب إلى الباطون. كما قام بترميم المطرانية التابعة لها، بتحويلها إلى باطون عام[4] 1951. طبعاً بمساعدة أبناء الأبرشية المغتربين[5].

❖ ترميم كنيسة مار توما[6] في صور سنة 1958، بالإضافة إلى

---

(1) وثيقة رقم (2).

(2) رممت الكنيسة بالأموال التي تبرع بها المغترب أديب الجلبوط من بلدة الخيام، ويعود تاريخ بنائها إلى سنة 1913. الأب نايف أسطفان، المرجع السابق، ص 107؛ والمطران بولس الخوري: أخبار الشهر، مجلة الأرثوذكسية، السنة الثالثة، العدد الأول، كانون الثاني 1953، جديدة مرجعيون، ص 28.

(3) وهي قديمة العهد وموقعها في صيدا القديمة حيث الأسواق الضيقة والحارات المكتظة بالسكان. ومن الروايات أن الكنيسة بنيت في المكان الذي استراح فيه السيّد المسيح أثناء زيارته مدينة صيدا. هذه الكنيسة تمّ تقسيمها إلى قسمين قسم للأرثوذكس والآخر للكاثوليك بحضور زخريا مطران عكار على زمن البطريرك الإنطاكي سيرافيم. وما زال الحائط قائماً في وسطها حتى يومنا. وتمتاز هذه الكنيسة بأيقوناتها التي ترقى إلى المدرسة الحلبيّة. الأب نايف إبراهيم أسطفان، المرجع السابق، ص 101.

(4) كما جرت اعادة ترميمها على عهد المطران الياس كفوري، الأب فيليب حبيب العقلة، مقابلة اجريت معه، تاريخ 15 ايار 2002.

(5) الأرشمندريت جوزيف جبيلي، مقابلة أجريت معه، تاريخ 13 تشرين الأول 1993، عن مركز أبرشية الروم الأرثوذكس في صيدا.

(6) وهي مبنية عام 1862 على أنقاض كنيسة قديمة العهد وفيها تقام الخدمة للرعيّة ويقوم فوقها دار المطرانية. الأب نايف أسطفان: تاريخ أبرشية صور...، ص 102.

إصلاح دار المطرانية[1] بعد إخلاء المستأجر. وبناء عدد من المساكن.

❖ ترميم كنيسة القديس مار الياس البويضة – جديدة مرجعيون – سنة 1993، الى جانب بناء عدد من المساكن بهدف تأمين موارد لنشاطات الرعية الروحية والاجتماعية والثقافية والتربوية[2].

❖ ترميم كنيسة القديس جاورجيوس[3] المحيدثة – قضاء راشيا الوادي[4].

2 - بيع وشراء عقارات تخص الأبرشية

❖ قام بشراء قطعتي أرض في حاصبيا وضمّهما للوقف[5].

❖ باع قطعة أرض في حاصبيا، تخص المدرسة الارثوذكسية، بتاريخ 22 تشرين الثاني 1969[6]، ليشتري بدلاً منها قطعة أرض في منطقة جديدة مرجعيون وقام بزرعها بأشجار الزيتون وهي تعرف لليوم باسم بستان الزيتون[7].

❖ باع قطعة أرض تابعة لوقف كنيسة مار جرجس في قرية أبو قمحة التابعة لولايته في 11 أيلول 1974[8].

---

(1) كما جرت إعادة ترميمها على عهد المطران الياس كفوري، سنة 2001. المطران الياس كفوري، مقابلة أجريت معه، تاريخ 17 تشرين الأول 2003.

(2) كما جرت اعادة ترميمها على عهد المطران الياس كفوري سنة 1995، الى جانب بناء مسكنين احدهما لكاهن الرعية والآخر للايجار. الاب فيليب حبيب العقله، مقابلة اجريت معه تاريخ 15 اب 2004.

(3) يعود بناؤها إلى منتصف القرن الماضي. الأب نايف أسطفان: تاريخ أبرشية صور... ص 121.

(4) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران... ص 13.

(5) وثيقة رقم (3).

(6) وثيقة رقم (4)

(7) وثيقة رقم (5).

(8) وثيقة رقم (6).

3 - تنظيم أملاك الأبرشية، والعمل على فتح مدارس جديدة

❖ نظم أملاك الأبرشية كما استحصل على سندات ملكّية تخصّ طائفة الروم الأرثوذكس، مشيراً إلى ذلك بكلامه: «وكل هذه الأملاك سجلت في الدوائر العقاريّة باسم الوقف. أمّا أنا فلا أملك شيئاً من حطام الدنيا وينطبق علي قول السيد المسيح: «ليس لابن الإنسان حجر يسند إليه رأسه»[1].

❖ وهو الإنسان المحب للمعرفة والعلم والرافض للجهل، الحريص على أن يؤمن مقعداً لكل طالب علم، لهذا السبب قام بفتح مدارس جديدة في حاصبيا وراشيا الوادي وراشيا الفخار وأبو قمحة مع الإبقاء على المدارس القديمة[2].

❖ أما في مرجعيون فاسترجع «المدرسة الأرثوذكسية»[3] من الطائفة الإنجيلية بعد أن كان سلفه المطران أبو رجيلي قد أعطاهم إيّاها بموجب اتفاقيّة وطبعاً المهمّة لم تكن سهلة، فقد ساعده على ذلك عدد من أبناء الأبرشية المحبين والمصلحين. والمدرسة تقع في الطابق الأول من دار المطرانية، ولم تزل أبوابها مفتوحة حتى الآن. وهي تحت

---

(1) المطران بولس الخوري: «تقرير مرفوع إلى المجمع المقدس»، صيدا، 24 آب 1981، ص 1.

(2) المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران...، ص 12.

(3) مرت المدرسة «الأرثوذكسية» بمراحل عدة، منذ تأسيسها قبيل الحرب العالمية الأولى، وقد بناها أهالي جديدة مرجعيون على نفقتهم الخاصة، وكانوا يدعونها بالمسكوبية، لأن الدولة القيصرية الروسية كانت تتبرع بالأموال للهيئة التعليمية هذا بالإضافة إلى تقديمها الكتب والقرطاسية للطلاب مجاناً، وكان أساتذتها من أهالي بلدة مرجعيون، أقفلت المدرسة أبوابها بعد دخول الدولة التركية الحرب إلى جانب ألمانيا واستعملت البناء مدرسة لها حتى تشرين الثاني 1918. ثم ما لبث ان استؤنف التعليم فيها عام 1919 برعاية الايكونوموس خليل هزار، لأنه في ذلك الحين لم يكن للطائفة الأرثوذكسية مطرانها الخاص، ثم تعطلت= عن التدريس عام 1920 بسبب الثورة العربية، وعندما هدأت الاحوال في البلاد عادت المدرسة الأرثوذكسية لتستأنف عملها التدريسي تحت رعاية المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي (البطريرك فيما بعد)، لكنها عادت وأقفلت عام 1925 بسبب الثورة الوطنية في سوريا، والتي طالت أحداثها وادي التيم ومرجعيون ثم واصلت المدرسة «الأرثوذكسية» عملها عام 1926، ولم تزل حتى اليوم. وتناوب على إدارتها عدد من المدراء أذكر منهم نعوم قربان وجورج نده حتى عام 1933، ونائب المطران آنذاك ديدنسيوس عبود لغاية 1937، وفي عام 1938 تولى إدارتها الأستاذ شوقي الحداد، لغاية عام 1946، حيث جرى اتحاد الكلية الأرثوذكسية (وهو اسمها في ذلك الحين) مع مدارس المرج الإنجيلية العالية التي كان مديرها القس حردان الخوري، وذلك بمسعى من المطران ثيودوسيوس والأستاذ فضلو الحوراني عميد «الطائفة الإنجيلية» في مرجعيون وأطلق عليها اسم "كلية مرجعيون الوطنية" وفي عام 1948، تسلّم إدارتها الأستاذ لبيب غلمية، ثم تلاه المربي الاستاذ موريس دبغي، صاحب المزايا الحميدة، وهنا اريد ان اذكر ان الاستاذ موريس لكثرة تشجيعه للعلم والمتعلمين اضطر اثناء الاحتلال الاسرائيلي للجنوب وتعرض مدرسته للقصف ان نقل طلابه إلى سجن مرجعيون الواقع في حي السرايا وذلك تفادياً الحاق اي ضرر بتلاميذته. أما "الكلية الأرثوذكسية" التي ذابت في هذا الاتحاد فعاد وافتتحها سيادة المطران بولس الخوري كمدرسة ابتدائية مجانية لعدة سنوات، ثم توقفت بسبب حرب 1976، فأعيد افتتاحها عام 1985 كدار للحضانة والروضة والابتدائي، وسلم إدارتها للاب طوني الحداد، وكان المطران بولس يطلب المساعدة من مجلس كنائس الشرق الأوسط، الذي كان يمده بجميع أنواع المساعدات (أموال، ترميم...) بعد وفاة المطران بولس الخوري، توقفت لفترة قصيرة جداً، وذلك بسبب عملية نقل الرخصة لاسم المطران الجديد الياس كفوري تحت اسم جديد «المدرسة الأرثوذكسية المتوسطة»، وهو يشرف على ادارتها. ابتدأت المدرسة بـ 25 تلميذاً واليوم تستوعب حوالي 400 تلميذ من جميع الطوائف، وهي مدرسة شبه مجانية. قدس الأب فيليب حبيب العقله، مقابلة أجريت معه بتاريخ 13 كانون الأول 2003؛ وثيقة رقم (7).

رعاية خلفه صاحب السيادة المتروبوليت الياس كفوري[1]، وهي صرح تربوي مشرّع للجميع وليس لأبناء الطائفة فحسب[2].

(1) هو الياس بن موسى كفوري، ولد في بلدة شرين في قضاء المتن الشمالي سنة 1948، تلقى علومه الابتدائية في مدرسة البلدة ومدرسة المحيدثة في بكفيا. التحق بدير سيدة البلمند عام 1962، حيث أنهى المرحلة الثانوية، لبس الثوب الاكليريكي سنة 1965، ثم التحق بمعهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي في البلمند، فتخرج منه عام 1975حاملاً شهادة اللاهوت. سيم شماساً إنجيليا في البلمند سنة 1974 وكاهناً سنة 1978 على يد المثلث الرحمات البطريرك الياس الرابع، فخدم ولمدة سنتين في سويسرا. رقاه البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم سنة 1982 إلى رتبة ارشمندريت في دير سيدة صيدنايا البطريركي. بعد ذلك التحق بالدار البطريركية في دمشق، فتسلم إدارة القسم الابتدائي في مدرسة الآسية الأرثوذكسية وفيها علّم الديانة المسيحية واللغة الإنكليزية في المرحلتين الإعدادية والثانوية . تابع دورات لاهوتية وشارك في مؤتمرات عدّة في مجلس الكنائس العالمي، كما كان عضواً في اللجنة المركزية لمجلس كنائس الشرق الأوسط. انتخب وكيلاً بطريركياً سنة 1984، فكان معاوناً وممثلاً لغبطة البطريرك أغناطيوس الرابع هزيم، وظل في هذا المنصب حتى تاريخ انتخابه مطراناً على أبرشية صور وصيدا وتوابعهما، وذلك في الرابع من شهر تموز 1995 اثر وفاة راعي الأبرشية المثلث الرحمات المطران بولس الخوري. صاحب السيادة مدرسة في الموسيقى البيزنطية التي يتقن أصولها ومارس تعليمها، مبدع في إنشاد التراتيل الكنسية البيزنطية، أنشأ جوقة القديس أغناطيوس المتوشح بالله التي تخدم في الكاتدرائية المريمية في دمشق، يتقن اللغات الفرنسية والإنكليزية واليونانية. وقد سعى سيادة المطران الياس كفوري منذ تسلمه زمام أبرشيته إلى تحسن أوضاع الكنيسة فيها من النواحي الدينية والرعائية والعمرانية، فأنشأ الجوقات في عدد من الرعايا، وقام بترميم عدد من المطرانيات والكنائس وذلك بمساعدة مجلس الجنوب ومجلس الكنائس، هذا بالاضافة الى جمعه التبرعات من مختلف الابرشيات في الوطن وخارجه بعد معركة عناقيد الغضب، من أعماله أيضاً وضع دراسة لعدة مشاريع زارعية وعمرانية، في الجنوب والبقاع، والتفكير ببناء أكثر من مدرسة مهنية وثانوية في البقاع ومرجعيون. المطران الياس كفوري، مقابلة أجريت معه، تاريخ 3 تشرين الأول 2003.

(2) المطران بولس الخوري: المدرسة الأرثوذكسية، مجلة الأرثوذكسية، السنة الثالثة، العدد السادس، 1953، ص 23.

❖ اهتم بالتعليم الدينيّ فكان وحده المعلّم والواعظ في الأبرشيّة لندرة الكهنة المثقفين، لذلك نراه يتكلم في المآتم والأعراس والعمادات والمدارس[1]..

4 - سيامته عدد من الكهنة

❖ رسم عدداً من الكهنة نذكر منهم قدس الارشمندريت مكاريوس طيار[2] والخوري يوحنا ذيب[3].

(1) المطران بولس الخوري: للمذكرات...، ص1، و المطران بولس الخوري: «تقرير مرفوع إلى المجمع المقدس»، صيدا، 24 آب 1981، ص 1.

(2) هو مكاريوس شكري الطيار، ولد سنة 1927 في قرية جديدة مرجعيون، تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة البلدة، كان لديه ولع في الموسيقى منذ صغره، فنراه يتقنها سماعية، حبه للسلك الكهنوتي ظهر وهو في سن مبكرة، فأنشأ كنيسة صغيرة ضمن جدران بيته للصلاة. وبسبب العلاقة الجيدة التي كانت تربط الأهل مع المطران أبو رجيلي، مطران صور وصيدا وتوابعهما آنذاك، تمّ إرساله إلى دير البلمند سنة 1945 لتلقي العلوم، فبقي فيه 5 سنوات سيم خلالها مبتدئاً، سيم شماساً إنجيلياً سنة 1950 بتكليف من المطران بولس الخوري، وبعدها بسنة أي عام 1951 وبتكليف أيضاً من المطران بولس الخوري سيم كاهناً، ثم أرشمندريتاً وذلك سنة 1954، بعدها عينه المطران بولس الخوري مديراً لمدرسة راشيا الوادي وراعياً لكنيسة مار نقولا فيها، حيث بقي معززاً مكرماً. سافر 1965 إلى روسيا لتلقي العلم، فدخل معهد القديس سرجيوس ، فمكث فيه 9 سنوات 1971-1978، عينه البطريرك الياس الرابع معتمداً بطريركياً لمدة سبع سنوات، أرسله سنة 1981 المطران بولس الخوري إلى دير الحميراء في سوريا، وذلك تلبية لطلب المطران أبو رجيلي وذلك بعد اعتلائه العرش البطريركي، وهو حائز على شهادتي ماجستير الاولى نالها سنة 1968، وهي تحت عنوان "تاريخ كنيسة الهند السريانية" ، والثانية نالها سنة 1981، وهي بعنوان «تاريخ الكنيسة الإنطاكية»، ثم انتقل بصورة نهائية إلى دير مار جرجس الحميراء. أمّا الآن فقد انتقل بسبب تقدمه بالسن إلى جديدة مرجعيون مسقط رأسه، لرغبة في نفسه، لكي يعيش ضمن عائلته. مقابلة مع الأرشمندريت مكاريوس طيار، أجريت بتاريخ 7 تشرين الأول 2003.

(3) هو يوحنا نقولا ديب، وارث الكهنوت عن والده وجده، ولد سنة 1924 في بلدة برج الملوك الجنوبية، تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة الروم الكاثوليك في=

❖ كما سعى إلى إيجاد مدرسة إكليريكيّة تهدف إلى إعداد كهنة مثقفّين يستطيعون أن يعلّموا في مدارس الأبرشية فيتقاضوا أجراً عن التعليم بالإضافة إلى ما يحصلون عليه مقابل خدماتهم في الكهنوت[1].

❖ أصدر مجلة «الأرثوذكسية» لتكون صلة وصل بين المقيمين والمغتربين، ولنشر بعض العظات الدينية والمقالات الأدبية[2].

=جديدة مرجعيون، التحق بالمدرسة الاكليريكية الكاثوليكية في عين تريز، في رشميا لتلبية رغبة في نفسه، في أن يصبح راهباً، ولكن بسبب رفض الأهل لهذه الفكرة لأنه الولد الوحيد الذكر في العائلة، وبسبب خلافه مع إدارة المدرسة رجع إلى دياره. بعد أن تزوج وأصبح رباً لعائلة من ثلاثة أطفال، غيّر طائفته ولجأ إلى طائفة الروم الأرثوذكس في جديدة مرجعيون، فاحتضنه المطران بولس الخوري، الذي سامه سنة 1960 مبتدئاً، وفي سنة 1963 شماساً إنجيلياً، ثم سامه سنة 1965 كاهناً. وعينه وكيلاً رسمياً له، بالإضافة إلى إعطائه حق التقدم على الكهنة. قام بالخدمة في جميع مراكز أبرشية صور وصيدا وتوابعهما. كرّمه مرتين المطران الحالي الياس كفوري، ومنحه أيقونة «الصليب المقدس»، وهو حالياً وبسبب تقدمه بالسن يقوم على خدمة رعية جديدة مرجعيون فحسب. الأب يوحنا نقولا ديب، مقابلة أجريت معه، تاريخ 7 تشرين الأول 2003.

(1) الأب نايف أسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا...، ص 76.

(2) لمزيد من المعلومات، راجع فقرة تحت عنوان «قصته مع الصحافة»، الموجودة ضمن صفحات هذه الرسالة. هذا وكانت توزع أعداد هذه المجلة على رعايا الأبرشية وبعض الأبرشيات الانطاكية وفي المغتربات بواسطة وكلاء يتولون توزيعها. وهم: الأرشمندريت اندراوس يوسف في حاصبيا، الخوري مكاريوس الطيار في راشيا الوادي، السيد لافي الجمل في دير ميماس، الأرشمندريت اندراوس بردويل في صور بالإضافة إلى المطران بولس الخوري في مرجعيون. امّا في الأبرشيات الأنطاكية فقد كان لها وكلاء في اللاذقية وأدلب وحلب، وفي الخارج فكان لها وكلاء في مصر والمكسيك وكندا والبرازيل والولايات المتحدة الأميركية. الأب نايف أسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا وتوابعهما للروم الأرثوذكس، المطبعة البولسية، جونية، لبنان، ص 77.

❖ ألغى بعض العادات الشعبية نذكر منها: عادة ما يسمى بـ «النورية»، وعوضاً عنها أوجب على الأوقاف وضع مبالغ رمزيّة (حسب وضع كل بلدة)[1]. والنورية هو أن يقوم سيادة المطران بزيارة رعاياه يرافقه كاهن برتبة أرشمندريت وشماس وقواص يحمل (عصا أو عكاز المطران)، خلال الزيارة يقدمون له ما يسمى بمفهوم الكنيسة عشور المؤمنين. وقد حافظ على تقاليد الأبرشية بإقامة القداديس بمناسبة الأعياد في المدن والبلدات التابعة لأبرشيّته[2].

وبالرغم من غيابه عن المنطقة من 18 تشرين الأول 1976، لم ينقطع عن أبناء أبرشيته بل حافظ على التواصل معهم. وساعده في

---

(1) هي كانت تشكل مصدر الإيرادات في الأبرشية، وكانت تجمع على الشكل التالي: في راشيا الوادي وقضائها من (العنصرة إلى تشرين الثاني)، صور في (رأس السنة والغطاس)، في صيدا (أثناء عيد الميلاد)، حاصبيا بعد (عيد الفصح)، أما في مرجعيون وسائر المناطق الأخرى فكانت تجمع (صيفاً). المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران، صيدا، 1990، ص 13؛ والأب نايف اسطفان: المصدر السابق، ص 90.

(2) يقضي التقليد بأن يترأس راعي الأبرشية الخدمة في الشعانين والجناز واثنين الباعوث في جديدة مرجعيون، وأحد حاملات الطيب في دير ميماس، وعيد مار الياس في البويضة، والاحد الجديد في ابل السقي، وأحد الفصح في حاصبيا وكذلك الجناز بعد الخدمة في جديدة مرجعيون، وعيد مار جرجس على الحساب الشرقي في 6 ايار في أبو قمحة، وعيد مار مخائيل في عين قنية وخميس الصعود في ميمس ، وأحد العنصرة في الكفير وعيد نياح السيدة في 15 آب في كنيسة السيدة في راشيا الوادي، وعيد مار الياس (حساب غربي) في كفرمشكي وعيد مار مخائيل في عيحا، ومار جرجس على الحساب الشرقي في ظهر الأحمر وعيد الغطاس في صور. الأب نايف أبراهيم اسطفان: المصدر السابق، ص 90-91؛ الاب فيليب حبيب عقلة، مقابلة اجريت معه، بتاريخ 27 آب 2002.

إتمام الواجبات الأسقفان أثناسيوس صليبا[1] .

(1) هو أديب صليبا، ولد سنة 1920، في بلدة أبو ميزين، الشوير، تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة الضيعة، وفي عام 1937 دخل إلى دير القديس الياس في ضهور الشوير عام 1937، فسيم مبتدئاً في 20 تموز 1938، وذلك بتكليف من غبطة المثلث الرحمات الكسندروس طحان، وسمي أثناسيوس، ثم أرسله البطريرك الكسندروس إلى معهد البلمند عام 1938، حيث درس مدة ثلاث سنوات، وبسبب اقفال معهد البلمند بسبب الحرب العالمية الأولى، أرسله البطريرك إلى كلية الآسية في دمشق، فمكث فيها سنة كاملة، بعدها دخل الكلية الأرثوذكسية في حمص تحت رعاية المتروبوليت الكسندروس جحا، فنال شهادة البروفيه والبكالوريا بجزئيها الأول والثاني، وقد علّم المبتدىء أثناسيوس مبادىء الصرف والنحو والأدب العربي والتعاليم الدينية في كليتي الشباب والبنات لمدة ثلاث سنوات. سيم شماساً إنجيلياً عام 1946، على يد المتروبوليت الكسندروس جحا، بعدها سافر الشماس اثناسيوس في تشرين الثاني 1947 إلى باريس، ودخل معهد القديس سرجيوس الروسي الأرثوذكسي، وهناك درس اللاهوت باللغة الروسية لمدة أربع سنوات. وفي أيلول 1951 سافر إلى الولايات المتحدة، لتلقي العلوم فحصل على شهادة BA في الفلسفة من جامعة بتسبرغ، وشهادة MAT في التربية والادب الفرنسي من جامعة رود ايلندا، وشهادة ML في الادب الاميركي، عام 1956 سيم كاهناً، وبينما هو يخدم رعية السيدة في بوتكت رود ايلند، تابع دراسته في جامعتها فحصل على CAGS في التربية وادارة المدارس، هذا بالاضافة الى قيامه بواجباته الرعائية، فقد أحتل الارشمندريت مناصب متعددة منها: عينه المتروبوليت بشير وكيلاً له في ولاية بنسلفانيا وأوهايو عام 1956، وفي سنة 1957، انتخب رئيس مجلس الكنائس الارثوذكسية في ديترويت ميشغن، وعام 1962 عين من قبل المطران بشير مرشداً روحياً لجمعيات الشباب في منطقة نيو انكلند، وانتخب في السنة نفسها رئيساً لمجلس الكنائس الأرثوذكسية في ولاية رود ايلند، وعام 1965 خدم كعضو في اللجنة التي تشرف على برامج مدارس التعليم الديني في الأبرشية الإنطاكية الأرثوذكسية في أميركا الشمالية، كذلك اسند إليه رئاسة اللجنة المختلطة للروم الأرثوذكس=

وأستيفانوس حداد[1]، اللذان لم يستمرا إلا لمدة قصيرة.

=والروم الكاثوليك في أميركا الشمالية،... انتخب أسقفاً في 5 تشرين الثاني 1979، بالإضافة إلى ما ذكر فقد خدم الأسقف اثناسيوس الإكليروس اليوناني والروسي والفرنسي في فرنسا والولايات المتحدة، وحضر عدة مؤتمرات للشبيبة الأرثوذكسية العالمية في أوروبا والولايات المتحدة، وكذلك انتخب معاوناً لغبطة البطريرك اغناطيوس الرابع الذي عينه أيضاً رئيساً على الديوان البطريركي ومستشاراً في محكمة الاستئناف الروحية، بقي في هذا المنصب من 1 شباط 1980 حتى 15 تشرين الثاني 1982، وفي 16 تشرين الثاني 1982 عينه البطريرك الإنطاكي اغناطيوس الرابع هزيم رئيساً لدير سيدة البلمند، فعمل على ازدهار هذا الدير، فقام بزراعة الاراضي، وحفر الآبار الارتوازية .... في 9 تشرين الأول عام 1982 عرض الأسقف اثناسيوس فكرة تأسيس جمعية "الأخوية" على أعضاء المجمع الإنطاكي المقدس بمناسبة انعقاد المجمع في دورته العادية الاكليريكية الإنطاكية الأرثوذكسية. وبناءً لطلب وجه من قبل المطران بولس الخوري إلى البطريرك، عين الأسقف اثناسيوس معاوناً له في خدمة أبرشية صور وصيدا وتوابعهما عام 1990، ولكن لم يستمر إلا لفترة قصيرة . وبسبب تقدمه بالسن فهو اليوم معتكف في منزله، في ضيعته شرين. مقابلة مع المطران الياس كفوري، «ابن خال المطران»، وهو من المقربين له. مرجعيون في 7 تشرين الأول 2003. سناء عبود: دير البلمند ومدرسته الإكليريكية ....، ص 186.

(1) أبصر النور سنة 1922 في بلدة عرمان من جبل العرب في سوريا، تلقى دروسه الابتدائية في مدارسها، بعدها دخل مدرسة البلمند الإكليريكية عام 1936-1937، على عهد البطريرك الكسندروس طحان الذي أولاه عناية خاصة حوالي السنتين، ثم ذهب إلى دمشق (الآسية) لهدف إنهاء دراسته الثانوية، بعدما أقفلت المدرسة الإكليريكية بسبب الحرب العالمية الثانية. عاد إلى بيروت ودخل معهد الآداب الشرقية، حيث قدم أطروحته عن دير البلمند. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ذهب الى دير البلمند فقام بدور تعليمي وتربوي وإداري وذلك عام 1947-1950، بعدها عمل مرشداً مجمعياً في أبرشية حوران ومعتمداً بطريركياً لمدة أربع سنوات. ثم التحق بجامعة أثينا التي درس فيها اللغة اليونانية، وفي عام 1970 عاد إلى سوريا فعينه البطريرك الياس الرابع رئيساً على دير=

ولكن خلال وجودهما ساهما في إرساء روابط الاحترام ما بين الراعي والرعية[1].

❖ نظم المطران بولس الخوري سجلاّت الأكاليل والعمادات والمحكمة الروحيّة. وقد كلّف قدس الأرشمندريت مكاريوس طيار بتنظيم سجلات الزواج من سنة 1941 حتى انتقاله إلى دير مار الياس الريح في طرطوس، ولكن للأسف تعرّضت دار المطرانية مرة ثانية لمآسي الحرب، فحرب سنة 1976 لم ترحمها إذ أفقدتها الكثير من السجلات والملفّات والوثائق المهمة[2].

5 - اصلاحات ليتورجية

بناءً على مشروع الإصلاح في الكنيسة الأرثوذكسية، قدّم اقتراحين إلى المجمع الإنطاكي الذي لم يقف مكتوفاً أمام المشاكل التي

=مار جرجس الحميراء، فقام بأعماله لمدة أربع سنوات متتالية، ثم استدعاه البطريرك الياس معلمه للعمل معه في دمشق فبقي إلى جانبه لمدة ست سنوات، في 17 شباط 1980 انتخب أسقفاً ومساعداً بطريركياً. بعد فترة قليلة، عاد من جديد لرئاسة دير سيدة البلمند والتعليم في المعهد اللاهوتي حالياً، فقام بإلقاء المحاضرات القيمة منها محاضرة بعنوان«البلمند والعلم»والتي ألقاها في عيد المعهد. وقام بدور المرشد الروحي للطلاب وأهل الجوار، فنراه يقدم الخدمة لمنطقة الكورة والقويطع وعكار ثم ما لبث أن انتقل بصورة نهائية إلى دمشق للعمل فيها ومتابعة دوره ورسالته في خدمة الكنيسة الأرثوذكسية. وقد قام سيادته بأعمال فكرية عدة فعّرب عن اليونانية عدداً من الكتب هذا بالإضافة إلى مساعدته في كتب البطريرك الياس الرابع، ومن هذه الترجمات سيرة القديس سمعان العامودي. أمّا الآن فهو موجود في دير البلمند. سناء عبود: دير البلمند ومدرسته الإكليريكية 1833-1940...، ص 190؛ والمطران الياس كفوري، مقابلة أجريت معه، تاريخ 19 تشرين الثاني 2003.

(1) وثيقة رقم (8).

(2) سناء عبود: المرجع السابق، ص 190.

واجهت الملّة الأرثوذكسية، وهذان الاقتراحان هما:

الاقتراح الأول: «لما كانت الطقوس بحاجة إلى إصلاحات تتّفق مع روح العصر وتجاري التقدّم العلميّ والمدنيّ، ولما كان هذا الإصلاح من اختصاص المجامع المسكونيّة، تمنى المطران على المجمع المقدس أن يقترح على المجمع المسكوني عند انعقاده إجراء هذا الإصلاح». «وفي إنطاكية دعي المسيحيون أولاً».

الاقتراح الثاني: «بما أن الإصلاح الإداري هو من اختصاص المجامع المكانيّة. ولما كان النظام الإداري المعمول به حالياً يجعل بعض الأبرشيّات غنيّة فوق اللزوم وبعضها فقير كثيراً وهذا يناقض قول السيد المسيح «وأما أنتم فكلكم اخوة». فقد اقترح على المجمع المقدس الرجوع إلى الحياة المسيحية الأولى: كما «كان جمهور الذين آمنوا بالمسيح قلباً واحداً ونفساً واحدة. ولم يكن احد يقول ان شيئا من امواله يخصه بل كان عندهم كل شيئ مشتركاً»[1]. منهياً اقتراحه بدعوة الكنيسة الإنطاكية إلى أن تلبي نداء أبنائها وأن تنفّذ القرارات التي اتخذتها المجامع الإنطاكية السالفة»[2].

كذلك لا نستطيع أن ننسى المجهود الكبير الذي عمله لاسترجاع كنيسة المخلص في صيدا، بالإضافة إلى بستان الزيتون والأراضي الشاسعة التابعة للكنيسة، التي كان قد باعها لطائفة الكاثوليك سلفه المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي. وهذه المسألة لغاية اليوم ما تزال عالقة[3].

وطبع تعليمات خاصة بأبرشية لبنان الأرثوذكسية، تتعلق

---

(1) الكتاب المقدس: أعمال الرسل (32-36:2)

(2) المطران بولس الخوري: تقرير مرفوع إلى المجمع المقدس...، ص 3.

(3) المطران بولس الخوري: من مذكرات...، ص 1.

بالمواضيع التالية: تعليمات لمن يتقدم للكهنوت، تعليمات للكهنة الأجلاء، تعليمات لرؤساء الأديار، تعليمات لوكلاء الكنائس، تعليمات للمدارس، وأخيراً تعليمات عمومية. وذلك رغبة منه في تسهيل مصالح أبناء الأبرشية، وسرعة إنجاز مطالبهم، وتوفير وقتهم. مقتصراً فيها على ما يلزم في الأحوال الحاضرة وهو القائل: «لا نجاح لهيئة بشرية إلاّ إذا تمشت على نظام معلوم».

بالإضافة إلى أن كل طالب لا يتقيد بهذه التعليمات كان طلبه لا يجاب.

كذلك وضع نظاما داخلياً خاصاً لأبرشيّة صور وصيدا وتوابعهما، لتسير الأمور ضمن القانون لأن برأيه «أن التنظيم هو أساس التقدّم والعمران». وكان ذلك عام 1951، وهو يتألف من 15 مادة [1].

بالإضافة إلى ما طبع من تعليمات خاصة لأبرشية صور وصيدا وتوابعهما للروم الأرثوذكس سنة 1959[2]. مفصلاً فيها صلاحية المطران، وكذلك تشمل التعليمات المعاملات المتوجب اتباعها على كل من يرغب في أن يسام كاهناً، وعن صلاحية الكاهن ضمن رعيته. وعن واجبات الجمعيات ووكلاء الوقف، وعن المحكمة الروحية، كذلك وضع تعليمات للمدارس الأرثوذكسية، في حال أرادت الطائفة افتتاح مدرسة، هذا بالإضافة إلى تعليمات عامة عن كيفية تغيير المذهب، طلب وصاية على قاصرين، شهادة إطلاق حال وغيرها. هذا بالإضافة إلى ذكره المادة 15، من قانون، صادر

(1) المطران بولس الخوري: نظام خاص لأبرشية صور وصيدا وتوابعهما للروم الأرثوذكس، مرجعيون، 23 تموز 1951، ص 1 - 5.

(2) المطران بولس الخوري: تعليمات خاصة لأبرشية صور وصيدا وتوابعهما للروم الأرثوذكس، جديدة مرجعيون، 1959، ص 1 - 5.

بتاريخ 2 نيسان 1951، عن مجلس النواب اللبناني، يحدد صلاحيات المراجع المذهبية للطوائف المسيحية.

والجدير الذكر أن لكل مطران الحق في تعديل النظام الإداري المعمول به عندما يتسلم أبرشية له فنراه يعمل على تنظيم شؤونها وتغيير أنظمتها الإدارية حسب ما يرتأي ولكن الأساس يبقى أساساً لا يستطيع أن يغير فيه شيئاً خصوصاً فيما يتعلق بقانون الكنيسة، وكما يقال لكل زمان دولة ورجال.

كذلك اشترك في وضع القانون الأساسي للبطريركية سنة 1955 [1]. وفي انتخاب البطريرك ثيودوسيوس أبو رجيلي عام 1958[2].

والمطران بولس الخوري كان من دعاة الإصلاح الديني الإداري المسلكي، سائراً على خطى معلمين أمثال لوثر[3]...

فكرة الإصلاح راودته للمرة الأولى سنة 1918، عندما طلب منه المطران باسيليوس الدبس، مطران عكار آنذاك، أن يبدل كلمة (مضرة) الواردة في الطلبات بكلمة (ضرر).

ومنذ ذلك التاريخ يقول: «فكرت في موضوع تصحيح لغة الكتب الكنيسية العربية»[4].

(1) الأب نايف أسطفان: تاريخ أبرشية صور وصيدا...، ص 76.

(2) الدكتور صالح زهر الدين: موسوعة رجالات...، ص 126.

(3) مارتن لوثر (1483-1546)، راهب أغوسطيني لاهوتي ومفكر وكاتب، بدأ في ألمانيا الإصلاح الديني (البروتستانتية) وانفصل عن الكنيسة في شأن الغفرانات وسلطة البابا وإكرام القديسين والمطهر والقداس 151، نقل «التوراة» إلى اللغة الألمانية فكانت الترجمة حدثاً دينياً وأدبياً. المطران بولس الخوري: من ذكريات المطران...، 22.

(4) المطران بولس الخوري: خدمة القداس الإلهي للقديس يوحنا الذهبي الفم، تنسيق وتصحيح المطران بولس الخوري، صيدا، 14 أيار 1976، ص 2.

وفي المحاضرة التي ألقاها سنة 1926 تحت عنوان: «القديس يوحنا الدمشقي» يقول: «يجب إصلاح لغة الكتب الكنيسية العربيّة. ويجب أن تقوم بهذا العمل لجنة مؤلفة من أربعة أساتذة على الأقل ضليعين في اللاهوت. وفي اللغتين اليونانية والعربيّة. وفي الموسيقى البيزنطية»[1].

وبسبب عدم الشروع في تأليف لجنة، رأى المطران بولس الخوري أن يطبع خدمة القداس منفرداً، مراعياً في تنسيقها وتصحيحها النص اليوناني، وما ألفته الأذان من كلمات، والترجمات العربيّة المطبوعة[2].

مثلاً:

- من أجل حكامنا الحسني العبادة المحفوظين من الله، وكل أعوانهم، وجنودهم إلى الرب نطلب.

يقول: «وضعت كلمة (حكامنا) بدل كلمة (ملكنا) لأن الملوك لم يعودوا موجودين. ووضعت كلمة (أعوانهم) بدل (بلاطهم) لأن المقصود بكلمة البلاط الحاشية»[3].

- من أجل المسافرين في البحر والبر والجو والمرضى، والمضنيين، والأسرى، وخلاصهم، إلى الرب نطلب.

يقول: «لم تكن كلمة (الجو) موجودة في النص اليوناني ولا في الترجمات العربية»[4].

- من أجل نجاتنا من كل حزن وغضب وخطر وضيق إلى الرب نطلب.

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول، صيدا، 1970، ص 87.
(2) المطران بولس الخوري: المصدر السابق، ص 3.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 4.
(4) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 5.

يقول: «هكذا وردت في النص اليوناني»[1].

- لأنك قدوس أنت يا إلهنا ولك نرفع المجد، أيها الأب والإبن والروح القدس...

يقول: «كلمة (نرفع) هي أقرب إلى النص اليوناني من كلمة (نرسل)»[2]. الصالحات والموافقات للنفوس، والسلام للعالم، من الرب نسأل».

يقول: «المقصود هنا (الموافقات لأرواحنا) وليس كما يعتقد العامة، أن المقصود (الموافقات لذواتنا). لذلك أبقيت كلمة (نفوس) ولكني أطلقتها فقلت (للنفوس) لتكون أقرب إلى المعنى. ولو خالفت النص اليوناني»[3].

ويعود ليؤكد أن الإصلاح هو لهدف سام، لإبعاد الفتور الديني عن أبناء الكنيسة، وجب أن يحصل تجدد في الدين بأشكال لا يخالف فيها العقائد ويتلاءم مع روح العصر.

مثلاً: في قداس أحد الشعانين نقول: «خلصنا يا إبن الله يا من ركب على جحش إبن آتان لنرتل لك: هللويا»[4].

ماذا يمنع إذا استبدلت بـ: «خلصنا يا إبن الله يا من دخل بمجد إلى أورشليم لنرتل لك: هللويا».

وخير دليل على تمسكه بفكرة الإصلاح، هو ممارسته القداديس في كافة مراكز أبرشيته، على طريقة الكتاب الذي وضعه، والفكرة لاقت استحساناً عند الجميع حتى كنت ترى دائما تواجداً للمؤمنين داخل الكنيسة وفي كافة المناسبات.

(1) المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الأول،...، ص 6.
(2) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 9.
(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 16.
(4) المطران بولس الخوري: مقالات، الجزء الثالث، صيدا، 1916، ص 3.

بالإضافة إلى توجيه رجاء إلى الكهنة الأجلاء، كي يتقيدوا بالنص. ويتجنبوا العادة السيئة، التي درج عليها بعضهم في تلاوة الأفاشين السرّية بصوت مرتفع. فيشوشون على المرتلين والمصلين[1].

للذكرى سأدرج بعض الجمل من الرسالة التي وجهت إلى سيادة المطران بولس الخوري إعجاباً بالخطوة المهمة التي سلكها وهي تحت عنوان «نهضة روحية جبارة في مرجعيون»[2].

«كانت الاحتفالات بعيد الميلاد رائعة حقاً، رائعة في «الجديدة»، رائعة بسبب المعنى الذي يحمله العيد المجيد ومن حيث الشكل الذي أضفاه سيادة العلامة السيد بولس على المراسم الدينية المقدسة...

كانت كاتدرائية (الجديدة) في أجمل حللها القشيبة، وأروع مظاهرها. فالكهرباء تجلل قببها ومظاهر التجديد التي أنشأها سيادته بمساعدة الغيورين من أبناء الجديدة مغتربين ومقيمين تفرح العين وتثلج الصدر فقد بقيت هذه الكاتدرائية زمناً طويلاً مهملة...

وأقول إن عدد المصلين في هذا العام بلغ حداً لم تشهد مرجعيون في تاريخها أكثر حشداً وأعظم إقبالاً كما شهدته في هذه الآونة».

هكذا كانت حياة المطران بولس الخوري، حافلة بالإنجازات التي ما زالت مثلاً يحتذى به في النشاط، وتفعيل الرعايا على مختلف الصعد الإنمائية الفكرية والاجتماعية، حتى ضاقت أعوام حياته بالأعمال إلى درجة أنه لم يكن يشكو فراغاً لشدّة انشغاله وحضوره الدائم أينما دعت الحاجة إلى وجوده.

---

(1) المطران بولس الخوري: خدمة القداس الإلهي،، ص 3.

(2) المطران بولس الخوري: «نهضة روحية جبارة في مرجعيون»، الأرثوذكسية، العدد الأول، السنة الثالثة، كانون الثاني 1953، ص 18..

الفصل السادس
وفاته

1 - آخر أيام حياته

كان معتكفاً في غرفته في صيدا، وبالرغم من سني عمره، نراه يستقبل الزوار وأكثرهم من المفكّرين والأدباء والطلاب الجامعيين الذين كانوا يقصدونه للمساعدة ولإعطائهم معلومات تخصّ مواضيع الأطروحات. فكان يتكلم معهم بشكل مسهب وكامل[1].

---

(1) الأرشمندريت جوزيف جبيلي، مقابلة أجريت معه، تاريخ 3 تشرين الأول 2002. وهو من مواليد بلدة حلب في سوريا، عام 1948، تلقى علومه الابتدائية في مدرسة ديمتروبوس في حلب، ثم انتقل إلى مدرسة جورج سالم لتلقي علومه الثانوية في حلب، دخل الرهبنة عام 1958، بمطرانية جبل لبنان، سامه المطران ايليا كرم مبتدئاً عام 1968، وفي عام 1969 انتقل إلى أبرشية صور وصيدا وتوابعهما حيث ارتسم شماساً إنجيلياً على يد المثلث الرحمات المطران بولس الخوري، وفي العام نفسه ارتسم كاهناً وكان ذلك في 29 آذار، خدم في كنائس مرجعيون راشيا الفخار، شبعا والمحيدثة قضاء راشيا الوادي حتى عام 1976. انتقل عام 1977 بصورة نهائية إلى أبرشية صيدا، وكان مرافقاً للمطران بولس الخوري، وفي عام 1979 انتقل إلى رعية صور، ولا يزال فيها. في عام 1985 سيم أرشمندريتاً، وحالياً يعمل كمعاون لسيادة المطران الياس الكفوري مطران صور وصيدا وتوابعهما في المحكمة الروحية. مقابلة مع الأرشمندريت جوزيف جبيلي، جديدة مرجعيون، في 3 تشرين الأول عام 2003.

كان لديه حبّ كبير بقدر ما عنده من نقمة على الشعراء، كأنّه ناقم على نفسه وعاتب عليهم لأنهم لم يؤدّوا رسالتهم بالشكل المطلوب تجاه وطنهم لبنان وتجاه أمتهم العربية. وكان يقول دائما أن الحياة حلوة بالرغم من صعوبتها[1].

كانت ذاكرته كأقوى ما تكون في كل مراحل حياته؛ تحليله للأمور لم يتغيّر، ظلّ محتفظا بقواه العقلية، لم يهن ولم تضعف حواسه وذهنيته أبداً بالقياس لسني عمره المتقدم. فها نحن نراه متذكراً وذاكراً أشياء واحداثاً كثيرة من التي مرت عليه في حياته، كتفاصيل الأحداث، وأسماء الأشخاص الذين واكبوا مسيرته في مراحل سيامته، من البداية حتى نهاية المطاف. فإذا به يذكر كلّ فصل من هذه المراحل وكل اسم من أسماء الأشخاص بدقّة متناهية. عندما ألقى خطابه الأخير في المجمع الأرثوذكسي بمناسبة تكريمه، نستطيع أن نستشف من موقفه أنّه يعني بتعبورة باعتبارها بيته الأول وقد ولد فيها بالجسد وتكونت شخصيته الجسدية، أمّا في البلمند فقد ولد بالروح وتكونت شخصيته الروحية[2].

أمضى في البلمند عشر سنين معلماً ومعاوناً ورئيساً، وهو يذكر من أساتذته الأرشمندريت إغناطيوس أبو الروس، رئيس الدير والمدرسة وهو من خريجي أكاديمية موسكو، وغطاس قندلفت مدير المدرسة وأستاذ الدروس اللاهوتية، خريج جامعة أثينا. والشماس يوركي أبيض والشماس أندراوس كرش مؤلّفي كتاب «الثمار الشهية في جغرافية المملكة العثمانية» الخ[3]...

---

(1) المرجع السابق، تاريخ 7 أيلول 2003.

(2) «النهار»، تاريخ 7 تشرين الأول 1993.

(3) «الديار»، تاريخ 7 تشرين الأول 1993.

وكذلك لم ينسَ أسماء رفاقه كأنطونيوس بشير[1]، مخايل الحاج[2]، أيوب سميا. إذ كان أبرزهم في خدمة الكنيسة ومدرسة

---

(1) تعرّف عليه سنة 1910، في دير البلمند، توطدت صداقتهما لمدة أربع سنوات كان فيها أنطونيوس التلميذ المجتهد، صاحب الذاكرة القوية الطريفة، أقفلت المدرسة بسبب الحرب العالمية الأولى، فذهب أنطونيوس إلى بيته في دوما، بعد فترة التحق بدير مار يوحنا دوما، فتفرغ للدرس والمطالعة. سيم شماساً إنجيلياً عام 1916، بتكليف من البطريرك غريغوريوس حداد، فدخل في خدمة راعي الأبرشية يومذاك المطران بولس أبو عضل، عام 1920 دخل الجامعة الاميركية، وفي عام 1922 رافق المطران جراسموس مسرة إلى أميركا الشمالية، وهناك سامه المطران كاهناً ورقاه إلى رتبة أرشمندريت، وجعله معتمداً بطريركياً في أميركا الشمالية على الكنائس التي لا كهنة لها، راح يتجول في أميركا واعظاً ومعلماً ومؤسساً للكنائس والجمعيات، ومن الأشخاص الذين صادفهم هناك جبران خليل جبران، فوقع اتفاق بينهما على أن يترجم أنطونيوس إلى العربية جميع ما كتبه جبران في الإنكليزية، بالإضافة إلى إصداره مجلة بعنوان «الخالدات»، للتعبير عن أفكاره الخاصة، انتخب مطراناً عام 1936، أمّا أعماله فلم تقتصر على بناء الكنائس وتأسيس الجمعيات والمجالس المحلية، وسيامة الكهنة بل وضع الأنظمة والقوانين لها، والأهم من ذلك أنه تقيد هو وكهنته وكنائسه وجمعياته بالأنظمة والقوانين. وقبل وفاته سنة 1967، تبرع المطران انطونيوس ببناء بناية جديدة في البلمند، لتكون كلية لتعليم اللاهوت العالي، المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الثاني،... ص 46.

(2) تعرّف به للمرة الأولى في دير البلمند، فقضيا معاً أربع سنوات 1910- 1914، بعدها ذهب إلى دمشق ليعمل على خدمة البطريرك غريغوريوس حداد، فبقي ملازماً له حتى سنة 1923، بعدها سافر إلى أثينا لطلب العلم فدخل مدرسة الريزاريون، فبقي فيها ثلاث سنوات، حتى سنة 1926، نال خلالها شهادة كلية اللاهوت، سافر عام 1931 إلى باريس لمتابعة دروسه في الجامعتين الكاثوليكية والنجيلية، ولكن لم يتسن لمخايل متابعة ما بدأه في باريس وذلك بسبب الحالة المرضية التي وصل إليها، فتوفي في باريس بتاريخ 24 تشرين الثاني 1932. وتجدر الإشارة أن مخايل ظل في ثيابه العلمانية في باريس ولم يردها يوماً. المطران بولس الخوري: محاضرات، الجزء الثاني،... ص 31.

البلمند أنطونيوس بشير الذي أسس في أميركا الشمالية أبرشية واسعة.

ولم تكن تذكر أمامه مدرسة البلمند إلا ويفرح فرحاً بالغاً. ففيها تفتحت عينا عقله على العالم غير المنظور: عالم الدين وعالم العلم، وفيه تأصّلت في نفسه مبادئ الدين الأرثوذكسي والعلم الصحيح والقوميّة العربيّة الصافية، فكان البلمند قلعة للأرثوذكسية وللقومية العربية[1].

وعلى مشارف التسعين من العمر، نرى دمعة الحزن في عيني المطران بولس الخوري وهو يكاد يودع الجميع ...

لن يستطيع أن يرى «مرجعيون»، بلدته الثانية، وبيوتها القرميدية، لأنها تحت الاحتلال ولا يريد أن يرى بلدته الأولى بتعبورة، ولا بيوتها القرميدية المماثلة، ولم يرد أن يعود إليها حيّاً لتبقى صورتها القديمة في ذهنه جميلة صافية قائلاً: «أخاف أن تكون صورة القرية الجديدة غير الصورة المنطبعة في ذهني ...»[2].

ولطالما عرفنا منه أن السؤال الذي سيرافقه إلى القبر هو: «كيف سيتمكن اللبنانيون من تأليف دولة لبنانية عربيّة مستقلة استقلالاً تاماً، إذا كان اللبنانيون لا يتفقون على هويّة لبنان، ولا يستطيعون أن يقضوا على التعصّب الدينيّ وأن يوحّدوا الثقافة، وأن يتحرروا من الأجانب سياسيّاً وروحياً»[3].

كان على المطران أن يبقى حياً ليدرك آماله وأهدافه القومية النبيلة وقد تحققت. ولكن من يعمل ومن يدرك متى تحققت هذه الأحلام والآمال حتى ولو عاش الإنسان دهراً، فلا يستطيع غير

---

(1) «النداء»، تاريخ 7 تشرين الأول 1993.

(2) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 179.

(3) المطران بولس الخوري، المصدر السابق، ص 188.

النضال والجهاد في سبيل هذه الأهداف غير أن ساعات المطران الأخيرة من حياته وقد باتت تحمل في دقائقها نسائم هذه الآمال والتطلعات، وكأنها قد حققت ولو شيئاً مما كان يجول في خاطر هذا الرجل الكبير. فتعالوا لنرى ماذا كان من أمر هذه الساعات الأخيرة.

2 - ساعاته الأخيرة

عندما يتكلم المرء عن الرجال الذين يتمتعون برفاهيَة الحس وحسن الطلعة وحبِّ الوطن يقف بمهابة إجلالاً واحتراماً لهؤلاء، فكيف إذا كنا نتكلم عن إنسان يجمع تلك الصفات ويجسدها؟ هلموا معي لنطّلع وندقّق ملياً في لحظات هذا الإنسان الكبير الأخيرة، وتبدأ نهاية البداية.

سرد عن هذا الرجل، أنه في هنيهات صباح الثلاثاء الواقع في الرابع من شهر تموز 1995، استيقظ باكراً كالعادة، وكان شديد الحرص على أن لا يصدر أيّ ضجة لئلا يزعج الآخرين القاطنين معه. فحضّر له الفطور ومن ضمنه كوب اليانسون الذي كان معتاداً على احتسائه قائلاً: «يا ريت الله يبعت لنا حدا حتى نشرب معه القهوة»...

لآخر لحظة كان لا يريد أن يفارق العالم دون أن يجالس أحباءه، ويتسامر معهم ...

فاستجمع قواه الجسديّة ليمشي مفكراً في يومه الأخير على الأرض، ثم حدّثهم قائلاً: «أشعر بدنو ساعتي»... وأضاف: «الموت هو أشبه بنعاس، فلا تخافوا منه»...

ولم تكد شفتاه ترشفان من الكوب للمرة الثالثة حتى تهاوى الرجل الكبير على مقعده متراخياً في ضعف وإعياء، فلاحظ ذلك جميع ممن كان معه في القاعة وهرعوا إليه ليسعفوه ولكن لم

تمض لحظات قليلة حتى توقفت أنفاسه وأعضاء جسده عن الحياة والحركة. أسلم المطران بولس الخوري الروح إلى ربه تعالى، وأخذ الله وديعته.

وهكذا انطفأت الشمعة [1]...

3 - وفاتـه

ما أن أعلن خبر وفاة عميد المطارنة حتى كانت دار المطرانية تعجّ بالوفود المعزّية وكان في استقبالهم الأرشمندريت جوزف جبيلي، مطران الروم الكاثوليك لصيدا ودير القمر جورج كويتر، الأرشمندريت سليم غزال، المونسنيور حنا الحلو وولدا شقيقه إبراهيم ونزار الخوري.

ومن المعزين وزير المغتربين على الخليل، النائبان مصطفى سعد وميشال موسى، وفد من «مؤسسة الحريري» مثل النائبة بهية الحريري وضم السادة: محيي الدين قطب، محمود الحريري ونزار الرواس، ومحافظ النبطية غازي زعيتر، ومفتي صيدا والجنوب الشيخ محمد سليم جلال الدين وغيرهم من الشخصيّات.

بالإضافة إلى وفود من التنظيم الشعبي الناصري، الحزب الشيوعي اللبناني، الحزب السوري القومي الاجتماعي، إضافة إلى ممثلي الفصائل الفلسطينية ولفيف من الكهنة وحشود شعبية من المناطق[2].

وصدرت سلسلة شهادات ومواقف في الراحل الكبير، فاعتبره النائب ميشال موسى علامة من علامات اليقظة الوطنية والعربية خلال حقبة طويلة من الزمن، إذ جمع التقوى في العبادة مع الأدب

(1) الأرشمندريت جوزيف جبيلي، مقابلة أجريت معه، بتاريخ 14 آب 2002.
(2) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995؛ والديار، تاريخ 6 تموز 1995.

والشعر والفكر والمحضر الحلو آملاً أن تكون حياته مصدر إلهام للكثير من المتعاطين في الشأن العام في هذا البلد [1].

ونوّه النائب مصطفى سعد بمواقف «الفقيد الكبير» الوطنيّة والقوميّة، خصوصاً من قضيّة العرب فلسطين مؤكداً أن خسارة المطران بولس الخوري كبيرة، وأن الجنوب خسر مناصراً له عن قضيته[2].

وكانت كلمة النائب حبيب صادق عن الدور الذي اداه المطران الخوري في مواجهة العصبيات الطائفية إبان المحنة العاصفة التي ألمت بالوطن، وهو لطالما كان الصوت الداعي إلى الوحدة الوطنية في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، فاضحاً نياته المبيتة ضد لبنان وشعبه ومؤسساته، وهو الذي آثر الابتعاد عن مقرّه في مرجعيون، رفضاً لهيمنة جيش الاحتلال الإسرائيلي وأدواته العميلة على المنطقة[3].

أمّا مفتي صيدا والجنوب الشيخ محمد جلال الدين فقد ركز على أن وفاة المطران بولس الخوري هي خسارة جسيمة للقضيّة الوطنيّة وللتعايش الوطنيّ في هذا البلد، فموته معناه خسارة رجل علم ومعرفة[4].

وقال الارشمندريت سليم غزال: «افتقدناه وجهاً عربياً أصيلاً ووطنياً ناضل عن القضيّة الفلسطينيّة وعن القضايا العربيّة، ووقف

(1) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995؛ والديار، تاريخ 6 تموز 1995.
(2) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995؛ والسفير، تاريخ 6 تموز 1995.
(3) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995؛ والديار، تاريخ 6 تموز 1995.
(4) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995؛ والديار، تاريخ 6 تموز 1995.

في وجه الاحتلال»[1].

أما «التكتّل الوطني الديمقراطيّ» فقد عبّر عن حزنه الكبير لغياب المطران الخوري، وقال في بيان له: «مع وفاته تفتقد العروبة جزءاً كبيراً من فصاحتها ونضارتها، وتلبس إنطاكية ثوب الدهشة لمنعة الغائب وسعة مداركه ومواقفه النضاليّة الصريحة، هذا الذي لم يبق طفلاً أو كبيراً من جنوب لبنان لم يعرفه أو يصفق له أو يمشي خلفه بحثا عن ملامح الوطن اللبناني الشجاع»[2].

4 - المأتم وكتابات الصحف

قبل أن يرقد المطران بولس الخوري في 5 تموز 1995، في مسقط رأسه، في بلدته بتعبورة في الكورة كما أراد، بعد 99 عاما من الحركة التي لم تعرف الكلل في خدمة الله والعقيدة الايمانية والوطنية، ودّعته بيروت، التي أحب، وأصدقاؤه وعارفوه في مأتم حاشد أقيم له الساعة العاشرة صباحا في كنيسة مار نقولا، الأشرفيّة، بحضور الوزير شوقي فاخوري ممثلا رئيس الجمهورية الياس الهراوي، ورئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري ونائب رئيس مجلس النواب إيلي الفرزلي ممثلاً رئيس المجلس النيابي نبيه بري.

كذلك حضر الصلاة الرئيسان حسين الحسيني ورشيد الصلح، والوزير اسعد حردان، والنواب: مخايل ضاهر ومروان أبو فاضل وسمير عازار وغسان الأشقر، والوزراء السابقون: البير مخيبر ونجيب أبو حيدر ونزيه البزري وغسان تويني، ورئيس حزب الكتائب جورج سعادة والعميد سهيل خوري ممثلا قائد الجيش العماد اميل لحود، ومحافظ مدينة بيروت نايف المعلوف، ومحافظ الجنوب حليم فياض، والسفير سهيل شماس ورئيس الاتحاد العمالي

(1) «الديار»، تاريخ 6 تموز 1995.
(2) «الديار»، تاريخ 6 تموز 1995.

العام الياس أبو رزق، والصحافي منح الصلح والأهل والأصدقاء.

ترأس الصلاة بطريرك الروم الأرثوذكس اغناطيوس الرابع وعاونه متروبوليت بيروت للطائفة الياس عودة ومتروبوليت زحلة اسبيردون خوري ومتروبوليت جبل لبنان جورج خضر وراعي أبرشية عكار المطران بولس بندلي وراعي أبرشية حلب الياس يوسف وأساقفة الطائفة: الياس نجم وجورج أبو زخم واثاسيوس صليبا والياس الكفوري وموسى الخوري والارشمندريت جوزيف جبيلي، ورئيس أساقفة صيدا ودير القمر للموارنة المطران إبراهيم الحلو، ورئيس أساقفة بيروت للطائفة المارونية المطران خليل أبي نادر ورئيس أساقفة صور والأراضي المقدسة للطائفة المارونية المطران مارون صادر، وراعي أبرشية صيدا للروم الكاثوليك المطران جورج كويتر، وراعي أبرشية صور للطائفة الكاثوليكية المطران يوحنا حداد والنائب العام لأبرشية صيدا المارونية المونسنيور يوحنا الحلو، ورئيس المجمع الأعلى للطائفة الإنجيلية في سوريا ولبنان القس سليم صهيوني والارشمندريت اليكسي مفرج ولفيف من الكهنة.

في نهاية الجنّاز، ألقى البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم[1] كلمة معبّرة جاء فيها: «في هذه الخدمة الشريفة، إن مناسبة الموت عندنا هي مناسبة نذكر فيها أنّ الإنسان لم يخلق للموت ولكنّه خلق منذ الأساس للحياة، الانسان لم يخلق ليدفن وإنّما خلق ليتجلّى، كما أن كل شيء ينقلب في هذه الدنيا وفي فترة من الفترات، فهذا الإنسان الذي أعطى أقصى ما يمكن أن يعطى وافضل ما يمكن أن يعطي، أعني الحياة، قد أدخل فيها عنصراً هو ذاته يميتها.

الاعتقاد بالقيامة، بشارة شدّد عليها الأخ الراقد بالرب، عميد

(1) ملحق رقم (4).

مطارنة الكرسي الإنطاكي، المطران بولس الخوري، بشّر بهذه العقيدة عشرات من السنين. ولا تبعد الآذان التي سمعت منه بشارته «وقد عُرف عنه أنه خطيب، عُرف عنه أنه فصيح وكان خير من يوصل بالكلمة المعنى للناس، وصوته لا يزال يرن في أذني لأنّي عايشته الوقت الطويل». وكانت علاقتي به قديمة ووطيدة، انه لم يكن أهدأ شخص في الكرسي الإنطاكي المقدّس، كان يحارب الهدوء ويبدو، وهو الأديب الكبير، يعرف أنه قيل أن ركود الماء يفسده «إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب». فكان يدفع إلى الأمام، لذلك عرف كيف يحبه الكثيرون وعرف إلاّ يحبّه الكثيرون من الصف الاكليريكي المقدس».

وأشار البطريرك هزيم إلى فرح المطران بولس الخوري عند لملمة أعضاء الكنيسة الأرثوذكسيّة بعد الأزمة التي حدثت[1]. كذلك

(1) إن أسباب هذه الأزمة، بسبب انتخاب مطارنة للأبرشيات الشاغرة، حاول فريق من المطارنة، الموجودين في دير مار الياس شويا السيطرة على الترشيح في الأبرشيات التالية حمص، حماه، جبل لبنان، فما كان منهم إلا أن عقدوا جلسة بتاريخ 7 أيار 1969، مقترحين سلب الشعب حقه في ترشيح المطارنة، بالرغم من علمهم أن هذا القرار سيفتح هوة بين المجمع والشعب وبالتالي سيشق الكرسي الإنطاكي إلى شطرين. كذلك قيام المطران ايليا صليبا بتوقيع جميع المعاملات باسم البطريرك المريض الموجود في المستشفى، في بيروت، بالرغم أن المجمع المقدس بكامله قد جرد البطريرك من صلاحياته، منتخباً لجنة مجمعية أسندت إليها صلاحيات البطريرك. أمّا السبب الأهم فهو رفض المطارنة الذين يريدون سلب حق الشعب، الاجتماع في دار البطريركية بدمشق في 7 أيار 1969، لإملاء الأبرشيات الشاغرة وفقاً للمادة 47 من القانون الأساسي، فما كان منهم إلا أن اجتمعوا في دير مار الياس شويا منتخبين الكسي عبد الكريم مطراناً لحمص، بينما الشعب يريد غفرئيل فضول الذي انتخبه المطارنه... وهنا لا نستطيع إلا أن نذكر دور المطران الخوري، الذي انتخب لحل هذه الأزمة، وتهدئة الأوضاع. المطران ايفانوس: قضية انتخاب مطران حمص، 2 أيار 1972، ص 48-49.

تكلّم: «على مرافقته له إلى مرجيعون يوم تسلّمه الأبرشية حيث سهر معه ومع بعض السادة المطارنة في أول ليلة قضياها في المطرانية وكان المطران بولس الخوري معروفا، وكيف لا يعرف ذلك الذي عنده فصاحته وعنده خصبه في الكلام». وأضاف: «أذكر ذلك اليوم في مرجعيون، الذي كان له أن يقول فيه كلمة، تلك الكلمة ظنّها البعض نوعاً من التساهل الدينيّ في غير مكانه، لأنّه قال نحن من الجماعة التي تعبد الله، والله كلنا عبيده بلغات متعددة لذلك ليس في من يعبدون الله جماعة نعتبرها غريبة عنّا ولا نكون معها في حوار»[1].

وفي النهاية قدّم التعازي إلى الجميع وشكرهم على حضورهم الكريم ثم تقبّل التعازي مع السادة المطارنة وآل الفقيد في صالون الكنيسة ثم نقل الجثمان إلى الشمال.

عندما وصل جثمان المطران إلى جسر المدفون، انضم المواطنون الذين كانوا في الانتظار إلى الموكب الذي عرج على بلدة حامات، حيث أنزل النعش ورفعه شباب البلدة على الأكتاف. وتوقفوا أمام منزل ابن شقيقته السيد الياس فرح، حيث ألقى السيد صباح نصر كلمة رثاء باسم أهالي البلدة.

وعند الساعة الأولى بعد الظهر وصل الجثمان والمرافقون إلى مدخل بلدة بتعبورة مسقط رأس المطران الراحل، حيث تجمّع أهالي البلدة وبعض أهالي الجوار وحملوا النعش على الأكتاف، يتقدمهم الصليب الأحمر اللبناني وحملة الأكاليل وصولا إلى كنيسة القديس جاورجيوس حيث سجي الجثمان .

ترأس المطران خضر صلاة عاونه فيها المطرانان خوري

(1) النشرة: تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت، عدد 29، الأحد 16 تموز 1995.

وبندلي والأسقفان نجم وأبو زخم والارشمندريت مفرج، كذلك حضر الصلاة الدكتور علي شلق ممثلا نجله الوزير الفضل شلق والسيد عدنان مكاري ممثلا الوزير فريد مكاري والوزير السابق الياس سابا ومحافظ الجنوب وعبد الله قبرصي وفاعليات ...

بعد الأناجيل ألقى المطران خضر عظة أشار فيها إلى العلاقة الوثيقة التي تربطه بالمطران بولس الخوري، فهو الذي رعاه في علمانيته منذ خمسين عاماً، وهو الشخص الذي أحبه الجميع بسبب تمسكه بعقيدة الكنيسة الأرثوذكسية وانفتاحه على الجميع دون تعصب أو تفريق. واصفاً إياه بالأرثوذكسي الحاد والوطني[1].

بعد الجنازة دُفن المطران في مقبرة العائلة المجاورة للكنيسة، وتقبل المطارنة وولدا شقيق المطران الراحل الأستاذ إبراهيم ونزار الخوري وابن شقيقته الياس فرح وأقرباؤهم التعازي.

هذا ونشرت معظم الجرائد والمجلات اللبنانيّة والعربيّة كلمات ترثي الفقيد الكبير، إلى جانب عدد كبير من برقيات التعزية التي وجهت إلى البطريرك اغناطيوس الرابع[2]، وإلى أقارب الفقيد[3]، وأجمعت كلّها على أن رحيل المطران بولس الخوري كان خسارة وطنيّة بقدر ما خسرته الكنيسة الأرثوذكسية منها:

البرقية التي أرسلها الوزير وليد جنبلاط باسمه واسم الحزب التقدمي الاشتراكي إلى البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم معبراً فيها عن حزنه لفقدان المطران بولس الخوري، فهو الشخص الذي كان مثال الراعي الصالح، وبموته لم تفتقده الكنيسة الأرثوذكسية

(1) ملحق رقم (5).
(2) ملحق رقم (6)
(3) ملحق رقم (7).

فقط إنما جميع الوطنيين في لبنان على اختلاف طوائفهم[1].

أما البرقية التي أرسلها المطران فيليبس صليبا من نيويورك، فقد جاء فيها إن المطران بولس الخوري كان رائداً من رواد الكنيسة الأرثوذكسية والقومية العربية، وخلال رحلة حياته كانت الكنيسة همه الأول والأخير، فهو الذي دافع عن أمته العربية، فبموته تفتقد هذه الأمة العقل النير والجرأة النادرة والصوت المدافع عن كرامة شعبه[2].

إضافة إلى هذه البرقيات، وجهت كلمات تعزية تشيد بمناقبية الفقيد، ومنها كلمة الأستاذ أديب فايز فرحة، الذي توجه باسمه واسم أبناء جديدة مرجعيون، تحت عنوان «مرجعيون لا تنسى الفاعل والموجّه»:

من الكورة إلى مرجعيون والجنوب، جاء المطران الخوري ثائراً عاقد العزم أن يعلّم الجميع كيف يجب أن يناهز الحق من غير خوف، فدخل قلوب الجميع دون استئذان، كان ثائراً لأن المطران الخوري لم يكن يقبل بأنصاف الحقائق، ولطالما كان يوفق قدر المستطاع بين الدين والدنيا، فكان حرباً شعواء على الفساد والمفسدين، ونصيراً للحق والخير والجمال.

وبلدة مرجعيون التي كانت مقراً له، وكان هو نعم المعلم والقائد والموجه لها، فقد سجلت للمطران عدة مواقف أثبت من خلالها أنه رجل ترفع عن الطائفية، رجل أحب الجميع رجل كان يسعى إلى توحيد القلوب والنفوس[3].

وقد وصف صباح نصر في كلمته المطران الخوري بالكنز

(1) ملحق رقم (8).
(2) «الديار»، تاريخ 6 تموز 1995.
(3) «السفير»، تاريخ 6 تموز 1995.

الروحي الكبير وبأنه الثروة الإنسانية العربية المشرقة، صاحب الوجه الطيب، الذي أمضى سني عمره سيلاً من العطاء والجهد والوفاء. والشيء الذي ميزه عن غيره من البشر هو الاحترام الذي كان يمنى به أينما حل. فكان سيفاً على رقاب غاصبي الحقوق والمستهترين بكرامة الإنسان، فكان خير مدافع عن أبناء أمته من الاستعمار الأجنبي والداخلي[1].

أما إنعام رعد فقد نوه في كلمته، أن المطران بولس الخوري كان أباً وأخاً لكل القوميين، المحاصرين والوطنيين، وقد عبرّ عن فخره واعتزازه بوجود هذا الكنز الكبير الذي ظل شامخاً حتى آخر لحظة من حياته.

وعّرف به على أنه علم من أعلام الوطنية الصادقة، والدين الصحيح، الذي قام على التوحيد، ونبذ الطائفية آخذاً بالآية «أن تحب قريبك كنفسك، أن تحب قريبك كالله». فمحبة القريب، وهو ابن الوطن أيا كانت طائفته كانت وصية المطران الخوري[2].

أما الأستاذ عبد الله القبرصي فقد قال فيه الكثير، أقتطف من كلماته بعض العبارات:

- كان يحب حتى لتحسبه المحبة.
- كان يبغض حتى لتحسبه البغضاء.
- ولكن غالبا ما يحب ونادرا ما يبغض.

حضاري في تصرفاته اليومية، تعلمنا منه أن نعد لنفي، وأن نصادم ونتحدى إذا كنا على حق، وأن نضحي وأن نعطي، وأن تكون حياتنا موقوفة على وطننا فلا نحيا إلا للوطن. لم نخسر

(1) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995.
(2) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995.

نحن أهله وحدنا. إنه خسارة وطنية فضلاً عن أنه خسارة لطائفتنا الأرثوذكسية، طائفة اللاطائفية»[1]...

أما السيّد معن بشور الذي اسماه «مطران الجليل وأطفال الحجارة» فكانت له كلمة برحيل المطران مشيراً أن للقدر أيضاً حكمته في أن يرحل المطران الكبير، مطران الجنوب والجليل، بولس الخوري في اللحظة التي كان فيها الأنبا شنودة، بابا الكنيسة القبطية في مصر يجول في لبنان، ويعلن مواقف مماثلة لتلك المواقف التي استمع اليها اللبنانيون على امتداد هذا القرن من المطران بولس الخوري، وعن دور رغبة العناية الالهية في أن تستحضر المطران بولس الخوري، عبر حدث كوفاته، في لحظة الحضور الساطع للأنبا شنودة وحديثه عن المسيحيين العرب ودورهم، وهو المثقف والمجاهد والمناضل والمنفي تماما كما كان بولس الخوري. وهو المدافع عن القضية الفلسطينية التي كانت حاضرة دوماً في نفسه كما كانت حاضرة في قلب المطران بولس الخوري. وهو الذي رفض أن يزور القدس أقباط مصر قبل إخوانهم المسلمين، فعروبة القدس كانت تعني له عودة مقدّساتها إلى أصحابها العرب المسلمين والمسيحيين[2].

هذا غيض من فيض الكلمات التي رثت بصدق «مطران العرب الراحل» وأسي الجميع على اختلاف انتماءاتهم المذهبيّة والسياسيّة لفقد «صاحب المواقف الجريئة».

5 - وصيته

رحل المطران بولس الخوري، تاركاً وصيتين، انطلاقاً من إحساسه بالمسؤولية كفرد من عائلته الخاصة التي تشمل الكنيسة الأرثوذكسية، وعائلته الإنسانية التي تضم العالمين العربي والغربي، وفيها نظرة معمقة

(1) «النهار»، تاريخ 6 تموز 1995.
(2) «النداء»، تاريخ 6 تموز 1995؛ ملحق رقم (9).

تستشرف الأخطار الناجمة عن سياسات الغالب والمغلوب.

أ - الوصية الشخصية[1]

بالرغم من تمتع المطران بولس الخوري بصحة جيدة، رأى في الرابعة والثمانين من العمر، أن يكتب وصيته لأن لا يعلم أحد متى ستأتي ساعته، وقد قال السيد المسيح: «كونوا مستعدين لأنكم لا تعلمون متى تأتي الساعة».

وأهم النقاط التي تضمنتها: أن يدفن في القرية التي ولد فيها «بتعبورة» إلى جانب أخوته، ووالده وأجداده. وأن تسلّم الكتب والمفكرات والأوراق الخاصة به إلى نجلي شقيقه إبراهيم ونزار فهيم الخوري. أما عن ثيابه الخاصة فأوصى بإعطائها إلى القواص جورج أبو مراد تاركاً له حرية التصرف بها، أما عن البدلات الكنائسية والتيجان والعكازات وما يتبعها فتترك للمطران الذي يخلفه.

أما الأملاك التي سجلها في الدوائر العقارية باسمه إضافة إلى الأبنية التي شيدت في عهده في جديدة مرجعيون، وقطعتا الأرض المغروستان زيتوناً اللتان اشتراهما في حاصبيا، فقد تركها هبة للوقف الأرثوذكسي.

أما المال الذي أودعه على اسمه في البنك المسمى «بنك صباغ وما أودعه أيضاً في البنك الفرنسي للشرق الأوسط ش.م.ل.» - إذا بقي منه شيئ - فقد أوصى به لوقف راشيا الفخار الأرثوذكسي. مختتماً وصيته بالرجاء من أصحاب العلاقة تنفيذها شاكراً إياهم والله.

المطران بولس الخوري

صيدا 17 اذار 1980

(1) وثيقة رقم (9).

ب - أما نص الوصية الثانية[1] التي هي بمثابة رجاء، والتي تركها المطران بولس الخوري في أوراق مفكرته، فقد وجهها إلى كل الذين آمنوا بفلسطين وفكرة الثورة المسلحة كأسلوب للتعامل مع العدو اليهودي، بأن يوحدوا صفوفهم، مسيحيين ومسلمين، لأن القوة في الاتحاد.

وحول مستقبل فلسطين نراه يشير إلى انه من المستحيل أن يدوم وجود لليهود في فلسطين، مخاطباً أبناء الأمة العربية بأن يقوموا لمحاربة هذا العدو، لان العرب سيغلبون في آخر المطاف، فلن يدوم شيء في النهاية.

وفي أوراقه يسجل موقفاً له من مشروع التهويد برّمته، ويتوقف عند قيام الفاتيكان بالاعتراف بالكيان الصهيونيّ، وتبادل السفراء وتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام، ويؤكد أن «اليهود» هدفهم أخذ مدينة المسيح -الناصرة- ليحلّوا محل المسيحي، موضحاً أن أوّل من ثار على اليهود هو يسوع الناصري.

بالإضافة إلى الرسالة الموجّهة إلى الإدارة الأميركية بشخص رئيسها الأسبق جورج بوش الأب فنراه يرجوه أن ينظر للبعيد، ليعلم أن العرب لن يظلوا منقسمين على بعضهم، مؤكداً انه لا بد أن يأتي يوماً جيل جديد وفيه شخص يشبه صلاح الدين الأيوبي يوحّد العرب... فحياة اليهود في هذه البقعة الصغيرة من الأرض ستبقى مهدّدة إذا لم يعيدوا إلى أصحاب الأرض الشرعيين أرضهم... وأن المظلوم لن ينام على الضيم، وأن الانتفاضة القائمة اليوم ستصبح ثورة وستمتد إلى سائر الدول العربيّة والدول الإسلامية...

ولعل المطران هنا في توجيهه الرسالة إلى بوش، ليس

(1) «فلسطين الثورة»، العدد 546، تاريخ 1 كانون الثاني 1994، ص 23.

المقصود به الرئيس الشخص، بقدر الإدارة الأميركية وسياستها. «لأن المطران بولس الخوري لطالما كان يعتبر رئيس أميركا ليس إلا واحداً من الأميركيين، لذا لماذا يجب أن نضع المسؤولية على شخص في حين أن المجرم الأكبر هو الإدارة الأميركية» [1].

مرت سنة مثقلة بما تركه المطران الراحل في قلوب الناس من الأسى والشعور بالفراغ القاتل لاحتياج هذه الرعية وهؤلاء المعجبين المتحلقين حول الشخصية الكبيرة، يذكرونه ويذكرون مواقفه وطلعته الجليلة، نصائحه ومقالاته القيمة. كان هؤلاء الناس والمحبون جميعاً وكأنهم ما زالوا يعيشون وخياله لم يفارقهم، وأصبحت ذكراه خبزاً يومياً يتناوله أهله ورفاقه والمحبون، إلى أن انقضى الحول الأول وترسخت ذكراه في القلوب وكأنه لم يمت، وما زال حياً في أفكارهم وفي قلوبهم حتى تحين ذكرى مرور السنة على وفاته. وقد تعودت القلوب والأفكار على التصديق بأنه غاب وانتقل إلى العالم الثاني، ولنأتي معاً لنشهد مرور السنة على وفاة المطران الكبير.

6 - الاحتفالات بالذكرى السنوية لوفاته

في ذكرى مرور سنة على وفاة المثلث الرحمة المطران بولس الخوري، اجتمع أصدقاؤه ومحبوه في لقاء أرادوه أن يكون محطة مميّزة لتذكره واستلهام مواقفه وأقواله. سبعة متكلمين، غالبيتهم من الجنوب، تكفّلوا إحياء صورة ذلك اللاهوتيّ والأديب والقائد والسياسيّ والمفكّر في القلوب والأذهان، فنقلوا على مدى ساعتين إلى الحاضرين الكثيرين كلّ ما عرفوه عنه من خلال علاقتهم المباشرة أو غير المباشرة به.

نظّم اللقاء في «دار الندوة» في الحمراء، وشارك فيه وزير

(1) «النهار»، تاريخ 16 تشرين الأول 1986.

المغتربين علي الخليل، ممثلا رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري، ونائب رئيس مجلس النواب ايلي الفرزلي ووزير الدولة لشؤون الإصلاح الإداري أنور الخليل، والنائب سمير عازار ومتروبوليت صور وصيدا وتوابعهما للروم الارثوذكس وخلف الراحل المطران الياس الكفوري ممثلا البطريرك اغناطيوس الرابع، والمفكر منح الصلح، وحضره أيضا النائبان عصام نعمان وبشارة مرهج، ورئيس الجامعة الأميركية المنتدب الدكتور سمير مقدسي، ورئيس المنتدى القوميّ العربيّ معن بشور والعميد قعقور ممثلا قائد الجيش وعدد من الشخصيّات [1].

بعد كلمة تقديم من السيد فؤاد دعبول تبارى الخطباء، وللذكرى سأدرج فقرات مما قيل في المناسبة:

ومما يستشف من رأي السيد منح الصلح: أن المطران بولس الخوري كان مثقّفاً واسع الاطلاع وأديباً متمكّناً وخطيباً ملهماً وفقيهاً دينياً مفكّراً، في القدر الذي كان رجل صمود في سلوكه ومواقفه. عاش ومات وذهنه وقلبه متعلقان بمفهوم أصيل للدين، يضعه في خدمة كل إنسان في كل مكان، وكان يحلم بلبنان عربي لا يقوم إلا بالصمود ويساير العصر في التفوّق العلميّ. هذا الشيخ المعمّر الجليل غادر الدنيا كما دخلها وعاشها في كل محطات عمره جديد الروح والقلب والعقل. هو رمز اخضر على الأيام في تاريخ التديّن والوطنيّة والفكر الإصلاحي.

إن الدنيا لا سيما الدنيا العربيّة لم تتغيّر جذرياً بما يكفي منذ فتح المطران الخوري عينيه عليها حتى يوم وفاته، ولا سيما في موقعها من ميزان القوى في العالم. وحكمت هذه الحقيقة سيرة

(1) «النهار»، تاريخ 8 تموز 1996.

المطران من يومها الأول إلى آخرها. فجوابه عما حوله كان النقاء والصراحة والعفة والبساطة المطلقة في العيش والحرص على إشاعة قيم التنوّر والتثقيف والتحرّر من التعصّب والجهل والأمانة للمستوى في الفكر والأداء في الكتابة والجرأة في السلوك[1].

وتلاه الفرزلي[2] منوهاً بأن بعض الرجال يعمّر، في التاريخ، ولا يترك له اثر. وبعضهم يصنع التاريخ. المطران بولس الخوري واحد من أعمدة التاريخ الأرثوذكسي، نقول هذا، لا لأنه عاش طويلا حتى ناهز المئة عام. ولا لأن له الطلة المهيبة المفوهة من على منبر الكرسي الإنطاكي... ولا لكونه اللاهوتي والشاعر والناثر... بل لأنه كان قائدا ترك الأباطرة في أبراجهم، وخرج إلى الشعب، يلاقيه حيث يكون، يقاسمه معاناته، وشعاره «فلس الأرملة» أغلى قيمة من دولارات الأغنياء... بل لأنه غرس ذاته في أرض الوطن، فتعمقت جذور إيمانه به، وانتمائه له، وشمخ سنديانة تطل بأغصانها على الإنسانية[3].

وأشاد الوزير علي الخليل بمزايا الراحل، إذ أن المطران بولس الخوري كان قد تجلبب بالمسوح الكهنوتية، فأنه كان إلى جانب ذلك رجل السياسة والوطنية، فكلماته ومواقفه كانت مدوية تدعو إلى مواجهة إسرائيل والتصدي لها ولعدوانها المتمادي الذي تجسّد أخيرا في عناقيد الحقد الإسرائيلي ومجازر قانا والنبطية والمنصوري. فهو القائل إن على اللبنانيين أن يوحّدوا صفوفهم وينخرطوا جميعاً في مواجهة العدو الإسرائيلي الذي لا يميّز بعدوانه بين لبنانيّ، وآخر وبين منطقة وأخرى...

(1) ملحق رقم (10).
(2) ملحق رقم (11).
(3) ملحق رقم (12).

ووجه كلامه إلى المطران الراحل، بأن جميع اللبنانيين في لبنان وبلاد الانتشار، أكّدوا مقولتك هذه حين جسّدوا بمواقفهم الواحدة الموحّدة تجاه العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان، أروع صورة من صور التضامن الوطني. ونقول لك أيضا إن اللبنانيين عازمون أكثر من أي وقت مضى على التشّبث بوحدتهم الوطنيّة والانخراط في العمليّة الانتخابيّة التي كنتم منذ زمن بعيد من السبّاقين إلى خوض غمارها[1].

واستذكر الوزير أنور الخليل أربعة أبعاد أعطت المطران بولس الخوري في معركة الحياة مكان القلب والعقل هي:

- البعد الأول: موقفه الحازم من المسألة القوميّة وعلاقة لبنان بعمقه العربيّ.
- البعد الثاني: هو البعد الوطنيّ الداخليّ.
- البعد الثالث: تمثّلت في شموليّة فكريّة إنسانيّة ميّزت مسيرته اللاهوتية والرعويّة.
- أما البعد الرابع فهو البعد الجنوبيّ. الجنوب الذي انتقل مع المطران بولس الخوري من كونه مسؤوليّة مطرانيّة إلى كونه المدخل الصحيح إلى سلم لبنان وتحرّره ووحدته الوطنية»[2].

أما المطران الياس الكفوري. فقد أعتبر أن التكريم لسلفه العظيم، ما هو إلا تكريم للكنيسة الأرثوذكسية التي كان يعتبر أميراً من أمرائها. الكنيسة التي تقول لنا «ويل لكم إذا قال الناس فيكم حسناً". لأن هذا القول يحمّل رجال الدين مسؤولية كبرى من جهة، ويعرّضهم لتجربة الكبرياء من جهة أخرى. ولكن بعد الانتقال من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الأبدية الدائمة مع الرب، علينا أن

(1) ملحق رقم (13).
(2) «الديار» تاريخ 6 تموز 1996.

نظهر الحقيقة، لنأخذ منها الدرس والعبرة.

فقد أكّد أن المثلث الرحمة المطران الخوري كان يتمتع بصفات حميدة يصعب تعدادها فإلى جانب إيمانه القوي بالله كان يتصّف بالشجاعة والمروءة والكرم والسماحة والتواضع. التي هي من مواهب الروح القدس ومن الصفات العربيّة الأصيلة...»[1].

وتناول النائب عازار «المطران بولس الجنوبي والعاملي» فنقل بعض ما رواه المطران وبعض ما قاله في ظروف معينة، مقدما لمحة موجزة عن أبرز مراحل حياته. ذاكراً تحليله للوضع في الجنوب وحديثه عن الأخطار التي تتهدده، والذي يتمثل باستمرار غياب «الجنوب» عن الوعي السياسي العام وعن أولويات الدولة والسياسة اللبنانية، ومخططات التنمية والإعمال.

وعن إسرائيل، إنها الخطر الدائم. الخطر على الأرض وعلى الماء وعلى الدور وعلى الصيغة. لأنها نقيض ما يطمح إليه لبنان، يساعدها في ذلك استمرار الانقسام الوطني داخل لبنان واستمرار الخلاف على الهوية ودور لبنان وعلاقاته العربية. فلبنان - كما ظل يردد - «لن ينهض ليحمي نفسه وبالتالي جنوبه، إلا إذا ساده التسامح الدينيّ والتعصّب الوطنيّ»[2].

واختتم الأستاذ إبراهيم فهيم الخوري ابن شقيق المكرم الاحتفال بكلمة العائلة مقدماً شكره للأستاذ علي الخليل، وللأستاذ أنور الخليل وللنائب سمير عازار، الذين باسم الجنوب قد سكبوا عطراً على روح الغائب، كذلك قدم شكره لدولة الرئيس ايلي الفرزلي، الذي طالما أظهر محبته للراحل، كذلك تمنى لسيادة المطران الياس الكفوري، التوفيق، في منصبه الجديد، لان قدره أن

(1) «الأنوار»، تاريخ 6 تموز 1996.

(2) «النداء»، تاريخ 6 تموز 1996.

يكمل الطريق الذي رسمه بولس الخوري، وتجديد رسالته.

ثم قدم شكره العميق إلى كل الأشخاص الذين ساهموا في إحياء الذكرى، فقد كانوا أهله والعائلة والأبناء، أنه لبنان كما أحبه المطران بولس الخوري، والوطني كما عاشه[1].

وفي المناسبة وزع على الحاضرين منشوراً تضمن كلمة ألقاها المطران الخوري في 21 تموز 1993 في «دار الندوة» في احتفال تكريمي أقامه «المنتدى القومي العربي» وكانت إحدى الفقرات لافتة كان المطران الخوري يتوجه عبرها الآن إلى مكرميه. ومما قال فيها: «لا شك في أن أخوتي الخطباء الأعزاء بالغوا كثيراً في الكلام عني. لكن لا ننسى أن المبالغة والبلاغة صديقتان. وإنيّ أجد لهذه المبالغة مبرراً على رأسها المحبة... والمحبة هي سرّ الوجود لا الفناء للكون... لأن هذا الكون قائم على قوة الجذب والدفع. وإذا لا سمح الله اهتزت هذه القوة وفقاً لعلم الفلك، خرب الكون كما خرب لبنان عندما فقدت المحبة في قلوب أبنائه[2].

هكذا ختمت التنويهات التي كانت تحيات لهذا الرجل العظيم، وخاتمة لاحتفال هو بمثابة حد لمسيرة حياة لم تنته حتى بعد الموت، وقد تركت وراءها توصيات جُلى على الصعيد العام والخاص.

إن من الناس من ينتهي قبل وفاته ومنهم من ينتهي بالموت وآخرون خالدون رغم فناء الجسد بأقوالهم وأعمالهم، فلا يعود العمر يحسب بعدد السنين بل بالأثر الكبير الذي يتركه في من يحيطون به فيتعدى الزمان والمكان ليكون إنسان كل زمان ومكان.

(1) ملحق رقم (14).

(2) كلمة المطران بولس الخوري في دار الندوة، التي ارتجلها في حفلة التكريم التي أقامها له المنتدى القومي العربي في «دار الندوة»، تاريخ 12 تموز 1993.

❖ خاتمة: تقويم واستنتاجات

شق المطران بولس الخوري طريقه في هذه الحياة، حاملاً مبادئه، مواكباً ضميره، غير آبه لما يعترضه في طريقه نحو العدالة والقيم.

كانت العروبة شغله الشاغل، وقد تحكمت مبادئه القومية والعربية التي آمن بها في جميع جوانب حياته. لذا يعتبر حلقة في سلسلة من المفكرين والأدباء ورجال الدين الكبار العروبيين، أمثال الأديب الكبير أمين الريحاني، ومثله مخائيل نعيمة وفؤاد الجرداق وبولس سلامة، والمطران غريغوار حداد، والإمام موسى الصدر وغيرهم ممن عرفوا على مساحة الوطن العربي.

هكذا كان المطران بولس الخوري، رجلاً فذاً، حياته العملية خليط من تصرفات ومواقف وآراء وقرارات. ترك بصمات إيجابية تحتاج إلى وقت طويل جداً حتى تمحى أو تخف معالمها في ذاكرة الناس. حتى أن بعض الروايات والنوادر التي تناقلها عارفوه والتي تتعلق بما كان يؤمن به ويقوله ويفعله، وحتى ما يمكن أن يصّنف في خانة "التشنيعات". إنمّا بدت كلّها تشهد على عظمة هذا الرجل الذي حار الناس في أمره وقلّ عندهم نظيره فأخذوا يتناقلون أخباراً وحكايات عنه تبرز الرجل في ثوب الكاهن، والكاهن في ثوب الرجل والكاهن في آخر الأمر رجل. فالتسمية ليست وحدها هي تجعل من الكهنوتي رجلاً مسيحياً، «رجل دين»، أن الفهم للكهنوتي المسيحي يفرض علينا أن نعتبره رجلاً في كل معنى للكلمة له أحاسيس الناس ومشاعرهم وحاجاتهم وتطلعاتهم. غير أنه يختلف عن سائر الناس بتكريس نفسه لله والمجتمع.

وكم من المواقف الصادقة جلبت له المشاكل والكره من غير محبي الصدق والصراحة. وهناك أمثلة كثيرة عليها أذكر حادثة

حصلت له أثناء تفقده لأبناء رعيته في ريو دي جينيرو -البرازيل- فبعد تلبيته دعوة عشاء أقامها له سفير لبنان في البرازيل طلب إليه أن يلقي كلمة للمناسبة، فما كان من المطران إلا أنّ قال بصراحته المعهودة ممتدحاً بلاده فهي برأيه أجمل بلاد الدنيا، وأن أبناء بلاده هم أرقى شعب في العالم، ولكن هذا الكلام لم يُستسغ لدى السفير اللبناني، فما كان منه إلا أن اتهمه بشتم البرازيل، وطلب منه الاعتذار عما ذكر، وهنا حمل المطران عصاه، في وجه السفير، مؤكداً له أنه ليس سفيراً للبنان في البرازيل وإنما هو جاسوس لبنان في البرازيل[1].

كان أصحابه والمقربون إليه، يحسبونه قاهراً للموت، لا يموت، ينام مفتوح العينين، شارف على المئة، يدير أبرشيّة تكاد تغطي ربع لبنان، ينظّم ويدبّر ويقضي بأحكام تذهل المرء بمنطقها وبروح العدالة التي تملأ سطورها. وخير دليل على ذلك، انه سنة 1994، عرض عليه مستشاره القانونيّ، أنّ يبدي رأيه في دعوى عالقة لديه، لافتاً نظره إلى أن النص واضح لا يقبل الجدل، وإذ به وهو على أبواب المئة يصرخ به: «القانون عندي ضميري. أنا لا أقضي إلا بما يقضي به هذا الضمير» وقضى بما أملاه عليه ضميره، وطبعاً كان حكمه عادلاً[2].

في حياته اليومية، كان يعمل على تطبيق قاعدة أعمل ما يرضي ضميرك، ولا تهتم لأقوال الناس. لأنّ أقوال الناس برأيه تذهب أدراج الرياح، ويبقى صوت الضمير. فالخوف يجب أن يكون من الضمير. هكذا كان يجزم ويقطع.

عرفه الجميع منذ البداية، رجلًا ثائراً، للحق، واليكم هذه

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 164.

(2) الأنوار، تاريخ 8 تموز 1995.

الحادثة، التي وقعت سنة 1931، وهو لا يزال وكيلاً بطريركياً لأبرشية جبل لبنان، في عهد الانتداب الفرنسي، في حفلة الانتهاء السنوية في مدرسة القسيس الشويفات، حيث دعا الشباب للثورة طلباً للاستقلال والحرية، ممّا ادهش الجميع، وأخذوا يتساءلون هل هذا رجل دين أم رجل ثورة!؟[1].

وهناك حادثة أخرى حصلت في حفلة تأبين رجل دين من أصدقائه ورفقائه في أثينا هو الارشيدياكون مخائيل الحاج (بيترومين – الكورة)، وكان ذلك في كانون الثاني 1933، والحفلة تحت رعاية القائد الوطني الراحل مفتي طرابلس آنذاك عبد الحميد كرامي. قال الأب بولس في تلك الحفلة ارتجالاً، ثم دونت مقولته فيما بعد، «في مدرسة البلمند الإكليريكية يتعلم المرء العلم الصحيح والدين الصحيح باللغة العربية، يأخذ العربي محبة لغته ومحبة وطنه العربي». ثم أكد «انه في أثينا يولد الإنسان ولادة ثانية، يتعرف فيها إلى نفسه من جديد. يعرف أن له شخصية مستقلة وحرية شخصية. في أثينا يزداد المرء محبة لوطنه. هذا بالإضافة إلى أن رجل الدين في اليونان هو أول من حمل علم الثورة على الاستعمار ونادى بالحرب في سبيل استقلال بلاده»[2].

هكذا تكلم المطران الثائر سنة 1933، إبان طغيان الانتداب الفرنسي، وفي جو القانون 110 ل.ر. المعروف بقانون «قمع الجرائم» أي قمع الحريات. والذي سماه المطران قانون حماية الانتداب والمنتدبين من الوطنيين الأحرار الثائرين على الانتداب[3].

فالمطران بولس الخوري في هذه الكلمات دعا أحرار بلاده

(1) الأنوار، تاريخ 14حزيران، 1995.
(2) الأنوار، تاريخ 27 حزيران 1995.
(3) النهار، تاريخ 27 حزيران 1995.

لحمل علم الثورة؟ ألم يكن على حق من قال عنه بأنه رجل ثورة، وانه المطران الثائر في زمن كانت فيه الأكثرية الساحقة من رجال الدين، في كل الطوائف، تتهافت على كسب رضى المفوض السامي؟!.

إنّه قائد لثورة إصلاحية، كثيرون من الناس يصعدون ثم يهبطون، يلبسون لكل حالة لباسها، علمانيين كانوا أم رجال دين. أمّا المطران بولس الخوري فهو على لفته (هم هم). ما لبس إلا ثوباً واحداً إلى جانب ثوبه الديني، هو ثوب القومي العربي الثائر على كل المفاسد والمثالب عند رجال الدين وغير رجال الدين، ثائر مع الحرية ضد العبودية، مع السيادة والاستقلال ضد الاستعمار والمستعمرين، ثائر على التجزئة والتمزق، مع الوحدة والتلاحم. لذلك رأيناه يترشح للنيابة عام 1951، معلناً بكل صراحة، انه سيطالب بفصل الدين عن الدولة. كان صريحاً ومؤيداً للمطران مكاريوس رئيس جمهورية قبرص لأن المطران مكاريوس كان أيضاً رجل الحرية والاستقلال. وكان نصيراً للحركة الوطنية في لبنان وللثورة الفلسطينية أيضاً.

آمن بأنه بالمواهب الخطابية التي لديه، وبوطنيته الصادقة قادرٌ من على منبر مجلس النواب، وبالصلاحيات التي للنائب، أن يخدم بلاده، وان يخدم أبرشيته، واضعاً نصب عينيه، خدمة وطنه وأمته قبل خدمة أبرشيته، وهذا هو قصده من ترشحه للنيابة.

كان عدواً لدوداً لليهود، وحتى لما وصلوا إلى عقر داره، لم يستكن لهم فكان موقفه سلاحاً في وجه الاحتلال الصهيوني. إنه الرجل الفدائي، في معارضته لليهود، فقد كان بإمكانهم أن يغتالوه دون أن يحاسبهم أحد.

لم يكن ليخفي مواقفه ضدهم، فعندما كانوا في داره في

صيدا، قال عنهم انهم غزاة مجرمون، ويجب أن نقاومهم، وطنيته لم تكن تقبل الجدل أو الأخذ والرد، أحب وطنه حتى العبادة، وكان مستعدا لأن يبذل في سبيله دماءه. هذا هو المطران على حقيقته، إنسان متفوق، عبقري.

اقتناعاته، في الوطنية والأخلاق، لم تكن سطحية، لا في طبعه فقط بل في عمله أيضاً، كان موسوعة علمية. ويشهد له على ذلك كل معارفه، سواء في التاريخ أو الآداب أو الفلسفة.

اختزن منذ شبابه المعرفة في اللاهوت، ونظم الشعر وهو ابن عشر سنين، وكان يحفظ وهو على أبواب المئة كل قصائده غيباً. ذاكرته محيط المحيط. كان يحدثك ساعات دون توقف، ولا تلعثم. وبين الفينة والفينة، كان يطالعك بنكتة ظريفة. فإن الظُرف والكياسة والإبداع من ملكاته بالولادة. أديباً وخطيباً مفوهاً، ليس فقط في ميدان الوعظ بل في أي موضوع طرقه على المنبر، سريع الخاطر إلى حد أنه كان يتدفق بالكلام وهو على المنبر، بحيث يصعب على آلات التسجيل أن تتبعه.

وهنا يجب القول إن المطران بولس الخوري، كان شديد النقمة على والديه، لأنهما أرسلاه إلى دير البلمند، ليكون راهباً. فلو ترك الأمر لإرادته لفضّل أن يكون مواطناً مدنياً طوال حياته، حتى أن مستشاره القانوني، وهو الشخص المقرب منه وكاتم أسراره، يقول: «إنه كان رجل دين رغماً من أنفه، ولو ترك له الخيار، لكان رجلاً سياسياً وأديباً وفيلسوفاً فقط»[1]، وكم كان يتمنى لو أقفل في وجهه باب الدخول إلى الكهنوت ولم يصبح رجل الدين[2]. ولكنه عندما أصبح رجل دين راح المطران يتصرف بسلوكه وأعماله كرجل

(1) عبد الله قبرصي، مقابلة أجريت معه، تاريخ 15 أيار 2003.

(2) إبراهيم الخوري، مقابلة أجريت معه، تاريخ 17 آب 2003.

دين، تصرفاً صافياً وحقيقياً. قام بواجباته على أفضل شكل مع ميل بطبيعته إلى السياسة، لان طبيعته لم تكن طبيعة رجل دين، بل رجل سياسة.

فمواقفه السياسية وما رافقها من تحديات وملابسات كلّها تصبّ في النهاية في خانة معتقداته القومية والروحية، وبالرغم من أنه لم يستطيع أن يحقق من أهدافه السياسية إلا القليل الذي لا يذكر، فقد عوّض عن هذا ببعض الإنجازات في المساعدات الاجتماعية على الصعيد الإنساني.

كان للقضية الفلسطينية فدائياً مستميتاً، يردد دائماً إن اليهود أعداءنا إلى أبد الآبدين، وبمعنى آخر لو طلب إليه أن يذهب إلى فلسطين وليقاتل اليهود لذهب. أحب فلسطين كما أحب لبنان، ومسقط رأسه بتعبورة، وأيضاً كما كان يحب مرجعيون. لم يكن بين الوطنيين الذين عملوا لتحرير فلسطين من هو أكثر منه جرأة أو وطنية. لذلك نستطيع أن نقدمه كمثل للمؤمن بالقضية الفلسطينية والمؤمن بالصراع من أجل تحريرها.

وأهم من هذا كلّه، أنه ما كتب كلمة ولا قال قولاً، إلا وطبقه على نفسه. المطران بولس كان صادقاً مع الله ومع إيمانه، صادقاً مع نفسه وتعاليمه، صادقاً مع الناس. لقد عاش كل كلمة قالها أو كتبها.

غريب أمر هذا المطران المثقف، ما جادله مجادل إلا وأفحمه، فمرة رفض دعوة طلاق أقامها أحدهم على زوجته مستنداً إلى القانون، مركزاً على الآية: «ما جمعه الله لا يفرقه إنسان»![1] ومن المؤسف أن هناك عدداً من رجال الدين الذين يخالفون هذه الآية في فعلهم.

(1) النهار، تاريخ 8 تموز 1996.

فهو بالرغم من انتمائه إلى الكنيسة لم يمنعه انتماؤه هذا من اعطاء رأيه بكل تجرّد وصراحة كاملة. خلال عشاء أقيم في منزل السيد محمد الباقي، حين طلب منه الحاضرون إلقاء كلمة عن سبب انحطاط الشرق، مشيراً فيها أن سبب انحطاط الشرق هم رؤساء الأديان[1].

المطران بولس الخوري، كان ظاهرة يُرجى أن تتكرّر، بلغ المئة عام وظل كأنه في الأربعين، ذاكرة قوية، قلب يخفق سالماً وسليماً، لسان بليغ فصيح، صوت يهدر كالرعد، خلّاق مبدع، له ذهن صاف كينبوع الصفاء، خطيب عزّ نظير له في تدفقه وفيضانه. لم يكن يعرف انصاف الحلول. إما حل جذري، أو لا حلّ.

كان حضارياً في تصرفاته اليومية. أصحابه تعلموا منه الوفاء بالوعد، ووجوب التصادم والتحدّي، التضحية والعطاء، وان تكون الحياة موقوفة على الوطن، فيجب على الإنسان أن يحيا للوطن. واستطاع بما له من طرافة ومرح وخفة دم وحضور بديهة وخاطر، أن يجمع حوله الكثير من المحبين والأصدقاء الأوفياء الذين يعجبون بشخصه وببلاغته الخطابية التي تميّز بها. وكان له الكثير من الطرائف، التي يحفظها أصحابه ومعارفه والسامعون به، ولا مجال لذكرها في هذا التقييم. مارس الصحافة في مجلتيه "الأمل" و«الأرثوذكسية»، وألّف العديد من الكتب، مذكرات، محاضرات... ولا أبالغ إذا قلت إن جميعها كانت توزع مجاناً.

أمّا إذا انتقلنا إلى مؤلفاته وتصفحناها كتاباً كتاباً، فإننا سنجد فيها صورة ومرآة لشخصيته النضاليّة الثائرة، على النظم الفاسقة والمسارات الرجعيّة. كما أن هذه المؤلفات كُتبت بلغة ذات

(1) المطران بولس الخوري: ذكريات...، ص 97.

تعابير بليغة، وأسلوب شيّق نستطيع أن نصفه بالسهل الممتنع، قد يُقدر للشرق العربي أن يأتي إلى الحياة رجل مثل هذا الرجل، فينبه النشء إلى واجباته القومية ويقود الجموع بأفكاره وآرائه التقدّميّة، وقد لا يأتي مثله فيما بعد، ولكنّ الأيام كفيلة بأن تبرز ما للرجال العظام من فضل على المجتمعات التي نالت من الغّبن ما ناله مجتمعنا العربي. فبموته لم يخسره أهله، وأصحابه، وطائفته وحسب، إنما خسره العالم العربي ككل.

ومن المآخذ التي نُسبت إليه، العصبيّة. ولكن كان يبرر لنفسه بأنه ولد من بطن أمه هكذا. كان عندما يثور يمكن أن تتخذه مثالاً للرجل المتهوّر، وهذا أيضاً من مآخذ أصحابه عليه، كان يثور إلى درجة بالغة، تبلغ حد الجنون. ولطالما نصحه أصحابه والمقربون منه قائلين، بأنه لا يجوز لرجل دين مثله أن تبلغ عصبيته هذه الدرجة[1].

المطران بولس الخوري، كان إلى جانب وطنيته إنساناً سخيّ اليد حتى التبذير، رغم فقر أبرشيته، ما أتاه سائلُ إلاّ وأعطاه، وهناك شواهد كثيرة على هذا الكلام نذكر منها: أنه عندما كان مهجراً في أوتيل «بلازا» زاره أحد أصدقائه، لتفقده وتقديم المساعدة المالية له، وكان يومها بأمسّ الحاجة للمال، فبعد أن أعطاه الظرف، وغادر، أتاه سائل محتاج من أبناء أبرشيته المهجرين، يطلب منه المساعدة، ومن دون أن يعرف المطران كمية المال الموجودة في الظرف الذي ناوله إيّاه صديقه، أعطاه للرجل المحتاج فأخذه هذا وانصرف.

وهناك حادثة أخرى حصلت معه في آخر أيامه، إذ زاره

(1) منح الصلح، مقابلة أجريت معه، تاريخ 8 آب 2003.

مستشاره القانوني، الذي كان يعتمد عليه المطران في الناحية المادية في أغلب الأحيان، مصطحباً معه ابنته الصغرى، فناول المطران ظرفاً فيه بعض المال ليقضي بعض الحاجات، وهو العالم بأن المطران لا يوجد معه المال، وعند انصراف المستشار، نادى المطران الابنة، وناولها الظرف كهدية لها[1].

عاش المطران الخوري، فقيراً ومات فقيراً، لم تكن للمادة أي أهميّة عنده، فهو لم يكن من هواة جمع الأموال ولم يترك وإن مبلغاً ضئيلاً لنشتري به قنديلاً نضيئه تخليداً لذكراه، ولطالما كان يردّد أن ثروته الحقيقة تتمثّل في مكتبته وكتاباته وأوراقه ومذكراته، التي كان يحرص عليها كما يحرص البخيل على دراهمه، ونراه يصّرح بالألم الذي كان يختلج صدره عندما يتذكر كتاباً قد فقد من مكتبته، أو مقالة لم يحتفظ بها أو فكرة مرت بخاطره ولم يسطرها أو خطبة ألقاها ولم يسجلها، لهذا نستطيع القول بصراحة أن المطران بولس الخوري كان زاهداً بالمال وشغوفاً بالناحية الفكرية ومعتنياً بالكتب إلى درجة اعتبارها مضاهية للثروة المالية[2].

مع هذه الكلمات الأخيرة أضع القلم وأنا على اقتناع بأن ما كتبته هو غيض من فيض حياة هذا الرجل الكبير الذي أرخى بظلاله الفكرية والحياتية على مرحلة دقيقة زمنيّة وسياسيّة في تاريخ لبنان والعالم العربي فكانت هذه الرسالة تاريخاً من تاريخ.

(1) عبد الله القبرصي، مقابلة أجريت معه، تاريخ 15 آب 2003.

(2) المطران بولس الخوري: كلمات، الجزء الثالث....، ص 80.

وثيقة رقم (1)

البراكسيس (الطُرس البطريركي) [1]

«تبارك الله القدوس الذي خلق الوجود من العدم فبرأ الجوهر الحسيّ المنظور وقرن به الجوهر الروحي غير المنظور ليكونا معاً في واحد دليلاً واضحاً على غزير حكمته. فخلق الإنسان من طبيعتين مادية وروحية وجعله منظوراً ومصقولاً من روح وجسد ومنحه سلطة ذاتية وإرادة خاصة يسلك بهما كما يشاء. فالطبيعة المادية هي الجسد الترابي والطبيعة الروحية هي النفس الناطقة العاقلة التي وهبها له بنفخته الإلهية المحببة....

وبما أن حضارتنا قد تقلدت برحمة الله تعالى وبترتيبات المجامع المسكونية المقدسة تدبير وسياسة الأبرشيات المؤلفة منها كرسينا البطريركي الإنطاكي المقدس لم نر جائزاً أن نهمل واحدة منها من راعيها القانوني فنخلو تلك النعمة الجلية الممنوحة من سيدنا يسوع المسيح بواسطة تلاميذه وساريه الرسل القديسين وخلفائهم الآباء الطاهرين بحسب الواجب ملزومون بأن نفرغ جهودنا واهتمامنا باقامة راع في كل أبرشية يكون كفواً لأن يرعى بجدارة رعية المسيح

(1) هو صك براءة من المجمع الإنطاكي المقدس بواسطته يخول متروبوليت صور وصيدا وتوابعهما للروم الأرثوذكس، المطران بولس الخوري، كل الحقوق التي نالها أسلافه الأجلاء من قبل أسلافنا البطاركة الإنطاكيين الجزيل غبطتهم وتقواهم ليكون الولي الشرعي على هذه الأبرشية، وهو مكتوب بخط اليد، مصدره أرشيف كنيسة جديدة مرجعيون للروم الأرثوذكس، بتاريخ 2 حزيران 2001.

الناطقة التي فيها، لذلك وعملاً بقرار المجمع الإنطاكي المقدس في جلسته القانونية المنعقدة في السادس والعشرين من شهر شباط سنة ألف وتسعماية وثمان وأربعين بتعين قدس أخينا الحبيب كيريوس ثيودوسيوس أبو رجيلي الجزيل الطهر والوقار في منصب الرعاية الجبرية في أبرشية طرابلس وما يليها. وبناءً على خلو أبرشية صور وصيدا وتوابعهما المحروسة بالرب من راعيها وحيث أنه لا يجوز تركها بدون راع يتابع عمل سلفه في الخدمة المنصوصة فقد تم انتخاب قدس الأب الروحي الأرشمندريت بولس الخوري بن الخوري جرجس من بتعبورة – لبنان – بروتوسنجلوس أبرشية بيروت الجزيل بره في الجلسة المنعقدة أعلاه مطراناً لأبرشية صور وصيدا وتوابعهما. وبناء على قبول قدسه لدعوة المجمع الإنطاكي المكاني المقدس فقد تمت سيامته رئيس كهنة ومطراناً قانونياً على أبرشية صور وصيدا وتوابعهما المحروسة من الله بموجب القوانين الكنائسية في قداس إلهي خدمناه في كاتدرائية القديس جاورجيوس...

فنحن برحمة الله تعالى الكسندروس الثالث بطريرك إنطاكية وسائر المشرق ننصب بهذا البراكسيس البطريركي الشريف قدس الأخ الحبيب كيريوس بولس الخوري الجزيل طهره ووقاره متروبوليتاً قانونياً على أبرشية صور وصيدا وتوابعهما المحفوظة بالرب ونخوله كل الحقوق التي نالها أسلافه الأجلاء من قبل اسلافنا البطاركة الانطاكيين الجزيل غبطتهم وتقواهم ....

وثيقة رقم (2)

ترميم كنيسة برج الملوك - الخربة (1)

«بتاريخ 8 كانون الأول 1949 زرنا كنيسة الخربة ورأيناها مهدّمة وفهمنا ما يلي:

أنها تهدمت أثناء الحرب 1941.

وأن رئيس الجمهورية زارها بنفسه أثناء جولته المعروفة ووعد الأهالي علناً بإعطائهم ثلاثة آلاف ليرة لبنانية مساعدة لتجديد بنائها».

(1) ملاحظة كتبها في يومياته، حصلت عليها عن طريق قدس الأب فيليب حبيب العقله، كاهن رعية جديدة مرجعيون – البويضة – (أرشيف الكنيسة)، بتاريخ 17 تموز 2003، تكمن أهميتها بأنها وثيقة تثبت كم كان يشعر بواجبه تجاه ترميم وتحسين أماكن العبادة.

وثيقة رقم (3)

بطريركية إنطاكية وسائر
المشرق للروم الأرثوذكس
دمشق

شراء قطعتي أرض في بلدة حاصبيا[1]

«نحن الياس الرابع بطريرك إنطاكية وسائر المشرق الولي العام على جميع الأديرة والأوقاف التابعة لولايتنا فوضنا سيادة أخينا بولس مطران صور وصيدا وتوابعهما شراء العقارين رقم 3622 و 3432 من منطقة حاصبيا العقارية لوقف طائفة الروم الارثوذكس في بلدة حاصبيا التابع لولايتنا وفوضناه دفع الثمن الذي يراه مناسباً مع التوقيع على جميع الأوراق واستلام الصكوك الخاصة بهذين العقارين.

عن مقرنا الصيفي في دير مار الياس شويا في 21 ايلول 1974».

بطريرك إنطاكية وسائر المشرق

(1) وثيقة مطبوعة على الآلة الكاتبة تحمل توقيع بطريرك إنطاكية وسائر المشرق الياس الرابع هزيم، تكمن أهميتها بأنها الوثيقة الوحيدة الموجودة للدلالة على هذا الموضوع، حصلت عليها بواسطة قدس الأب فيليب حبيب العقله (أرشيف الكنيسة)، بتاريخ 1 آذار 2003.

وثيقة رقم (4)

بيع قطعة أرض في حاصبيا[1]

«7000 سبعة آلاف ليرة لبنانية لا غير

بتاريخه أنا الموقع أدناه قد قبضت من سيادة المطران بولس الخوري المبلغ المرقوم أعلاه وقدره سبعة آلاف ليرة لبنانية وهو ثمن الأرض التي تخصّ المدرسة الأرثوذكسية في حاصبيا التي باعها سيادته إلى السيد مهنا وديع أبو غيدا وللبيان وقعت هذا الإيصال بتاريخ 1969/11/22».

مهنا أبو غيدت   إبراهيم رشيد حبيب

(1) وهي بخط يد المطران بولس الخوري، تحمل توقيع سيادته إلى جانب توقيع صاحب العلاقة إبراهيم رشيد حبيب وتوقيع الشاهد رياض أبو كمر، تكمن أهميتها بأنها المرجع الوحيد بهذا الخصوص، حصلت عليها بواسطة قدس الأب فيليب حبيب العقله (أرشيف الكنيسة)، بتاريخ 25 كانون الأول 2002.

وثيقة رقم (5)

تخص بستان الزيتون في مرجعيون[1]

«بستان الوقف في مرجعيون

قلنا لكم أمس: إننا فوضنا القواص السيد جورج أبو مراد باستثمار البستان الذي تعب على غرس الزيتون فيه فقلتم أنكم ستتفاوضون مع المذكور بشأن البستان المذكور. وبعد انصرافكم اطلعنا على سجل الصادارات المحفوظ لدينا فتبين لنا أن التفويض الذي أعطيناه للقواص ينحصر في استثمار أشجار الزيتون فقط لا غير وهذا نصه:

لما كان السيد جورج نعوم أبو مراد من جديدة مرجعيون قد تعب في غرس أشجار الزيتون في البستان المعروف باسم (بستان البلد) ملك وقف الروم الأرثوذكس في جديدة مرجعيون. لذلك نفوضه باستثماره مقابل الفلاحة والتشحيل.

تفويضاً تاماً لمدة تنتهي عام 1966 وللبيان حرر في 1987/4/12.

وعليه يكون التفاوض بشأن الأرض غير المغروسة التابعة للبستان معنا مباشرة. وهنا ننقل لكم العبارة التي وردت في جوابنا

(1) مطبوعة على الآلة الكاتبة، تحمل توقيع المطران بولس الخوري، وهي بدورها تثبت ملكية البستان الذي اشتراه المطران، وأمر بغرسه زيتوناً لوقف الروم الأرثوذكس في جديدة مرجعيون، حصلت عليها من قدس الأب فيليب حبيب العقله (أرشيف الكنيسة)، بتاريخ 23 أيلول 2003.

المؤرخ في 1987/2/13 وهذه هي بالحرف الواحد: «يملك وقف الجديدة بستاناً غرسناه أشجار زيتون وهو تابع لنا مباشرة ونعتبره حرماً مثل المطرانية وتوابعهما.

هذا بشأنه ونعمة الله تحفظكم».

المطران بولس الخوري

وثيقة رقم (6)

بيع قطعة أرض في بلدة أبو قمحا[1]

«نحن الياس الرابع بطريرك إنطاكية وسائر المشرق الولي العام على جميع الأديرة والأوقاف التابعة لولايتنا قد فوضنا سيادة أخينا بولس مطران صور وصيدا وتوابعهما بيع العقار رقم 4010 من منطقة حاصبيا العقارية التابع لوقف كنيسة مار جرجس قرية أبي قمحة التابعة لولايتنا في قضاء حاصبيا وفوضناه قبض الثمن والتوقيع على جميع المعاملات المتعلقة بهذا العقار أمام جميع الدوائر العقارية المختصة.

من مقرنا الصيفي في دير مار الياس شويا البطريركي في 21 ايلول 1974».

بطريرك إنطاكية وسائر المشرق

(1) مطبوعة على الآلة الكاتبة، تحمل توقيع البطريرك الياس الرابع هزيم، وهي الوثيقة الوحيدة الموجودة المتعلقة بهذا الموضوع، حصلت عليها من قدس الأب فيليب حبيب العقله (أرشيف الكنيسة)، بتاريخ 14 نيسان 2003.

وثيقة رقم (7)

تخص المدرسة الأرثوذكسية[1]

«بناء على تكليف غبطة بطريرك إنطاكية وسائر المشرق السيد الكسندروس الثالث الفائق الاحترام المؤرخ في 30 آب 1953 قد درست قضية الكلية الوطنية في مرجعيون وسمعت أقوال الطرفين وأعطيت القرار الآتي».

أولاً: يدفع السيد فضلو الحوراني لسيادة المطران بولس الخوري مبلغ ألف وخمسمائة دولاراً (1500$) اميركيا لقاء تنازل سيادته عن حقوقه الماضية الكاملة إن من جهة بدل الإيجار أو من جهة الأثاث. أما الخمسمائة دولاراً فتدفع نقداً وعداً وأما الألف دولار فيرجى من السيد فضلو أن يدبرها بأقرب وقت ممكن.

ثانياً: يؤجر سيادة المطران بولس بصفته الولي الشرعي على أوقاف أبرشيته للسيد فضلو الحوراني بصفته متولياً إدارة شؤون كلية مرجعيون الوطنية البناية التي موقعها الطابق السفلي من دار مطرانية الروم الأرثوذكس في جديدة مرجعيون لاستعمالها لمصلحة كلية مرجعيون الوطنية بمبلغ ألف ومئتي ليرة لبنانية سنوياً تدفع ثلاثة أقساط متساوية الأول في تشرين الأول والثاني في كانون

---

(1) بخط يد المطران بولس الخوري، تحمل توقيعه إلى جانب توقيع السيد أديب عيد، تبرز الدور الذي لعبه المطران الخوري في حل مسألة المدرسة الأرثوذكسية، حصلت عليها بواسطة قدس الأب فيليب حبيب العقله، (أرشيف الكنيسة) وتعتبر من الوثائق المهمة لأنها الوحيدة التي وجدت بعد تعرض المدرسة إلى ويلات حرب سنة 1976، تاريخ 2 تموز 2003.

الثاني والثالث في أيار من كل سنة ابتداء من تاريخه أدناه.

ثالثاً: تكون صفة كلية مرجعيون الوطنية لا طائفية - أي ليس لإحدى الطوائف أية علاقة بها.

رابعاً: إن علاقة السيد فضلو حوراني بهذا القرار هي لكونه المتولي لشؤون كلية مرجعيون الوطنية ومتسلم ماليتها.

خامساً: هذا ما اوحاه لي ضميري لحل هذه المشكلة على هذه الصورة التي رايت فيها المصلحة العامة وليس القصد من اعطاء هذا الحل تحديد المسؤوليات ولا توجيه اللوم لحد أي كان.

سادساً وأخيراً: لقد نظمت من هذا القرار ست نسخ واحدة ترفع لغبطة البطريرك وثانية لسيادة المطران وثالثة للسيد فضلو الحوراني ورابعة للأستاذ لبيب غلمية وخامسة تبقى بيدي وسادسة للاحتياط».

تحريراً في 2 أيلول 1953 أديب عيد

للموافقة المطران بولس الخوري

وثيقة رقم (8)

بعد السلام بالرب يسوع[1]

«حيث أننا قد استغنينا عن خدمات سيادة الأسقف اثاسيوس صليبا.

وحيث أننا بحاجة إلى أسقف يعاوننا في رعاية أبرشيتنا المحفوظة من الله.

لذلك قد عيناكم معاوناً لنا وكلفناكم بالمهمات التالية:

1 – ترأس الخدمات الدينية في جميع كنائس الأبرشية. ولكم أن تقبلوا ما يجود به المؤمنون عن هذه الخدمات.

2 – إعطاء الإذن بالأكاليل وتسجيل وثائق الزواج. ولكم أن تستوفوا الرسوم القانونية عن هذه المعاملات.

3 – الاطلاع على حسابات الأوقاف. وتنظيم ميزانية سنوية لكل وقف. وذلك بالتعاون والتفاهم والاتفاق مع كاهن الكنيسة ووكيل وقفها. ونعلمكم أننا سبق وقررنا الحد الأدنى لراتب الكاهن الشهري مائة ألف ليرة لبنانية توزع على الكنائس التي يخدمها الكاهن بالنسبة إلى إمكانية كل وقف وتدفع للكاهن سنويا. ويجب أن يخصص في ميزانية كل وقف مبلغ سنوي لمطران الأبرشية.

(1) تحمل توقيع المطران بولس الخوري، واللافت هنا أنه بالرغم من تقدمه بالسن فهو الراعي الصالح الذي لا يترك قطيعه أبداً، لذا أرسل الأسقف استفانوس حداد ليقوم بهذه المهمة بالنيابة عنه، حصلت عليها من أرشيف مطرانية جديدة مرجعيون، بتاريخ 22 أيار 2003.

تراعى في تحديده إيرادات الوقف السنوية والرصيد الباقي في الصندوق والمبالغ المودعة في المصارف. ويدفع هذا المبلغ للمطران على أقساط.

كذلك يجب أن يخصص في الميزانية مبلغ سنوي للأسقف المعاون تراعى في تحديده إمكانية الوقف ويدفع للأسقف المعاون على أقساط أيضاً.

4 – نشر التعليم الديني. وخاصة بين الشبيبة. وذلك بالتعاون مع كهنة الأبرشية ومع حركة الشبيبة الأرثوذكسية (في مرجعيون) ومع جوقة الشبان الأرثوذكس (في حاصبيا) ومع الجمعية الخيرية الأرثوذكسية (في راشيا الوادي) ومع المدرسة الأرثوذكسية في مرجعيون التي هي مفخرة من مفاخر الأبرشية العامرة والتي ستبقى عامرة مهما قست الأيام بفضل أبنائها الأشاوس.

وإننا نوصيكم بكهنة الأبرشية وبوكلاء أوقافها الذين بفضل تمسكهم بالإيمان القويم بقيت كنائس الأبرشية مفتوحة طيلة هذه الحرب القاسية تسمع كلمة الله ويؤدي المؤمنون فيها واجباتهم الدينية بصورة طبيعية بالرغم من هذه الظروف الصعبة التي يعيشونها وخاصة المقيمون منهم ضمن الشريط الحدودي. ونخص بالذكر الكهنة الأجلاء الذين يسهرون على الحظيرة ولم يخرج منها واحد ولله الحمد.

ولما كان غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع السامي الاحترام هو سيدنا ورئيسنا ورئيسكم. فقد رفعنا الأمر إلى غبطته والتمسنا منه الموافقة على تعيينكم ليصبح صالحاً للتنفيذ.

هذا بشأنه ونعمة الله فلتكن معنا دائماً.

صيدا في 1992/3/31　　　　المطران بولس الخوري

وثيقة رقم (9)

وصيتي[1]

«لمّا كنت قد أصبحت في الرابعة والثمانين من عمري. ولا أعلم متى ستأتي ساعتي. وقد قال السيد المسيح: "كونوا مستعدين لأنكم لا تعلمون متى ستأتي الساعة" لذلك رايت وأنا بكامل صحتي أن أكتب وصيتي وهذه هي:

1 – أرجو أن أدفن في القرية التي ولدت فيها (بتعبورة) إلى جانب إخوتي ووالدتي وأجدادي.

2 – أرجو أن تسلم الكتب والمفكّرات والأوراق الخاصة بي إلى ابنيّ شقيقي إبراهيم ونزار فهيم الخوري. أما ثيابي الخاصة فأرجو تسليمها إلى القّواص جورج أبو مراد. وله أن يتصرف بها كما يشاء. وأما البدلات الكنائسية والتيجان والعكازات وما يتبعها. فتبقى للمطران الذي سيأتي بعدي.

3 – إن البنايات التي شيّدتها في جديدة مرجعيون. وقطعتي الأرض المغروستين زيتوناً اللتين اشتريتهما في حاصبيا. وكل ما يكون قد سجّل في الدوائر العقارية باسمي. فهذه كلها هي للوقف الأرثوذكسي.

4 – وأخيراً إذا بقي مبلغ من المال الذي أودعته في البنك

(1) هي الوصية الشخصية للمطران بولس الخوري، وهي بخط يد المطران الخوري، وحاملة إمضاءه الشخصي، حصلت عليها من الأستاذ إبراهيم الخوري، وهي الوثيقة الأصلية، بتاريخ 10 أيار 2003.

المسمى (بنك صباغ والفرنسي للشرق الاوسط ش.م.ل.) فهذا المبلغ هو لوقف راشيا الفخار الأرثوذكسي.

هذه هي وصيّتي. فأرجو من أصحاب العلاقة تنفيذها ولهم الشكر والحمد لله أولاً وأخيراً».

صيدا في 17/ 3/ 1980

ملحق رقم (1)

الكلمة التي ألقاها في مناسبة سيامته
3 تشرين الأول 1948[1]

«مولاي صاحب الغبطة

عندما شملتموني بعطفكم واخترتموني مع مجمعكم المقدس لرعاية أبرشية صور وصيدا وتوابعهما خلفاً لسيادة المطران ثيودوسيوس الذي انتدبتموه لرعاية أبرشية طرابلس وما يليها، رحت أقلب الكتب اللاهوتية مراجعاً فيها واجبات الراعي، وما أن برزت أمام عيني تلك المسؤوليات الكبرى الملقاة على عاتقه حتى أدركت لماذا تهرب من رئاسة الكهنوت أمثال غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم.

وكيف لا يتهرب أمثالهما من رئاسة الكهنوت ورئيس الكهنة هو نائب المسيح على الأرض. وأنىّ لإنسان أن يمثل الإله تمثيلاً كاملاً وهو القائل «ليس كاملاً غير الله».

رئيس الكهنة هو حامل رسالة المسيح وما ادراك ما رسالة المسيح؟ المسيح الذي أسس على الأرض مملكة سماوية دعامتها الكبرى الفقر الاختياري فقد قال لذلك الشاب الغني - إذهب بع كل

(1) الكلمة موجودة في كتابه تحت عنوان "كلمات"، الجزء الثاني، ص 66، وقد ارتجلها في كاتدرائية مار جرجس في بيروت، بتاريخ 3 تشرين الأول 1948، وهي تبين مدى وعي المطران الخوري للمسؤولية التي ألقيت على عاتقه بسيامته الجديدة، فكانت بمثابة خطاب قَسم استلهمه طوال حياته الكهنوتية.

مالك وتعال اتبعني - وقال له تلاميذه: «هو ذا نحن تركنا كل شيء وتبعناك».

واليوم عندما رقيتموني إلى هذه الدرجة الكهنوتية العليا بوضع يدكم المقدسة تذكرت أن هذه النعمة قد انتقلت بوضع اليد من الرسل الأطهار الذين اختارهم المسيح من بين الرسل السبعين إلى خلفائهم الذين اختاروهم من بين المؤمنين الكثيرين. وهكذا بالتسلسل وصلت هذه السلطة إليك يا خليفة الرسولين بطرس وبولس مؤسسي هذا الكرسي الإنطاكي المقدس الذي انجب للعالم أمثال يوحنا الذهبي الفم وابن وطنك يوحنا الدمشقي.

وعندما البستموني هذا «الصاكوس» الذي ستر حقارة جسدي فهمت كيف تكمّل النعمة الإلهية نقائص نفسي.

وعندما وضعتم على كتفي الضعيفتين هذا «الأوموفوريون» شعرت بثقل المسؤوليات الملقاة على عاتقي فجزعت. ولكن عندما سلمتموني هذه العصا التي صرت بحاجة للاتكاء عليها تشجعت لأنها تشير إلى الحقوق الرعائية التي تمكنني من الاضطلاع بواجباتي.

وعندما زينتم صدري بهذا الانكولبيون اطمأن قلبي إلى هذه الوسمة الكنسية وارتاح ضميري إلى المجاهرة بالعقائد والتعاليم التي أخذتها عن آبائي وأجدادي وثبتني فيها أساتذتي في المدارس التي تخرجت منها ورؤسائي الذين رافقتهم في إدارة شؤون الكنيسة.

وعندما كللتم رأسي بهذا التاج الكريم اكتملت الصورة التي تمثل السيد المسيح. فهذا إكليل الشوك الذي وضع على هام السيد قبيل إقدامه على الآلام الطوعية. وهذه طريق الجلجلة قد انفتحت أمامي أعني بها طريق الجهاد والتضحية وها أنا ذا أضع نفسي على

هذه الطريق مطمئناً إلى النتيجة لأني مؤمن بالبعث والقيامة. بعث الأفراد وقيامة الأمم. وإني أستمد شجاعتي هذه من الله القائل «إن قوتي بالضعف تكمل» أستمدها من غبطتك يا صاحب العزيمة الفولاذية والإرادة الحديدية والعلم الغزير والاختبارات الطويلة. يا من سرت في طريق الجلجلة وكنت بطلاً فوصلت ولكن ليس إلى خشبة الصليب بل إلى العرش الذي تحتله عن جدارة واستحقاق.

وها أنا ذا أعاهد الله أمامك وأمام هؤلاء السادة المطارنة الأجلاء الذين اشتركوا مع غبطتك بوضع أيديهم علي وأمام هذا الشعب الغفير بأني سأكون بالنسبة اليك ذلك الابن المطيع لأوامرك. وبالنسبة إليهم ذلك الأخ الأصغر المتعاون معهم على رفع شأن هذا الكرسي الإنطاكي العريق في المجد والكرامة وبالنسبة إلى أبرشيتي ذلك الراعي الذي يبذل نفسه عن الخراف وبالنسبة إلى وطني ذلك المواطن الأمين الذي يضع محبة الوطن فوق محبة الأهل والأقربين على مذهب سقراط القائل: «محبة الوطن فوق الجميع».

وإني أشكر غبطتكم على هذا الاعتناء بي وأشكر السادة المطارنة الذين غمروني بمحبتهم وعواطفهم النبيلة وأخص بالذكر سيادة مطران بيروت الذي احتضنني طيلة هذه السنوات التي قضيتها في خدمة هذه الكاتدرائية المقدسة. أشكر الوفود التي تكبدت مشاق السفر لحضور هذه الحفلة، من طرابلس والكورة وجبل لبنان ومن أبرشيتي.

أشكر الحكومة اللبنانية التي مثّلها بيننا معالي رئيس الوزارة بالوكالة الأستاذ جبرائيل المر وسعادة محافظ المدينة الممتازة نقولا بك رزق الله ونائب الجنوب الأرثوذكسي الأستاذ نصار غلمية والقواد والجنود البواسل. أشكر الحكومة اليونانية التي مثّلها بيننا القائم بأعمال المفوضية اليونانية في بيروت.

أشكر إخواني الكهنة الوقورين وجميع الذين حضروا هذه الحفلة المقدسة وأرسل إلى المغتربين الأعزاء من الأهل والاصدقاء ومن أبناء أبرشيتي المحفوظة من الله أطيب التحيات وأصدق التمنيات وأرى لزاماً في ختام كلمتي أن أرفع خالص الشكر إلى فخامة رئيس الجمهورية المعظم الذي أناب عنه في هذه الحفلة معالي رئيس الوزراء بالوكالة.

وأسال الله تعالى أن يأخذ بيدنا جميعاً للقيام بواجباتنا نحو الكنيسة المقدسة والوطن العزيز».

ملحق رقم (2)

كلمة المطران بولس الخوري في دار الندوة
12/ 7/ 1993[1]

«تحية عربية طيبة

قبل أن أبدأ بكلمتي التي أرجو أن تكون قصيرة توفيراً عليكم لا عن بخل. أتقدم بالشكر والامتنان من أعضاء المنتدى القومي العربي الذين فكروا وأقاموا هذه الحفلة، وإلى دار الندوة التي استضافتنا، وإلى إخوتي الخطباء الذين تحدثوا عني بالذي فيهم بلغة إخواننا بني معروف. كما أتقدم بالشكر والامتنان من سيادة المطران الياس عودة، متروبوليت بيروت وتوابعها، الذي شرّف هذه الحفلة بحضوره الكريم، وأتقدّم بالشكر من السيدات والسادة الذين نوّروا القاعة كما يقول المصريون.

لا شك في أن إخوتي الخطباء الأعزّاء قد بالغوا كثيراً في الكلام عني، ولكن لا ننسى أنّ المبالغة والبلاغة شقيقتان، وإني أجد مبررات لهذه المبالغة على رأسها المحبة، وعين الرضى عن كل عيب كليلة، المحبة يا إخوتي هي سر الوجود لا الفناء، الفناء للكيف، سر الوجود هو المحبة لأن هذا الكون لا بداية ولا نهاية له وهو قائم على

(1) هي الكلمة الأخيرة التي ألقاها بمناسبة تكريمه، نشرتها عدة صحف منها جريدة النهار، تاريخ 12 تموز 1993، وقد ارتجلها. تكمن أهميتها أنها تدل على وعي المطران الكامل رغم تقدمه في السن وإتقانه للغة العربية وثباته على الخط نفسه الذي بدأ به حياته.

قوة الجذب والدفع وهذه هي المحبة. وإذا لا سمح الله اهتزّت وفقاً لعلم الفلك هذه القوّة، خرب الكون.... كما خرب لبنان عندما فقدت المحبة من قلوب أبنائه تماماً...

أحار من أين أبتدىء وإلى أين سأصل... جاء في بطاقة الدعوة علم من أعلام العروبة... لا أجد مبرراً لهذا اللقب، ما هو العلم؟ قطعة قماش ورق نرسم عليها رمز الوطن ولكن عندما نرفعها نضرب لها السلام فهذه التحية رمز الوطن، أنتم الذين رافقتموني، أنتم رمز الوطن وأنا أعتزّ بهذه المنحة وأعتبرها أعظم وسام نلته في حياتي، وهذا الوسام يستحقني لانني بدأت بالعروبة وسأموت بالعروبة...

أرى من الواجب أن يذكر الإنسان فضل الذين أوصلوه إلى مثل هذا.. أبدأ بالبيت، ولدت في بيت كان مفتوحاً للجميع دون تمييز بين طبقة أو رتبة أو دين أو مذهب، كنت أرى في بيتي في بتعبورة-الكورة بطريرك الروم والموارنة، مطران الروم والموارنة، كهنة الروم والموارنة، مشايخ الإسلام من كل المذاهب وكان أخلص صديق لوالدي الحاج محمد الشلق من كفريا، وكان معلم مدرستنا الأرثوذكسية الوطنية الشيخ حسين، وصداقة والدي مع المطران - البطريرك الشهير في ما بعد - الياس حويّك هي التي أدخلتني إلى مدرسة مار يوحنا مارون. ولا أنسى معلمينا الروّاد... أما في البلمند في ذلك الحين، فقد كانت الدروس أصبحت باللغة العربية على أثر تحرير الكنيسة الإنطاكية العربية... في تلك المدرسة (بتحفظ) علّمونا أننا عرب وأن نحب أمتنا العربية وأن نبغض الأجانب... وأن نحاربهم ونحرر بلادنا منهم...

في جامعة أثينا كان أساتذتنا يقولون لنا أن يحب كل منّا امته ووطنه لا أن يحب الأجانب بمن فيهم اليونان... إن إخوتي كان لهم تأثير عليّ. كنت بعمر عشر سنوات عندما نشرت في جريدة أخي

وكان أخواي الأكبران نسيم وإبراهيم يعيشان ببوسطن - الولايات المتحدة الاميركية - في بيت واحد مع جبران خليل جبران، اللذان الفا جمعية كان جبران عضواً فيها. وأخي الأصغر فهيم كان من مؤسسي عصبة العمل القومي، وعاش ومات رمزاً على نهج العروبة الناصعة والمضحية.

وهناك جندي مجهول ابن عمي أسعد بشارة الخوري في البرازيل ألّف حزباً اسمه الحزب الوطني، ولدي قوانينه وأصدر مجلة باسم الوطن الحر، وكان والد انطون سعادة عضواً في هذا الحزب... كل هؤلاء أثّروا بي، لكن اسمحوا لي أن أذكر شخصاً من باب قول الحق... قرأت لمصلحين كثيرين خصوصاً للإمام محمد عبده كل الكتابات، تفسير القرآن.. قرأت لتولستوي... وعدد من المصلحين وسقراط.. قرأت كثيراً وكان الثائر الأول السيد المسيح...

لا أنسى والدتي خريجة المدرسة الألمانية ومؤسسة أوّل مدرسة ومركزها بشمزين، كانت لا تعرف التعصب، متدينة، تستغرب كيف يكون مؤمن متعصباً... كنت أرى عندها أم محمد وأم حنّا... لم يكن للتعصب مكان في بيتنا... لا إخوتي ولا ابن عمي، كلهم هؤلاء أثروا عليّ.

قبلت كل ما أفضلتم علي به، ولكن اسمحوا لي أن أهدي الدرع إلى من هو أحقّ مني سأقول في آخر الكلمة لمن سأهديها، لن ننسى الجنوب والبقاع الغربي وصيدا وصور ومرجعيون وحاصبيا وراشيا، حيث وجدت نفسي منذ 1947 في خندق واحد مع المنظمات والأحزاب التقدمية التي تؤمن بالعروبة وهذا ما كنت أفتش عليه وأقرّ وأعترف أنّ هذه المنظمات والأحزاب، وخاصة التنظيم الشعبي الناصري، قد أحاطوني بمحبتهم وعنايتهم والمحافظة على حياتي وكرامتي فلم يُلحَق الضرر بأي كنيسة أرثوذكسية في منطقة صيدا وغيرها...

أنا أحد مطارنة الكرسي الإنطاكي العربي، الذي جاهد وتحرّر من الأجانب. مطارنة الكرسي الإنطاكي كلنا عرب وبطريركنا غريغوريوس حداد الذي خدمت معه في شبابي قال لرئيس أساقفة اليونان أنتم مسيحيون من الدرجة الثانية ونحن من الدرجة الأولى، لأننا أعطيناكم مريم العذراء والسيد المسيح...

أرسل من على هذا المنبر العربي كلمة الى إخواني العرب الموجودين في كل مكان ويشفع بي عمري 97 سنة. يا إخواني العرب، إذا كنتم تريدون عن صحيح تحرير فلسطين فالذين سيحررون فلسطين هم نساؤها وأطفالها وثورة الحجارة، لا المفاوضات، لن يحرر فلسطين إلا ثورة الحجارة فقط.

إلى ثورة الحجارة اهدي هذه الدرع، ليعلم العرب وأصدقاء العرب وأعداء العرب وإسرائيل أنّ ثورة الحجارة ستدوم الى أن تتحرّر فلسطين، وما على العرب إذا كانوا يريدون التحرير إلا أن يدعموا ويقوّوا هذه الثورة».

ملحق رقم (3)

الرئيس الياس سركيس[1]

«يقول الفيلسوف الفرنسي رانان:

«إذا مشى عظماء الرجال صفاً صفاً ففي الصف الأول يمشي الصالحون».

«إذا صح هذا القول يكون الياس سركيس من العظماء لانه كان صالحا.

وإذا كان لم يوفق خلال رئاسته. فالمسؤولية تقع على الدول العربية التي استنجد بها. ووضع لبنان أمانة بين يديها. كما تقع المسؤولية على فعاليات لبنان.

ويمكنني القول أن مسؤولية بقاء لبنان حتى اليوم رازحاً تحت أثقال الحرب الدامية تقع على الطرفين أي الدول العربية والفعاليات اللبنانية.

أقول هذا ولا أقول إن المسؤولية العظمى تقع على إسرائيل وأميركا لأن هاتين الدولتين عدوتان للبنان ومن مصلحتهما أن لا يكون لبنان أو أن يكون مزرعة لهما.

أما الدول العربية والفعاليات اللبنانية فلا عذر لها. لأن لبنان بالنسبة إليها هو كل شيء، ووجوده لازم لها.

أما الياس سركيس كشخص فقد أثبت طوال مدة رئاسته أنه

(1) الكلمة موجودة ضمن أرشيف المطران بولس الخوري، وهي مطبوعة على الآلة الكاتبة، تدل على الصلة التي تربطه بالرئيس سركيس، وموقفه السياسي منه.

كان مخلصاً للبنان وكان نزيهاً ونظيف اليد حتى سمي رئيس الفقراء وفقير الرؤساء. والبارز في سيرة حياته أنه جاء من قرية متواضعة ومن بيت متواضع. وأن قريته اللبنانية كانت نموذجاً للعيش المشترك بين اللبنانيين على اختلاف طوائفهم. وكان رحمه الله يدعو دائماً إلى التعايش والوحدة الوطنية.

وربما كانت غصة في قلبه أنه لم يتمتع بانتهاء الحرب على عهده وعودة لبنان إلى ما كان عليه من الازدهار.

لقد عرفت الفقيد الكبير يوم كان رئيساً لديوان الأمير فؤاد شهاب وبقيت على اتصال به وهو رئيس الجمهورية. وكان يخصني بمحبته ولطفه. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته».

ملحق رقم (4)

عظة البطريرك الرابع هزيم [1]

«أيها الأعزاء، كما سمعتم في هذه الخدمة الشريفة، أن مناسبة الموت عندنا هي مناسبة نذكر فيها أن الإنسان لم يخلق للموت، ولكنه خلق منذ الأساس للحياة. الإنسان لم يخلق ليدفن، وإنما خلق الإنسان ليتجلى، ولكنه كما أن كل شيء ينقلب في هذه الدنيا، ففي فترة من الفترات، فإن هذا الإنسان الذي أعطي أقصى ما يمكن أن يعطى، وأفضل ما يمكن أن يعطى، أعني الحياة، قد أدخل فيها عنصراً هو ذاته يميتها.

الاعتقاد بالقيامة، بشارة رددها وشدد عليها. الأخ الراقد بالرب، عميد مطارنة الكرسي الإنطاكي، المطران بولس الخوري، بشر بهذه العقيدة. ورددها عشرات من السنين. ولا تعد الآذان التي سمعت منه بشارته هذه، وقد كان من خير من يوصل بالكلمة معنى للناس؛ عرف عنه خطيباً، وعرف عنه فصيحاً، ولم يكن وحده من الفئة التي كانت تزين كنيستنا المقدسة بفصاحتها، فقد كان له رفاق سبقوه إلى عالم الخلود، وكانوا أيضاً من المجمع العلمي العربي، فكان معروفاً المطران ابيفانيوس قبله، وكان معروفاً علماء كثيرون قبله، والآن هو يتبعهم وصوته لا يزال يرن في آذاننا. وفي آذاني لأنني عايشته الوقت الطويل، عايشته في هذا المكان، في بيروت، في كنيسة مار جرجس، حيث كان يخدم، وكنا نسبح الله على صوته وعلى كلماته.

(1) نشرت في جريدة النهار، تاريخ 6 تموز1990، وهي تدل على تقدير الكنيسة لشخص المطران الخوري.

لا يمكنني أن أختصر تاريخ قرن تقريباً، ببعض من الكلمات، ولكن اسمحوا لي أن اقتطف بعض الزهرات، من هذا التاريخ، تاريخ مثلث الرحمات أخينا المتروبوليت بولس الخوري: فهذا إنسان ولد في بيت تبارك بالنعمة الإلهية. اليوم يقول الناس بالتخصص، أما البيت في ما يخص الكهنوت يكون بحلول نعمة إلهية وبدعوة من الله. التخصص في الكهنوت دعوة من الله وليست وظيفة. هذا الراقد بالرب كان ابنا لكاهن، ألا واسمعوا إن هذا الابن سمع من ذاك الأب، لا بل إن عائلة بأسرها تربت على هذا الأساس، إن النعمة الإلهية في بيت، هي خير عطية لهذا البيت. نشأ المطران بولس وكأنني به، أسمع ما قال الكتاب، إن الذي لا يربي بيته، لا يدبر بيته حسناً، فكيف يدبر بيت الله.

وأسمع قولاً موجهاً إلينا جميعاً، لا تمدح رجلاً في حياته إمدحه بعد مماته لأن الرجل يعرف في أولاده. أنهم هم الذين يشهدون على من كان هو، وشهادتهم شهادة حق وواقع. والمطران بولس الخوري من زمان عرف حياة الكهنوت. وتذوقها في بيته، لا بل أتكلم عن إخوته الذين أعرف القسم الأكبر منهم شخصياً، هم أيضاً لم يتركوا في وقت من الأوقات تقدير النعمة التي ارتضى الله أن يرسلها إلى عائلتهم.

المطران بولس الخوري عاش الكهنوت من نواح عديدة، أذكر منها القليل القليل، وأذكر أنه مر بحياة الدير مدةً طويلة، وأذكر كلمته لأحد الإخوة المبتدئين في أبرشية بيروت، حوالي العام 1937. قال لي: كنا ندور على الأديرة أثناء الصيف. وكان الشخص الذي يستقبلنا خير استقبال، ويجعلنا نعتقد أننا نحن مستقبل قيام الجمهورية في الكنيسة كان الأرشمندريت بولس الخوري. كان يأمل بالمستقبل، وكان ينظر إلى الشبيبة بعين الرضى والتشجيع. ومن هنا، فإن من يقرأه أو من يسمعه، كان يسمع وإلى الآن يقرأ، روحاً

اندفاعية إلى حدود في كثير من الأحيان لم تكن تتوقف.

هذا أمر أود أن أقوله اليوم. أما الأمر الثاني، في الحياة الإكليريكية، لم يكن أهدأ شخص في الكرسي الإنطاكي المقدس، وأعتقد أنه كان يحارب الهدوء ويبدو وهو الأديب الكبير، يعرف أنه قيل، إن ركود الماء يفسده، إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب، فكان يدفع إلى الأمام وإلى الأمام، لذلك عرف أن يحبه الكثيرون، وعرف ألا يحبه الكثيرون، وخصوصاً من الصف الإكليريكي الموقر.

المطران بولس الخوري عاش في فترة كنيسية دقيقة جدا. تلك الفترة كاد الواحد منا، لا يعرف الى اين يتجه. ولا يعرف ما هي هويته الروحية، ولكنه تجاوز هذا لأنه كان يحب في النهاية، إن يختلف معك بالرأي، ولكنه لا يختلف معك على الكنيسة.

وأنا أذكر فرحه العظيم، عندما قال: أود أن أكون وفياً للكثير من الناس، ولكنني أود قبل كل شيء أن أعبر عن فرحي بلملمة أعضاء الكنيسة عندما تمت تلك اللملمة، وهي سارية حتى الآن وستبقى ما شاء الله، وستكون حتماً أقوى وأقوى.

أنا رافقته إلى مرجعيون، وسهرت معه ومع بعض السادة المطارنة، في أول ليلة قضيناها في المطرانية، وكان معروفاً وكيف لا يعرف ذاك، الذي عنده فصاحته، وعنده خصبه في الكلام.

أذكر ذلك اليوم، وأعرف أن وجوده في مرجعيون، وجود هو كان له أن يقول فيه كلمة، وتلك الكلمة ظنها البعض أنها نوع من التساهل الديني في غير مكانه، لأنه قال نحن من الجماعة التي تعبد الله والله كلم عبيده بلغات متعددة. لذلك ليس ممن يعبدون الله، جماعة نعتبرها غريبة عنا، ويجب ألا نكون في حوار. ظنناها في ذلك الوقت وظنها الكثيرون منذ ذلك الوقت، أنها كانت، كما قلت نوعاً من التساهل بالعقيدة، والمقصود لم يكن كذلك، المطران بولس من القلائل من لابسي الجبة الذين دخلوا الجامع أكثر من

مرة، أنا اعرف منها مرة واحدة هنا، عندما وقف خطيبا وقبل كخطيب، وأحبه الناس كخطيب، كانت رؤيته أنه لا يجوز أن تنظر إلى الناس كفئات منقسمة على بعضها، الناس مدعوون قبل كل شيء إلى العيش، ولذلك يجب أن يكونوا معاً. مهما كانت الظروف، وليس بالضرورة أن الذي لا يوافقني رأيي، يجب أن يقضى عليه بالموت. هكذا كان يفهم. ينظر المطران بولس إنه مثلاً ليس في لبنان من يجب أن نعزله، أن نزيحه، أن نبعده، ويقول إن الله تقريباً قد خلقه لبنانياً بالغلط هذا لا يوجد في منطقه على الاطلاق.

كتب كثيراً المطران بولس ويمكن للجميع أن يقرأوا. أعود إلى ناحية أيها الأحباء، لم يكن المطران بولس محباً للمال. أقول ذلك لأن من أخطار الكهنوت ومن اخطار الحياة بالفعل أن يصبح الإنسان محباً للمال لأنه كما لو شاء ربنا، إنه كلما أحببته، قللت محبتك للناس. وكان هو يريد أن يحب الناس في الدرجة الأولى. كنا نستغرب كيف كان يشبع الطعام، كان متقشفاً بالطعام بصورة غريبة جداً، في عصر نعترف عنه ليس عصر القناعة، وليس عصر التقشف ولكنه عصر أن يقول الناس لبعضهم خففوا من طعامكم، كفى جشعاً، وكفى بالفعل تشهونا للطعام فقط.

في آخر أيامه، بفترة قصيرة قبل أن ينام بالنسبة لهذا العالم، سأله أحد الإخوة، وكان في زيارته، وكنا دائماً نعتبر حضوره بيننا عميداً لنا، عزيزاً علينا، أنا علمني أول درس تعليم مسيحي، هو معلمي، هذا الشخص، أحد الإخوة، سأله يا سيدنا بولس ماذا يبقى في الحياة؟ قال: «عندما تصل إلى حيث أصل، لا يبقى في الحياة إلا أن تتأمل في أن تغمض العينين ويكن أمامك عين حنون تنظر إليك. كان شاعراً لا شك في ذلك وكان كل طبعه طبع الشاعر وهذا القول قول الشاعر الذي نام على رجاء القيامة والحياة الأبدية».

ملحق رقم (5)

عظة المطران خضر[1]

«لا يسعني أن أزيد كلمة على هذا الرثاء الذهبي الذي سمعناه في بيروت حيث انتصب مولانا صاحب الغبطة السيد اغناطيوس الجزيل البر والكرامة متحدثاً ليس فقط باسم الأساقفة إخوته ولكن باسم المؤمنين جميعاً. لذلك لن آتيكم بخطاب آخر ولكنني أردت أن أبث لكم بعضاً من أشواقي ذلك أن السيد مثلث الرحمة بولس كانت تربطني به مودات قديمة وذلك أنه راعاني في علمانيتي ورعى أولئك الشبان الذين كنت أعمل معهم منذ خمسين عاماً ونيف ابتغاء النهضة الروحية في هذه الكنيسة. فلعله أرسى قواعد لنا عندما جمعنا في السنة الثالثة والأربعين في كنيسة القديس نيقولاوس هذه التي ودعناه فيها، عندما أرسى في خطب له متتالية قواعد النهضة الروحية في هذه الكنيسة، ثم انطلق وكنا فتياناً نسبياً وصورته ترافقنا ونحسب أن الذي جذبنا إليه في ما جذبنا ، هو أنه بدا لنا إنساناً على تمرد شرعي، إذا صح جمع المفردتين. كان على هذا ابن بلدنا بلد المسايرة وقلة فيه تحب المعتقد السليم أو تحسبه عقيدة سليمة. بولس الخوري كان يفرق بين شيئين، بين العقيدة التي ينبغي فيها وأن تحافظ عليها بصلابة، ما بعدما صرامة. لا مزح في العقيدة، كان يميز بين هذا والمحبة.

واليوم يقال في كثير من الأصوات، لا ينبغي أن نكون على

(1) نشرت في عدة جرائد، منها السفير، بتاريخ 6 تموز1990، تكمن أهميتها بإظهار مدى التأثير الإيجابي الذي تركه المطران في نفوس من عرفوه.

عقيدة ما، لأننا في وئام ووفاق أو ما إليه. ليس من وفاق ضد الحق. وليس من وئام ضد ما أنزله الله علينا، ذلك أن الإيمان ليس ملكاً ورثته عن أبي كي أفرح فيه، ولكن أية عقيدة تجعلك قاتلاً أو شاتماً أو محتقراً للإنسان الآخر، تكون قد تحولت فيك إلى وساوس شيطانية.

الرجل كان واضحاً في أنه كان على إيمان سليم، وفي آن معاً على انفتاح غير محسوب، ولعلنا نحن أبناء هذه الكنيسة بلا تبجح منا. أدركنا هذا بوضوح كامل عندما أصرينا على استقامة الرأي وعلى الحب الكامل تجاه أبناء الوطن جميعاً، لا مزاح في الحب فقد دعانا الناصري الى معانقة البشر جميعاً وإلى خدمتهم كلهم، في الزخم الواحد وفي الإخلاص الواحد ولكنه قال لنا، أنتم هنا، وسواكم هناك، وهنا ليس هناك.

ولعل الناس لا يربطون بين كون هذا الأخ الكريم كان أرثوذكسياً حاداً ووطنياً حاداً في آن. نحن نعرف كيف نجيء من إيمان هذه الكنيسة إلى الإيمان بالناس جميعاً وبالوطن جميعاً.

إن ما نسب إليه من أنه داعية وطني كاره لتسلط الغريب علينا ومن كونه مدافعاً عن هذه الأمة، قول صحيح ولكن قلة تعلم من أين جاءت هذه الوطنية، زعمنا أنها جاءت من كنيسته ومن إخلاصه لها. حيث تكون أنت مسيحياً أورثوذكسياً كاملاً ولبنانياً مشرقياً عربياً كاملاً، هذا نفهمه، أنه من تراثنا. نحسه من الداخل، يأتي من الداخل إلى الخارج. لهذا كان إخلاصه واحداً ليس لطائفة بل لكنيسة وللوطن جميعاً.

لا حاجة لي إلى أن أذكر أبناء هذه الرعية إننا في الأرثوذكسية، لنا طائفة بالمعنى اللبناني، أي لسنا جزءاً من كل، ولسنا "زنبرك" في هذه الماكينة اللبنانية الساخرة. نحن قوم لله،

نحن لنا مذهبنا في الحياة والملكوت وفي الرب وفي الإنسان ونحن في الوطن منصهرون بالناس جميعاً، نحن لسنا طائفة بالمعنى الذي يحدده الدستور والقوانين والأعراف والحرتقات السياسية لهذا كان بولس الخوري يمثلنا خير تمثيل على هذا الصعيد.

وعدتكم أن لا آتيكم بموعظة أخرى ولكني اضطررت بسبب شعوري نحو الرجل إلى أن أقول كلمات كهذه.

بولس الخوري ابن هذه القرية يعود إليها. هذه الرعية مع راعيها، تعتبر أن أمنيته هذه كانت لفتة منه وبركة لنا، سوف نذكر أنه يرقد بيننا أسقف وإنسان كبير».

ملحق رقم (6)

بطريرك إنطاكية وسائر المشرق
اغناطيوس الرابع
أعضاء المجمع الإنطاكي المقدس

عموم عائلات الخوري- العازار- صوايا- حريق
بتعبورة الكورة[1]

«بمزيد من الأسى والحزن تلقينا نبأ وفاة سيادة المطران بولس الخوري. وقد آلمنا مصابكم وإنه لخطب جلل. آملين من الله أن يلهمكم الصبر والسلوان ويسكنه الله ملكوت الرحب».

(1) صورة عن البرقية التي أرسلها النائب ميشال المر، حصلت عليها من الأستاذ إبراهيم الخوري، تاريخ 16 تموز 2003.

ملحق رقم (7)

دار الصياد
بيروت. لندن. باريس. القاهرة. الرياض. دبي[1]

«حضرة الأخ إبراهيم خوري المحترم

تعازينا القلبية بالمصاب الجلل الذي حل بكم، وبالعائلة الكريمة. إن غياب العم العزيز يترك فراغاً كبيراً، يصعب ملؤه نظراً لما تحلى به من صفات حميدة وخصال طيبة، وما حفلت به حياته من عطاءات.

تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه، والهمكم والعائلة المفجوعة نعمة الصبر والعزاء».

عصام، بسام والهام فريحه

بيروت في 1995/7/6

(1) صورة عن البرقية التي أرسلت إلى أهل الفقيد، حصلت عليها من الأستاذ إبراهيم الخوري، تاريخ 16 تموز 2003.

ملحق رقم (8)

غبطة البطريرك أغناطيوس الرابع هزيم
بطريرك إنطاكية وسائر المشرق لطائفة الروم الأرثوذكس المحترم[1]

«يؤلمني أن أقدم لكم التعزية بالمطران بولس الخوري الذي يفتقده الوطنيون في لبنان إلى أية طائفة انتموا كما يفتقده ابناء رعيته وكنيسته.

لقد كان مثال الراعي الصالح الذي لم تهتز قناعاته بوحدة لبنان وعروبته في أقسى الظروف التي عاصرها فكان القدوة في الصلابة والثبات.

باسمي وباسم الحزب التقدمي الإشتراكي أتقدم منكم بأحر التعازي راجين من الله أن يسكنه فسيح جناته».

عنه أمين السر العام	رئيس الحزب
شريف فياض	وليد جنبلاط

(1) البرقية التي أرسلها النائب وليد جنلاط باسمه واسم الحزب التقدمي الإشتراكي، حصلت عليها من الأستاذ ابراهيم الخوري، تاريخ 16 تموز 2003.

ملحق رقم (9)

معن بشور
ألقاها نهار الخميس 6 تموز 1995[1]

«قد يكون للقدر أيضا حكمته في أن يرحل المطران الكبير، مطران الجنوب والجليل، بولس الخوري في اللحظة التي كان فيها الأنبا شنودة، بابا الكنيسة القبطية في مصر يجول في لبنان، ويعلن مواقف مماثلة لتلك التي استمع إليها اللبنانيون على امتداد هذا القرن من بولس الخوري وأمثاله، وقد يكون للعناية الإلهية رغبتها في أن تستحضر المطران بولس الخوري، عبر حدث جلل كوفاته، في لحظة الحضور الساطع للأنبا شنودة وحديثه الرائع عن المسيحيين العرب ودورهم، وهو المثقف والمجاهد والمناضل والمنفي تماماً كما كان بولس الخوري...

فرحيل المطران، وحضور الانبا، يبدوان اليوم نغمين متناسقين، حزين وبهيج، في سيمفونية الدور التاريخي للمسيحية العربية التي عرفها العرب قبل الاسلام ومعه على امتداد العصور والحقبات التي كانت تقدم عبر كل مرحلة رموزا مضيئة تشرح ببساطة عمق العروبة كرابطة بين الاسلام والمسيحية العربية جنبا الى جنب مع رابطة الايمان بالله وبالقيم وبالجنة والنار.

---

(1) نشرت في عدة صحف منها جريدة النهار، السفير والبيرق، بتاريخ 6 تموز 1995، تكمن أهميتها في تركيز الشعب على أهمية المطران الخوري على مختلف الصعد الدينية والاجتماعية والسياسية.

بل كلاهما، كما الكثيرون تعبير عن عمق اعتزاز المسيحيين العرب بالإسلام، كأثمن قطعة في تاريخهم، إبطاله أبطالهم، حضارته حضارتهم، قيمه قيمهم، بل كتعبير عن عمق اعتزاز الإسلام بالمسيحية العربية لا لموقع النصرانية العالي في القرآن فحسب، بل لأن العلاقة الحميمة بينهما - عبر التاريخ - هي تعبير عن إنسانية الإسلام ورحابته، كيف لا وهو أول دين رفض مبدأ «الناس على دين ملوكها»...

قد يبدو هذا الكلام شاعرياً في لحظات التعصب، والتكفير، والضيق بالرأي الآخر لكن المكانة التي احتلها أمثال المطران بولس الخوري، والانبا شنودة، بين أبناء أمتهم، المسلمين منهم قبل المسيحيين، والعلماء منهم قبل المواطنين، تسمح لنا أن نؤسس من جديد، وبقوة لعلاقة متينة وأصيلة هي الأساس في وحدة مجتمعنا وأمتنا المستهدفة كل لحظة من اعدائها...

لا بل إن قيام هذه العلاقة الناضجة بين الإسلام والمسيحية في رحاب العروبة، والتي نذر المطران بولس الخوري حياته من أجلها، بل وتعرض مراراً لسوء فهم بسببها، هي اليوم ضمانة العلاقة بين المذاهب نفسها داخل الإسلام وداخل المسيحية، لأن العلاقة تقوم على الانفتاح، والانفتاح نقيض التعصب، وعلى احترام الآخر والاعتراف به وهو نقيض إلغاء الآخر والسعي إلى شطبه...

لا بل إن الانفتاح منهج يحكم النظرة إلى الحياة برمتها، فالتعصب ضيق يسجن الأحياء بين قبضانه فيضيقون ذرعاً حتى بأقرب الناس إليهم.

قد يكون هذا الكلام، أفضل ما تطيب له أذن المطران بولس الخوري وهو يغادر هذه الدنيا، وأذن الانبا شنودة وهو يغادر لبنان الذي يحب، لكن أفضل ما تطيب له ذاكرتنا أن نستحضر، ونحن

نودع المطران بولس الخوري، واحدة من آخر رسائله البارعة في معناها والأداء...

فحين قدمنا له (درع الوفاء) في حفل تكريم أقامها له المنتدى القومي العربي في (دار الندوة) قبل عامين، وقف المطران الجليل وقد شارف على المئة عام من عمره يقول: «أنا لا استحق هذا الدرع... إنه من حق أطفال الحجارة في فلسطين..».

واليوم، وكأني به مرة أخرى، وهو يرى أوسمة التكريم وخطب الثناء تنهال عليه في لحظة وداعه يقول: «أنا لا أستحق كل هذا التكريم.. إنه من حق المقاوم في الجنوب (وهو مطران الجنوب)، بل من حق الأسرى والمعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين في سجون الاحتلال وهم بإضرابهم واعتصامهم يطلقون انتفاضة جديدة... كيف لا ومعظمهم من أبناء جيل انتفاضة الحجارة وقد كانوا أطفالاً يوم انطلاقها قبل ثماني سنوات.

القدس التي رفض الانبا شنودة أن يزورها أقباط مصر قبل إخوانهم المسلمين، هي نفسها كانت دوماً حاضرة في قلب مطران العرب ووجدانه وعقله... فعروبة القدس كانت تعني له عودة مقدساتها إلى أصحابها العرب المسلمين والمسيحيين».

معن بشور

بيروت في 1995/7/5

ملحق رقم (10)

كلمة الأستاذ منح الصلح رئيس مجلس ادارة دار الندوة في تأبين المطران بولس الخوري 1996/7/11 [1]

«تكبر رسالة رجل الدين وتتسع بل تخرج أحياناً عن حدودها المعروفة بقدر ما تضطرب قيم المجتمع الذي هو فيه ويكون الوطن مهدداً أو مطموساً والشعب مغلوباً على أمره والسياسات الوطنية عاجزة عن فرض وجودها. حياة المطران بولس الخوري المديدة حتى لتكاد تغطي قرناً مثال حري باستلهامه دائماً على التفاعل بين ضمير رجل دين وهب نفسه لله وظروف بلاد كتب عليها أن تعيش كل صراعات الشرق والغرب، وتقف في غير منعطف على شفير الزوال.

منذ عرفته أول مرة خطيباً في الكنائس والمساجد والنوادي في معركة الاستقلال ثم محللاً مناقشاً مع أخيه فهيم في الشؤون الوطنية والقومية والعالمية، كان الراحل الكبير أحدّ ذكاء وأعمق نظراً وأوسع علماً وثقافة من أن لا يفطن إلى قبضة الجهل وشدة العصبيات وسطوة الغرائز في وطنه اللبناني الصغير ووطنه العربي الكبير، لكنه رفض أن يهادن ضعف النفوس وعقلية الفتنة وتعقيدات

(1) اعتمدت على النسخة الأصلية للسيد منح الصلح، وقد حصلت عليها منه شخصياً، تاريخ 16 تشرين الأول 2003، تدل على دور المطران اللبناني والعربي حيث أصبح مثلاً أعلى للشباب الطامح إلى التغيير، أهميتها تكمن بأنها شهادة حيّة من شخص عرفه عن كثب.

التخلف بغير الرفض المطلق، ولا أذكر أنه ارتضى أن يستخدم عدة الوسيطة في التحليل والمعالجة، أو لغة التهدئة في وصف العلاج في الشؤون العامة، كأن يكتفي وفقاً للمألوف بدعوة الطوائف إلى التفاهم أو العائلات الروحية إلى العيش المشترك، أو الجماعات إلى التعايش، بل اختار أن يكون ثائراً متطلباً مطلقاً في تصوراته وحلوله مباشراً في الشكل والمضمون، ولو كلفه ذلك شيئاً قليلاً أو كثيراً من الغربة عن التآلف مع واقع بعض الأوساط في وطنه، حتى المتطور منها. ترك لغيره من رجال الدين والدنيا كما كان يقول مهمة إطفاء الحرائق بعد هبوبها والمطالبة بالممكن واحتفظ لنفسه بالحرب على البذور الأصلية مهما تخفت لأي فكر أو سلوك تقسيمي داخل الوطن والإنسان.

ما كاد الفتى الكوراني المنتسب حديثاً للسلك الديني الواعد الحر طبعاً وتطبعاً يذهب في أول العشرينات إلى دمشق ليعمل إلى جانب البطريرك غريغوريوس حداد في نصرة الحلم العربي المتجسد في حكم فيصل بن الحسين بعد زوال الحكم التركي حتى يفاجئه من قبل أن يتسلم خدمته هجوم الجيش الفرنسي الزاحف إلى العاصمة الشامية فيجد نفسه خطيباً في جماهير دمشق داعياً للمقاومة في ميسلون. وهي هي المشاعر النبيلة نفسها جعلته بعد أكثر من نصف قرن وهو المطران الشيخ في منطقة الحدود مع إسرائيل يذهب في الحماس الوطني إلى حد الاتفاق مع السيد موسى الصدر على خوض المعركة الانتخابية تحصيناً لهذه الحدود بالسياسة الوطنية الصادقة وبالضمير والأخلاق وحب الناس الأبرياء.

لم تكف بطولة الأبطال في شباب بولس الخوري في رد كيد المعتدي كان الفرنسي الغربي المسلح بإرادة الطغيان وقوة العلم معاً. ولم تكف البطولة في ما بعد في رد العدوان الصهيوني عن الأرض العربية للسبب نفسه لذلك ومن موقعه في السلك الديني شهر

دائماً السلاحين معاً، سلاح الكرامة وسلاح الفكر.

كان مثقفاً واسع الاطلاع متمكناً وخطيباً ملهماً وفقيهاً دينياً مفكراً بالقدر الذي كان رجل صمود في سلوكه ومواقعه. عاش ومات وذهنه وقلبه متعلقان بمفهوم أصيل للدين يضعه في خدمة كل إنسان وكل الإنسان، وبحلم لبناني عربي لا يقوم الا بالصمود وبسر العصر الذي هو التفوق العلمي. هذا الشيخ المعمر الجليل غادر الدنيا كما دخلها وعاشها في كل محطات عمره جديد الروح والقلب والعقل. وهو رمز أخضر على الأيام في تاريخ التدين والوطنية والفكر الإصلاحي.

قد تمكن دائماً من أن يجعل رسالته الدينية في رعيته وطائفته وشعبه وأمته طريقاً من الطرق التي سار عليها صفوة الكبار من رجال الدين والدنيا في بلادنا بالحق الذي حملوا بإرادة التغيير التي تحركوا بها وتحرك الناس. وهو بعمق فهمه لروح الدين ولبنانيته وعروبته وانسجامه مع نفسه في كل حال قدوة لكل جيل».

ملحق رقم (11)

نص كلمة نائب رئيس مجلس النواب
ايلي الفرزلي [1]

«بعض الرجال يعمرون، يمرون في التاريخ، ولا يتركون لهم أثراً، وبعضهم يصنعون التاريخ.

المطران بولس الخوري واحد من أعمدة التاريخ الأرثوذكسي نقول هذا: لا لأنه عاش طويلاً حتى لامس المئة عام...

لا لأنه الطلّة المهيبة المفوهة من على منبر الكرسي الإنطاكي... ولا لأنه اللاهوتي والشاعر والناثر... بل لأنه كان قائداً، ترك الأباطرة في غرفهم، وخرج إلى الشعب، يلاقيه حيث يكون، يقاسمه معاناته، وشعاره «فلس الأرملة» أغلى قيمة من دولارات الأغنياء...

بل لأنه غرس ذاته في أرض الوطن، فتعمقت جذور إيمانه به، وإنتمائه له، وشمخ سنديانة تطل بأغصانها على الإنسانية.

دعا إلى الإصلاح العميق لا السطحي في الكنيسة الأرثوذكسية، ودعا اللاهوتيين الذين يعظون في كنائسهم أن يقرنوا القول بالفعل، وأن يجسدوا القيم الدينية والفضائل الروحية، ممارسة يومية في حياتهم مع البشر.

ولعلّ الصراحة التي تحلى بها، والصدق مع ذاته، والجرأة التي تميز بها، قد أثرت سلباً فمنعته من مناصب كهنوتية رفيعة، إلا

(1) الكلمة مطبوعة على الآلة الكاتبة، حصلت عليها من الأستاذ إبراهيم الخوري، تاريخ 18 تشرين الأول 2002.

انه تربّع في قلوب عارفيه، وفي نفوس المؤمنين.

في كتاباته اللاهوتية طرح مشكلات فلسفية عدّة تحتاج إلى بحوث طويلة لمناقشتها لأنه وضع العناوين والخطوط العريضة لها. فهو يقول: «إن الدين يقدر أن يرافق المدنية، ولكن يجب أن يسايرها في ما لا يمس جوهره، لا أن يعارضها، ولا أن يقف بعيداً عنها... ألسنا بأمسّ الحاجة اليوم إلى التوقف عند هذا القول، لإخراج الدين من حالة الانكفاء عن الحياة والحضارة والتطور.

كما أن آراءه في العلمنة وفصل الدين عن الدولة، والزواج المدني المختلط، شكلت خطوات واسعة نحو العدالة البشرية، والانصهار الوطني والوفاق الوطني. ...

إن موقفه من هذه المواضيع يفتح طريق الحوار بين المؤمنين والملحدين، للتفاهم على أمور إنسانية مشتركة، وأخلاقية عامة، كما يعزّز فعل المبادىء الدينية في حياة الشعوب، لأن المبادىء هي للشعوب، وليست الشعوب للمبادئ.

أو ليس اقتتالنا على السماء، يفقدنا الأرض؟

المطران بولس الخوري كاتب تقدمي مصلح يقترب من الثورة والجموح في سبيل التغيير والإصلاح، ونقل المجتمع العربي المتخلف المذهبي الطائفي الجامد، إلى مرحلة المجتمع الإنساني، الحر والمتحرك والحضاري، فهو كاتب نهضوي علماني.

أتاحت له ظروف التحاقه بجامعة أثينا المران على العلم وانتقاء الكلمة، فتوحدت الروحانيات والعلم لديه، وأطلعت أنغاماً كتلك الألحان والذخائر الابتهالية، التي أطلقها يوحنا الدمشقي، المعروفة بالألحان البيزنطية، والتي اعتبرها العالم الموسيقي الينبوع لكل رائعة موسيقية.

كلّما اعتلى المنبر خطيباً كان نغماً بيزنطياً يلامس شغاف

القلب فتهنأ النفوس، ويثير المشاعر الوطنية للإصلاح والبناء في شعره، الذي يعكس الصدق والانسجام مع الذات وتحسّس المسؤولية.

لا ترج خيراً منهم فهم
أشباح من أخذوا الزعامة عنهم
يا قوم طال سباتكم فاستيقظوا
وتحرروا من خوفكم وتكلموا
ثوروا على زعمائكم وارموا بهم
بطن السجون عساهم أن يندموا

المطران بولس الخوري الوديع المتواضع المحبّ للناس، لا يرضى الظلم والذّل والهوان، ونذكر يوم وقف في الجامع العمري الكبير في بيروت، حيث ألقى خطاباً وطنياً....

سيدي المطران الغائب والحاضر

ونحن اليوم نحيي ذكراك، نرى وجوهنا في مرآة قلوبنا، نحبو إليك كنسمة تلامس روحك فتتزود بالإيمان والحق، نقرأ أحلامك ووعودك، فترتسم أمامنا عناوين نضال لمسيرتنا.

سيبقى حضورك شمساً تضيء زوايا نفوسنا، فتبعث بنا الشجاعة والقوة، ليخرج لبنان من ضعفه، وتحرر الأرض التي كنت مطراناً لها وحملتها في قلبك».

ملحق رقم (12)

نص كلمة معالي وزير المغتربين
الدكتور علي الخليل
الخميس 1996/7/11 [1]

«أيها الحفل الكريم

بعض الرجال يمرون في التاريخ ولا يتركون لهم أثراً وبعضهم الآخر يصنعون التاريخ وآثارهم تدل عليهم.

مثلث الرحمة المطران بولس الخوري، عميد الأساقفة له ولادتان، ولادة زمنية وولادة روحية. قطع من العمر رحلة كبرى، امتدت على حقبة من الزمن بلغت تسعة وتسعين عاماً، كان فيها الراهب، والمناضل، ورجل الفكر، ورجل السياسة، وكان فيها الثائر الذي لا يخشى في الحق لومة لائم. وكان إلى جانب ذلك كله، رجل الانفتاح على المذاهب والديانات على تعددها واختلاف عقائدها وتعاليمها، فوعاها طرقاً شتى إلى الذات الالهية.

أبى أن يكون سجين التعصب المذهبي الضيق، وهو رجل الفكر المنفتح على الآفاق الواسعة، ففي العام 1993، عندما التأم المجمع الأرثوذكسي في البلمند لتكريمه بمنحه أيقونة السيدة بصفته عميد الأساقفة، طالب بأن يكمل المجمع طريق الاتحاد مع جميع الطوائف

(1) الكلمة التي ألقاها بمناسبة مرور سنة، وقد نشرت في عدة صحف منها النهار والسفير، تاريخ 6 تموز 1996، وهي تدل على الأثر الخالد والمتجدد بالذكرى دائماً.

المسيحية كمنطلق للتفاهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مع الطوائف الاسلامية. وعند سيامته مطراناً على صور وصيدا وتوابعهما في العام 1948، شرع يرمم الكنائس في مختلف المناطق الجنوبية، وينشئ المدارس المجانية، ويحمل في صدره هموم الناس ومعاناتهم. فبادلوه حباً بحب واحتراماً باحترام، حتى أنهم رأوا فيه خير ممثل لهم، فرشح للانتخابات النيابية عن محافظة الجنوب عام 1951 حيث نال عدداً كبيراً من الاصوات كادت توصله إلى الندوة النيابية، وكانت في حقيقة الأمر استفتاءً شعبياً كبيراً أظهر مقدار حب الناس له وتقديرهم لجهوده في رعاية شؤونهم العامة.

ونحن اليوم إذ نكرم سيادة المطران الجليل، نتذكر أن البلاد تعيش أجواء انتخابات نيابية، في الوقت الذي يمر وطننا بظروف استثنائية صعبة ويواجه تحديات كبيرة هما تحدي مواجهة الاحتلال الإسرائيلي الجاثم على أرضنا والمتربص بنا والساعي في كل لحظة وفي كل حين إلى ضرب شعبنا وأهلنا وتحويل جنوبنا أرضاً محروقة، على الأخص بعد لاءات نتنياهو التي تؤدي إلى نسف عملية السلام.

من هنا نعتبر أن العملية الانتخابية هي أكثر من ضرورية لمواجهة التحديات والمستجدات الإقليمية، ولتعميق الوحدة الوطنية، ولتأكيد مصداقية الدولة في الداخل والخارج.

أخواتي وإخواني

إذا كان المطران الخوري قد تجلبب بالمسوح الكهنوتية، فإنه كان إلى جانب ذلك رجل السياسة والوطنية، فكلماته ومواقفه كانت مدوية تدعو لمواجهة إسرائيل وللتصدي لها ولعدوانها المتمادي الذي تجسد

أخيراً في عناقيد الحقد الإسرائيلي ومجزرة قانا والنبطية والمنصوري، فهو القائل إن على اللبنانيين أن يوحدوا صفوفهم وينخرطوا جميعاً في مواجهة العدو الإسرائيلي الذي لا يميز بعدوانه بين لبناني وآخر وبين منطقة وأخرى، وعلى هذا الأساس نحن نناضل من أجل تحرير الجنوب والبقاع الغربي من الاحتلال الإسرائيلي الغاصب عن طريق اللجوء إلى حقنا المشروع في المقاومة وتأمين مقومات الصمود والتمسك بالشرعية الدولية وتنفيذ القرار 425 والتأكيد على وحدة المسارين اللبناني والسوري.

وإننا نقول لك اليوم يا سيادة المطران إن اللبنانيين، جميع اللبنانيين، في لبنان وبلاد الانتشار أكدوا مقولتك هذه حين جسدوا بمواقفهم الواحدة الموحدة تجاه العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان أروع صورة من صور التضامن الوطني ونقول لك أيضاً إن اللبنانيين عازمون اكثر من أي وقت مضى على التشبث بوحدتهم الوطنية، وعلى الانخراط في العملية الانتخابية التي كنتم منذ زمن بعيد من السباقين إلى خوض غمارها.

يا مطران لبنان والعرب، أيها الحبر الجليل الناصع البياض كثلج حرمون الذي جاورته طويلاً. إن المواقف التي ناديت بها والتي باتت حقيقة راسخة استبقت بعض ما توصلنا إليه في وثيقة الوفاق الوطني في الطائف. فأنت من دعا إلى رفع الظلم والحيف عن المناطق المحرومة وإلى المساواة بين اللبنانيين في الحقوق والواجبات وإلى تكريس عروبة لبنان والتفهم الصادق للعروبة في المصالح المشتركة والمصير، أخوّة وتنسيقاً وتعاوناً مع الشقيقة سوريا.

ألم يسر المطران بولس الخوري في تظاهرات دمشق كما سار في تظاهرات بيروت؟

وألم يعتلِ المنبر خطيباً في النادي العربي بدمشق مثلما اعتلاه في الجامع العمري الكبير في بيروت؟

أيها الحفل الكريم

بولس الخوري كان من القادة الأفذاذ الذين عرفهم لبنان والأمة العربية، لذلك استحق بفخر أن يكون مطران لبنان كل لبنان ومطران العرب كل العرب.

ونحن إذ نحيي ذكراه الأولى نؤكد أن سيادة المطران الياس كفوري راعي الأبرشية الأرثوذكسية في الجنوب هو خير خلف لخير سلف».

ملحق رقم (13)

نص كلمة المطران الياس كفوري[1]

«باسم غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع الذي كلفني أن أمثله في هذه الندوة.

ذهبت برفقة الأستاذ والأخ العزيز إبراهيم خوري لزيارة صاحب الغبطة. قلت له إن المطران بولس الخوري كان زميلاً لكم. فأجاب بنبرة لا تخلو من الإنفعال: «كان معلمي ولم يكن زميلي.. معلمي» كلمة من بطريرك مثل البطريرك إغناطيوس الرابع، تكفي للتعريف بالمطران بولس الخوري.

إن تكريمكم لسلفي العظيم هو تكريم للكنيسة التي كان أميراً من أمرائها، الكنيسة التي تقول لنا «ويل لكم إذا قال الناس فيكم حسناً». لأن القول يحملنا مسؤولية كبرى من جهة، ويعرّضنا لتجربة الكبرياء من جهة ثانية (ولكن بعد الانتقال من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الأبدية مثله مع الرب، علينا أن نظهر الحقيقة، لنأخذ منها الدرس والعبرة. يشبه ملكوت السموات لؤلؤة مخبأة... أخذتها امرأة...

أما المثلث الرحمة المطران بولس الخوري فكان يتمتع بصفات كثيرة يصعب تعدادها. فإلى جانب إيمانه القوي بالله كان يتصف بالشجاعة والمروءة والكرم والسماحة والتواضع. هذه من مواهب

(1) هي بخط يد المطران الياس كفوري، وقد حصلت عليها منه شخصياً، تاريخ 19 أيار 2004، وهي تدل على احترام المطران الكفوري لسلفه، وتقديره له وفاءً لإنجازاته الاجتماعية والإنمائية.

الروح القدس ومن الصفات العربية الأصيلة. كان في بعض الأحيان سريع الغضب، ولكن المحبة كانت دائماً تغلب غضبه. كان يثور على ما هو مخالف للحقيقة، ثورته تهدأ بعد قليل لتتحول فيضاً من المحبة الصافية المقرونة بالعطاء والسمو.

أما روح الفكاهة التي كان يتصف بها فإنها تنم عن قلب كبير ونفس عفيفة طيبة، وشخصية شفافة قريبة إلى قلوب الناس، لا يجد الشر مكاناً فيها ليستريح.

علّمته الكنيسة الأرثوذكسية أن يقول الحقيقة بجراة ووضوح لا لبس فيه، مهما تكن النتائج. هنا بعض الأمثلة على ذلك: في معرض حديثه عن الجوع الذي حلّ في الحرب العالمية الأولى يقول: «شاهدت في قريتي أماً تخطف كسرة الخبز من يد ولدها وتأكلها... أن أماً أخرى في بلد آخر ذبحت أطفالها وطبختهم وأكلتهم. فإذا عرفنا شدة محبة الأم لأولادها أدركنا عاقبة الجوع الجسدي للطعام... جوع روحي للعدل، عواقبه أشدّ وأفظع.

عن بيروت يقول: «كل مرة كنت أعجب بهذه المدينة التي غنيناها ونحن بعد تلامذة في البلمند:

يا درة في تاج عثمان وقرة لعين لبنـــان

أجل إن بيروت هي ملتقى الحضارات الشرقية والغربية، ومدرسة الحقوق الرومانية. التي يقع جزء من ممراتها تحت كاتدرائية القديس جاورجيوس الأرثوذكسية.

يروي المطران بولس قصة ذهابه الى دمشق التي يقول عنها «قلب العروبة النابض. على طريقها اهتدى بولس الرسول فيلسوف النصرانية. ومنها القديس يوحنا الدمشقي شاعر الكنيسة البيزنطية وموسيقاها الكبير". يقول بأنه لم يكن شماساً بعد، عندما استدعاه البطريرك غريغوريوس الرابع حداد ليرسله إلى

أثينا لدراسة اللاهوت. وعند وصوله إلى دمشق يقول: «بتاريخ 27 تشرين الأول 1919 نظم المسيحيون في دمشق تظاهرة تأييداً للحكم العربي فتظاهرت مع المتظاهرين. أصعدوني إلى المنبر حيث كان شيخ مسلم يخطب.... وقدمني للخطابة، فارتجلت كلمة جاء فيها: «من يشهد هذه التظاهرة ولا يتحرك فيه الدم العربي؟ كل عاقل يرفض العبودية وينشد الحرية.... وليمت من لا يطلب الإستقلال». ولما اطلع البطريرك على النبأ من جريدة "الفلاح" وجريدة «العاصمة» الرسمية سألني بلهجة جدية بإذن من ذهبت إلى النادي العربي وألقيت فيه خطاباً سياسياً؟ فلم أجد بداً من الاعتراف بأن الياس صقر دفعني لذلك. وإذ بالبطريرك يقول لي: «نشكر الله الذي أرسلك من بتعبورة إلى الشام في هذا الوقت. ثم نشكر الياس صقر الذي دفعك فقد بيضت وجهنا» هذه شهادة أخرى من بطريرك عظيم...

استطاع المطران بولس الخوري أن يدخل إلى ضمير الشعب، وأن .... الناصعة البياض في كل قلوب أبناء الكنيسة والوطن. فهو قائم في ذاكرة الناس ما عاشوا وما تذكروا. لا يمكن ان تغيب تلك الشخصية الفذة عن ذاكرتك. هذا ما وجدته في صيدا وفي صور وفي مرجعيون وفي حاصبيا وراشيا وفي كل مكان حللت به في جنوب لبنان وبقاعه الغربي.

صفة أخرى تمتع بها المثلث الرحمة هي الفقر. والفقر هو أحد نذور الرهبانية الأربعة. عاش فقيراً عملاً بقول الرب: «لا تعبدوا ربين الله والمال..» لم يكن المال يعني له شيئاً على الإطلاق، إلا ... حاجة ضرورية أو لخدمة إنسان... وما أكثر الذين أنعم عليهم المطران بولس بالمال إضافة إلى محبته الكبيرة وعطفه الأبوي على المساكين.

الفقر لا يعني أن تموت جوعاً ولكنه يعني أن تكون أنت سيداً

المال وإلا تدعه يستعبدك البتة «لا يتسلط على شيء...» يقول بولس الرسول. كان الذي في يده ليس له كما يقول الناس في بلادنا. الكرم والمروءة والعطاء وروح الفكاهة... هذه من الصفات العربية الأصيلة. هذه الصفات وغيرها ترافقها صراحة متناهية ومباشرة لا مثيل لها. كان يصارح محدثه بكل ما يكنه له من مشاعر سلبية أو إيجابية لا فرق. المهم أن يقول الحقيقة، ولو جارحة بعض الأحيان، الحقيقة تجرح. ولكن كانت لديه الوسائل المخففة وعلى رأسها المحبة. بحيث يتقبل السامع ما يسمعه بكل فرح ويقتنع بصوابيته.

لا يتسع المجال لما نريد أن نقوله في المطران بولس الخوري... كثير وكثير جداً. ولكننا نختم بقول الرسول بولس «لقد جاهد المطران بولس إلى آخر لحظة من لحظات حياته المثمرة. وهو الآن يرتاح في جوار ربه. يسمع صوته القائل هيا أيها العبد الصادق الأمين لقد كنت أميناً على القليل، فسوف أقيمك على الكثير. أدخل إلى فرح ربك».

ملحق رقم (14)

كلمة أهل الفقيد ألقاها الأستاذ إبراهيم الخوري(1)

«أصحاب الدولة والمعالي والسعاده

سيدي ممثل صاحب الغبطة البطريرك اغناطيوس الرابع

أيها الحفل الكريم

عامٌ مضى على غياب المطران بولس

وفي يوم ذكراه، كان لبنان حاضراً والجنوب

مطران الجنوب سمّوه، لكنه أودع قلبه حب لبنان. وبقي الخطر المحدق بالجنوب هاجسه والقضية التي تشغل منه العقل والقلب.

باسم لبنان كان للذكرى فيض من حب ووفاء على لسانكم دولة الرئيس ايلي الفرزلي،

وباسم الجنوب سكبتم عطراً على روح الغائب، معالي الأستاذ علي الخليل، ومعالي الأستاذ أنور الخليل وسعادة النائب سمير عازار

وأما أنت.. سيادة المطران الياس كفوري فلكم في الذكرى عبرتان: الأولى تكلمتم باسم إمام أحبار الكرسي الإنطاكي وإن

(1) الكلمة بخط يد الأستاذ إبراهيم الخوري، حصلت عليها منه شخصياً، تاريخ 16 تموز 2003، تكمن أهميتها بتقديره لجميع الأشخاص الذين شاركوا في هذه الذكرى.

قدركم كان أن تكملوا وتجسدوا رسالة المطران بولس ودوره.

شكري العميق للأستاذ منح الصلح المفكر، ولرفاقه في دار الندوة فقد كانوا في إحياء الذكرى، أهله والعائلة والأبناء. إنه لبنان العربي كما أحب المطران بولس، والوطني كما عاشه.

أما عريف الاحتفال، فإنني لن أشكره، لأنني ليس لي في المطران أكثر منه صلة وتربية.

وشكرنا لصاحبي السيادة المطرانين الياس عودة وجورج خضر اللذين كان لهما الفضل في إحياء الذكرى في بيروت وبتعبورة والشكر الأكبر لغبطة أبينا البطريرك إغناطيوس الرابع، الذي أنعش نضال فقيدنا الكبير وعمنا الجليل في حياته، كما أنتم تنعشون ذكراه بحضوركم أيها الأصدقاء.

ولكم منا محبتنا .. ولنا منكم الوفاء

عشتم وعاش لبنان».

لائحة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

وهي كناية مؤلفات المطران بولس الخوري وتشمل:

1 - الخوري المطران بولس، أقوال وأمثال مأثورة، يوزع مجاناً، صيدا، 1982.

2 - الخوري المطران بولس، ذكريات، يوزع مجاناً، صيدا، 1982.

3 - الخوري المطران بولس، عظات، يوزع مجاناً، صيدا، 1976.

4 - الخوري المطران بولس، الفروقات بين الكنائس المسيحية، صيدا، 1989.

5 - الخوري المطران بولس، قصتان «ضحية المبادىء الحرة» و «فلسفة الحياة»، صيدا، 1970.

6 - الخوري المطران بولس، كلمات، ثلاثة أجزاء، يوزع مجاناً، الجزء الأول طبع بتاريخ 3 شباط 1981؛ الجزء الثاني طبع بتاريخ 1 آذار 1981؛ الجزء الثالث طبع سنة 1980.

7 - الخوري المطران بولس، محاضرات، جزءان، يوزع مجاناً، صيدا، الجزء الأول طبع سنة 1970، الجزء الثاني طبع سنة 1979.

8 - الخوري المطران بولس، مذكرات، القسم الأول (نقلاً عن أنوار الأحد)، صيدا، 1973.

9 - الخوري المطران بولس، مقالات، ثلاثة أجزاء، يوزع مجاناً.

10 - الخوري المطران بولس، من ذكريات المطران، صيدا، 1976.

11 - الخوري المطران بولس، منظومات، صيدا، 1975.

12 - الخوري المطران بولس، الكلمة التي ألقاها في دار الندوة، بيروت، 1993.

ثانياً: المراجع

1 - أبو عراج هنري، العلم في مرجعيون، كتاب قيد الطبع، مرجعيون، لبنان.

2 - أسطفان الأب نايف إبراهيم، تاريخ أبرشية صور وصيدا وتوابعهما للروم الأرثوذكس، المطبعة البولسية، جونية، لبنان، 1999.

3 - الأسود إبراهيم، دليل لبنان، المطبعة العثمانية، بعبدا، 1906.

4 - باز جرجي، المطران بولس الخوري متروبوليت صور وصيدا وراشيا وحاصبيا ومرجعيون، ذكرى السيامة، مطبعة دار الفنون، بيروت، 1948.

5 - حتي فيليب، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر الحاضر، طبعة ثانية، منشورات دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1972.

6 - حردان القس حنا، الأخبار الشهية عن العيال المرجعيونية والتيمية، مطابع الزمان، بيروت،1941.

7 - حمود زينب، الوجه الأخر...لهم، دراسات وحوارات في السيرة، دار النشر للعلوم، بيروت، 1993.

8 - خاطر لحد، الانتخابات النيابية في تاريخ لبنان، قدم له وحققه د. عبد الله الملاح، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، لبنان، 1996.

9 - الخوري ميشال ثابت، تاريخ أبرشيات صور 1800-1914، الطبعة الأولى، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.

10 - الخوند مسعود، المعجم التاريخي للبلدان والدول، الطبعة الأولى، المؤسسة اللبنانية للطباعة والتجليد، آب 1983.

11 - خويري انطوان، .... وأخيراً أحرقوه، حوادث لبنان 1977-1978، الجزء السادس، منشورات دار الأبجدية، جونية، لبنان، 1978.

12 - رستم أسد، كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى 1453-1928، الجزء الثالث، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، 1988.

13 - زهر الدين صالح، موسوعة رجالات من بلاد العرب، لطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2001.

14 - صليبي غفرائيل، جراسيموس مسرة في دفاعه عن العقيدة الأرثوذكسية، بيروت، 1963.

15 - عبود سناء، دير البلمند ومدرسته الاكليريكية (1833-1940)، الجامعة اللبنانية، القسم الثاني، الفنار، 1983.

16 - فريحة أنيس، معجم المدن والقرى اللبنانية وتغيير معانيها، الجزء الثالث، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1973.

17 - مرهج عفيف، أعرف لبنان موسوعة المدن والقرى اللبنانية، الجزء الثاني، مطابع مؤسسة الأرز للطباعة، بيروت، تشرين الثاني 1971.

18 - المسيحية عبر تاريخها في المشرق، برنامج الدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2001.

19 - هواويني الأسقف رافائيل، الأفخولوجي الكبير، طبعة ثانية، أمر بها المتروبوليت أنطونيوس بشير، مطبعة قلفاط، بيروت، لبنان، 1990.

20 - قضية انتخاب مطران حمص، المستندات تتكلم، 2 أيار 1972.

ثالثاً: المجلات

1 - الأرثوذكسية:

- الأرثوذكسية، العدد الأول، السنة الثالثة، جديدة مرجعيون، كانون الثاني 1953.
- الأرثوذكسية، العدد الثاني، السنة الثالثة، جديدة مرجعيون، آذار 1953.
- الأرثوذكسية، العدد التاسع، السنة الثالثة، جديدة مرجعيون، تشرين الثاني 1953.

2 - النشرة:

- النشرة، تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس، العدد الخامس، السنة التاسعة والأربعون، ميناء طرابلس، لبنان، 1993.
- النشرة، تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس، العدد التاسع والعشرون، السنة واحد وخمسون، ميناء طرابلس، لبنان، 1995.

3 - فلسطين الثورة:

- فلسطين الثورة، العدد 623، 20 تموز 1990.
- فلسطين الثورة، العدد 546، 1 كانون الثاني 1994.

4 - المعارف:

- المعارف، مطبعة فارس سميا، بيروت، 1948.

رابعاً: الجرائد

1 - الأنوار

- تاريخ 14، 27 حزيران 1995؛ تاريخ 8 تموز 1995.
- تاريخ 6 تموز 1995.

2 - الديار

- تاريخ 10 حزيران 1976؛ 31 تشرين الأول 1976.
- تاريخ 16 حزيران 1985.
- تاريخ 13 تموز 1993؛ تاريخ 7 تشرين الأول 1993.
- تاريخ 25 أيار 1995؛ تاريخ 6 تموز 1995.

3 - الحياة

- تاريخ 7 نيسان 1951.

4 - النداء

- تاريخ 7 تشرين الأول 1993.
- تاريخ 6 تموز 1995.

5 - النهار

- تاريخ 6، 11، 15 نيسان 1951.
- تاريخ 27 تشرين الأول 1976.
- تاريخ 11 تشرين الأول 1977.
- تاريخ 16، 21 حزيران 1985؛ 15 آب 1985.
- تاريخ 23 آذار 1986؛ تاريخ 20 آب 1986؛ تاريخ 16 تشرين الأول 1986؛ تاريخ 16 تشرين الثاني 1986.
- تاريخ 11 تموز 1988.
- تاريخ 9، 28، حزيران 1990؛ تاريخ 27 تموز 1990.

- تاريخ 13 تموز 1993؛ تاريخ 7 تشرين الأول 1993.
- تاريخ 6، 8 تموز 1995؛ تاريخ 27 حزيران 1995.
- تاريخ 10 حزيران 2000.

6 – **السفير**

- تاريخ 6 نيسان 1951.
- تاريخ 27 تشرين الأول 1976.
- تاريخ 11 تشرين الأول 1977.
- تاريخ 13 تموز 1993.
- تاريخ 2 آب 1995.
- تاريخ 10 حزيران 2000.

7 – **التلغراف**

- تاريخ 6 نيسان 1951.

خامساً: المقابلات

- جبيلي الأرشمندريت جوزيف.
- جرداق الشاعر وسام فؤاد.
- الخوري الأستاذ إبراهيم فهيم.
- الصلح الصحافي والمفكر منح.
- ضيا الدكتور علي عبدو.
- العقله قدس الأب فيليب حبيب.
- القبرصي الأستاذ عبد الله.
- مقابلة مع عامة أهل بلدة القليعة.

فهرس الاعلام

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و





إلى يساره: الدكتور عبد المجيد الرافعي، الرئيس ياسر عرفات، الأستاذ محسن إبراهيم



يصافح الرئيس صائب سلام



مطران الجنوب وإلى يمينه مطران الولايات المتحدة فيليبّس صليبا، ومطران بيروت الياس عوده



في البطركية اثر تعيينه مطران الجنوب